



المؤتمر العاشر لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
صفر ١٤٠٦هـ – نوفمبر ١٩٨٥م

دراسات في التوراة

عطية إبراهيم الشوادفي
مدير عام الوعظ سابقاً

عطية ابراهيم الشوادفى
مدير عام الوعظ سابقاً

دراسات في التوراة

١٣٥٥هـ
١٩٣٦م

مطابع الشروق

القاهرة: ١٦ شارع جواد حسني - هاتف: ٧٧٤٨١٤ - ٧٧٤٥٧٨ - برقيا: شروق - تلكس: 93091 SHROK UN

بيروت: ص.ب: ٨٠٦٤ - هاتف: ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٧٦٥ - ٨١٧٢١٣ - برقيا: داشروق - تلكس: SHOROK 20175 LE

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ
بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا
نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ
بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ
اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا
بِأَنَّا مُسْلِمُونَ

« قرآن كريم »

لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً
وَلَوْ كَانَ مُوسَى حَيًّا لَمَا وَسِعَهُ
إِلَّا اتِّبَاعِي .

« حديث شريف »

فاتحة الكتاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾

صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ[1] عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ[2] ﴿٧﴾ «آمين»

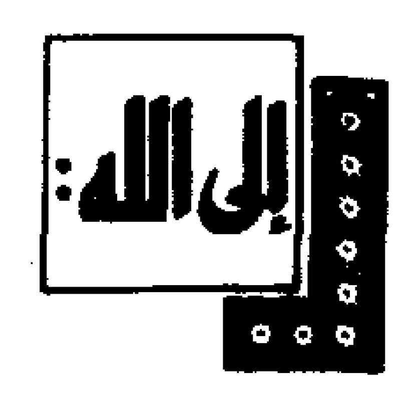
والصلاة والسلام على من أرسله الله بالهدى ودين الحق فهدى من الضلالة وأنقذ من الجهالة وأدى الأمانة وبلغ الرسالة سيدنا محمد رسول الأسلام ونبى السلام وعلى آله وأصحابه الأعلام .

---

(١) اليهود .

(٢) النصارى كما فسرهما النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

إهـــداء



أرفع أول زهرة اقتطفها فجأة من رياض العمر واختطفها بغتة من يد الدهر راجيا أن تكون فاتحة عمل يرفع وباكورة علم ينفع وأن تكون للحق مؤيدة وللصدق معضدة وللباطل مفندة وللكذب مبددة وأن تكون عميقة دقيقة مقنعة ممتعة جديرة بالخلود فى صدر هذا الوجود .

والله أسأل وإليه به أتوسل أن يرزقنى السداد فيما قصدت والرشاد فيما أردت وما توفيق إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ،،،

فى ٣ من ربيع الأول ١٣٥٥ هـ
٢٤ من مايو ١٩٣٦ م

عطية إبراهيم عطية الشوادفى
«جمال الدين»

تقـديم

بقلم الدكتور محمد غلاب
أستاذ الفلسفة بكلية أصول الدين

كان الباحثون القدماء فى عهد النهضة الإسلامية يدرسون كل ماتقع عليه أيديهم من كتب الديانات المختلفة وآراء النحل المتباينة دراسة نقد وتمحيص بقدر ما كانت عصورهم وثقافاتهم تسمح لهم وقد حصلوا من هذه الدراسات على نتائج نسبية أفادت العلم والتاريخ فى كثير من مواقفها وكان جانب عظيم منها موضع عناية الباحثين فى العصر الحديث واهتمامهم ، بل موطن تكأتهم واعتمادهم ثم جاء عصر الانحطاط فى الشرق فماتت فيه روح البحث المستقل ، وأصبح علماؤه محترفين يكتفون بفهم منتجات السابقين ، لاعن طريق محاولاتهم المستقلة ، بل عن طريق شرح غيرهم لهذه المنتجات . وبالإيجاز : رضوا لأنفسهم أن يعيشوا على حساب غيرهم ، مطمئنين إلى هذا الانزواء بينما أخذ الغربيون منذ قرون يحسون بوجودهم ويشعرون بأن عليهم واجبا للعلم ، بل لأنفسهم ومعاصريهم وأوطانهم ، إن لم يؤدوه خير تأدية ، كانوا غير جديرين بأن يساموا سكان القبور الذين تركوا هذه المؤلفات العظيمة شهادة ناصعة على أنهم قاموا بمهمتهم أحسن قيام ممكن .

ولاريب أنهم لايرضون لأنفسهم هذه الدرجة الدنيا . وإذًا ، فلابد لهم من العمل والنشاط ، وهذا هو الذى كان ، فهبوا من غفلتهم ، ونفضوا عن عقولهم غبار الخمول وانقسموا إلى فصائل مختلفة تخصصت كل فصيلة فى فرع من أفرع الحياة العقلية الكثيرة العدد ثم هجموا على حقول العلوم والمعارف على اختلاف ألوانها كأنهم جراد منتشر وكانت علومنا ومعارفنا الشرقية عامة ، والإسلامية خاصة بالطبع بعض هذه المنتجات التى استولوا عليها ، فأخذوا يكرون عليها دراسة وتحليلا ونقدا حتى وصلوا فيها إلى نتائج باهرة ، واستحوذوا منها على ثمار فاخرة .

حدث كل ذلك ونحن فى غمرة ساهون ، وفى فراش الخمول نائمون ، وعن مجد أسلافنا لاهون ، وبسفاف الأمور مشتغلون ، فداسنا الزمن كما يدوس كل كسول ، وتخطتنا الأيام كما تتخطى كل نائم ، وتقدمنا من كانوا فى عهد أسلافنا يعيشون فى حنادس الوحشية وحلوكة التأخر والجهل ، فأصبح ساستهم علينا سادة مسيطرين ، وأضحى علماؤهم لنا قادة مرشدين . ولولا أننا نمنا حين استيقظوا ، وغفلنا حين تنبهوا ، ووقفنا حين ساروا ، لكان الأمر على العكس مما هو كائن الآن ، لأن لنا فى الرقى سابقة مشرقة وماضيا جليلا ، ولأن العرق الدساس لايزال يخفى فينا عناصر الرقى والعظمة التى لاتفتأ تنتقل بطريق الوراثة من جيل إلى جيل حتى تتاح لها فرصة الظهور .

وأخيرا ، وبعد أن فقدنا كثيراً من الفرص الملائمة بدأنا نحس بالحاجة الملحة إلى النهضة العلمية فأخذت مجموعتنا تتحرك تحرك السلحفاة ، وإنما أقول : مجموعتنا ، لأنى أعلم أن فى الأمة شبابا يتحرق شوقا إلى النهوض ويود لو يطير إلى المجد والرفعة طيرانا كما قال .. لامارتين .. : « له أجنحة ، ولكن ليس حوله هواء يحمله ويطيره » . فإذا كرس

أحد الشبان جزءاً من وقته وراحته لبحث من البحوث العلمية فكر فيه عقله وأنهك قواه وأضعف عينيه ثم انتهى منه إلى نتيجة قيمة ، كان من ولاة الأمور الإغفال والإهمال ومن العلماء الذين سبقوه إلى الحياة العلمية المقاومة والحرب ، لا لأنه أتى بباطل تجب محاربته ، أو ضلال تفرض مقاومته ولكن لأنه أتى فى عالَم العلم بما لم يأتوا بمثله ، فتوهموا أن وراء عمله خطرا يتهدد أسماءهم ومناصبهم ، فأعلنوا عليه الحرب لاباسم العلم ، ولكن باسم غريزة حفظ التراث وتنازع البقاء : فكانت هذه الخطة سببا فى بطء الحركة العقلية فى مجموعة الأمة كما كانت سببا فى إحداث ثورة قوية وغليان عنيف فى رؤوس الشباب المتعطش إلى الرقى ضد جميع الذين يحس أنهم واقفون فى طريقه يمنعونه من نقع غلته ، ويحولون بينه وبين الوصول إلى غايته . ولاريب أن نتيجة هذا كله هى الشر والسوء على الحياتين : العلمية والاجتماعية معا ، وان هذه النقطة هى أولى النقط التى يجب أن يشتغل بمعالجتها المصلحون فى هذه الأمة إذا صح أن فى هذه الأمة مصلحين !.

ولما كان الأزهر عضوا هاما من جسم هذه الأمة ، فقد كان من الطبيعى أن يأخذ بحظه من هذا النهوض ، وقد فعل . بل ان المرحوم الشيخ محمد عبده الذى سمى بحق : الأستاذ الإمام قد خطا بالأزهر فى طريق الرقى خطوة واسعة لابسبب بحوثه الخاصة أو دروسه العامة التى كان يلقيها على الطلاب فحسب ، بل بفضل تشجيعه النابغين وأخذه بأيدى الطامحين إلى الرقى والتقدم ، غير مبال بحنق الأكثرية الغالبة من الشيوخ عليه ورميهم إياه بالمروق والإلحاد فسجل بذلك اسمه فى سجل الخلود بعد أن سجل اسم الأزهر فى طليعة النهضة .

أخذ الأزهر بعد ذلك يتطلع إلى الإصلاح من حين إلى حين فينال منه حظا يختلف كثرة وقلة باختلاف الظروف التى تتم فيها . وقد كان نظام الكليات وتخصصاتها آخر ماحصل عليه الأزهر من إصلاحات حتى الآن ، وإن كان هذا النظام فى حالته الراهنة ليس فى رأينا إلا بصيصا ضئيلا من طلائع أنوار التقدم والإصلاح اللذين يصبو إليهما هذا المعهد العتيد .

فرض هذا النظام على كل من يتقدم إلى شهادة التخصص تأليف رسالة علمية يقوم فيها ببحث جديد على نحو ما تفعل جامعات الغرب. وقد كان كتاب «دراسات فى التوراة».. الذى نحن بصدد تقديمه الآن إحدى هذه الرسائل التى نال بها مؤلفوها تلك الشهادات ، وهو جديد فى نوعه . لأنه اشتمل على بحث خطير لم يسبق إليه حتى فى عصور النهضة الإسلامية فيما نعلم ، إذ أن مؤلفه سلك طريقه إلى التأليف على ضوء البحث الحديث ، فقدمه بمقدمة شيقة أبان فيها الفرق بين الديانات الوضعية والسماوية وانتهى إلى أن هذا الفرق هو سبب زوال الأولى وخلود الثانية ثم انتقل بعد ذلك إلى نظرية صراع العلم والدين فقرر فيها بحق أن الاسلام لا يصطدم مع العلم الصحيح ثم عرج على الديانة اليهودية الأصلية وأثنى عليها واعترف بما أسدته من فضل إلى الإنسانية فى عصورها الغابرة ثم اختتم هذه المقدمة بعهد لا يصدر مثله إلا عن عقلية عالم مؤمن بعلمه ، ونفسية باحث مخلص لبحثه . وقد جاء فى هذا العهد ما يلى : «وقبل أن ألقى القلم منتهيا من المقدمة آخذ على نفسى العهد والميثاق أن لا أتحزب أو أتعصب أو أتعسف أو أتكلف ، وآخذ عليها أن أرد الأشياء ـ بقدر استطاعتى ـ إلى نصابها ، والمسببات إلى أسبابها ، وأن أقول الحق لذات الحق ، مهتديا بقانون الدعوة الاسلامية العام : « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن» .

ولا يخرجنى عن هذه المبادىء الإسلامية السامية مايسمع أزيزه من قومية عاصفة ، وعصبية جارفة » .

وبعد أن فرغ من المقدمة شرع فى موضوع الرسالة فقسمه إلى خمسة أبواب درس فى الأول حياة اليهود الدينية ،

وفى الثانى حياتهم الاجتماعية ، وفى الثالث فرقهم المختلفة ، وفى الرابع كتبهم الدينية ، وفى الخامس التأليه عندهم . وقد قسم كل باب من هذه الأبواب إلى فصول يختلف عددها باختلاف شعب الموضوعات التى عرضت لها . فدرس فى كل فصل جزئية من جزئيات الموضوع العام الذى اشتمل عليه الباب ، ففى باب حياة اليهود الدينية مثلا درس حياتهم الدينية فى عهود : إبراهيم وإسحاق ويعقوب ثم حياة موسى وتفكيره فى إنقاذ قومه ثم وفاته . ودرس كذلك عبادة اليهود للعجل ثم حالتهم بعد موسى ثم انحلالهم فى عهد القضاة إلى آخر ذلك . وقد يكون من المستحسن أن نشير فى هذا الباب الأول على سبيل المثال إلى ماجاء فى الفصل الثانى من الإهانات المروعة التى صبتها التوراة الحاضرة على رأس موسى فوصفته تارة بالكفر وأخرى بالعصيان ، وثالثة بالخيانة ورابعة بالاعتراض على الإله ، وخامسة بنسبته الإساءة الصريحة إلى ربه . وقد أثبت المؤلف هذا كله إثباتا علميا صحيحا ، وسجل إلى جانبه وصف القرآن هذا النبى بأسمى أنواع المجد البشرى . ولا ريب أن فى هذه الموازنة وحدها شهادة صارخة بقيمة التوراة الحاضرة .

وفى الباب الثانى تتبع المؤلف حياة اليهود الاجتماعية والأدبية والعقلية وأطوارها فى عصورهم التاريخية المختلفة . وفصل فى الثالث فرق اليهود وذكر شهيراتها وهى السامرة ، والربانون ، والقراؤون .

فإذا وصلنا إلى الباب الرابع ألفيناه مشتملا على بحوث علمية قيمة تشبه بحوث المستشرقين فى موضوعها وطريقتها ، لأنها تتناول التوراة وأسفارها ونسخها المختلفة التى كتبت فى ظروف متباينة ثم لعبت فيها أيدٍ متناقضة الأغراض والأهواء . وتكلم ـ من هذه النسخ ـ على السبعينية والرومانية والسامرة وأثبت آراء العلماء فى هذا الموضوع الهام ، وذكر أن النسخة السامرة تختلف عن التوراة فى أربعمائة موضع ، وأن هذا لما ينزع الثقة ويستوجب الريب فيها جميعها . ثم عقب على ذلك بسرد آراء العلماء فيمن كتب التوراة للمرة الأولى وهل هو موسى أو عزرا أو غيرهما ثم تدرج من ذلك إلى تسجيل الشبه بين التوراة وبين الديانتين : المصرية والبابلية . وأسند هذا الشبه إلى تأثرها بهما .

أما الباب الخامس وهو آخر أبواب الرسالة فهو غاية فى الأهمية عند المشتغلين بتاريخ الديانات . إذ هو يدرس مابين التوراة والعقل الحر من نفور وخصام ثم يبين كيف أنها بحالتها الراهنة كتاب مادى لاروح فيه ولاحياة ثم هو ينتقل بعد ذلك إلى التطورات المختلفة التى مرت باسم إله التوراة وكيف أنه يدعى تارة : الله ، وأخرى : « أهيه » . وثالثة : « يهوه » . ولكن المؤلف يتبع فى دراسة هذه النقطة نظام النسخة الحاضرة . أما المستشرقون الذين عنوا بتاريخ الديانات ، فقد درسوها على ضوء ترتيب القدم الزمنى الذى ثبت لديهم بعد الدس والتمحيص فعرفوا منه سابقية بعض الأسفار على البعض الآخر ، وإن كان السابق يوجد بعد اللاحق فى النسخة الحاضرة . ويجب علينا للعلم أن نخص بالذكر هنا من بين مشاهير العلماء الذين لهم فى موضوع اسم إله التوراة بحوث شيقة وصلوا منها إلى نتائج قيمة الأستاذ : «دينبوسورا» فى كتابه : «تاريخ الديانات» صفحة ١٨٣ وما بعدها .

عرض المؤلف بعد ذلك فى هذا الباب لأمور وردت فى التوراة ، لها خطورتها ، لأنها تقترب بالديانة اليهودية نحو الوثنية الأسطورية اقترابا ملموسا ، وهذه الأمور تتلخص فى إثبات التجسيمين : المادى والأدبى للإله أو بعبارة أوضح : إثبات الجوارح والأحوال الإنسانية للبارى . فأما الأولى فكالقول الوجه والعينين والأذنين ، والأنف والفم واليدين ، والذراع والإصبع والرجلين ، والقدم والقلب للاستراحة والطعام والشراب ، والظهور فى السحاب والنار ، وفى هيئة إنسان ، أو القول الانفعالات النفسية كالحزن والأسف والندم والغيرة والغيظ والخوف وغير ذلك من صفات البشرية وأحوالها ونسبة كل هذا إلى الله على نحو ما كان ينسبه الإغريق أو البابليون فى آلهتهم الوثنية ثم

أعقب المؤلف هذا العرض التوراتى بموازنة بين هذا الكتاب وبين رأى القرآن فى هذه النقط عينها . وأخيرا اختتم الرسالة بعد أن ألم إلمامة وجيزة بتاريخ التوحيد فى مصر وأشور وبابل ، وبعد أن أبان حظ اليهودية من التوحيد وأثر تلك العقيدة على المسيحية .

كل ذلك فى تعمق يدل على استقامة الفهم ، وتمحيص يبرهن على سعة الاطلاع ، ومنطق يشف عن رجاحة العقل ، وإحاطة تبشر بأمل عظيم . فإذا أضفنا إلى هذه الميزات حسن الأداء ، وسلامة العبارة ، وسلاسة الأسلوب ، وتواضع اللهجة ـ وكلها صفات مكفولة فى هذه الرسالة ـ كان علينا أن نهنىء المؤلف الأستاذ الشيخ عطية الشوادفى بهذا البحث القيم ، وكان عليه هو أن يسعد بنتيجة عمله ، وكان على الأزهر أن يعلق أوطد الآمال على هؤلاء الشبان الناهضين وأن يطمئن لبحوثهم التى سيفخر بها حين تعرض الجامعات الأخرى منتجات أبنائها .

القاهرة فى ٢٠ فبراير سنة ١٩٣٨م

الدكتور محمد غلاب

أستاذ الفلسفة بكلية أصول الدين

إعجاب وتقدير

قرأت رسالة « اليهود والتوراة » لمؤلفها تلميذى النابه فخر شباب الأزهر ، الشيخ عطية إبراهيم الشوادفى فإذا بتلك الرسالة بحث مستفيض ، أحكم المؤلف نسجه ، ووشّى حواشيه ، وجمع فيه إلى التدقيق فى النقل ، واستقاء الروايات من مصادرها الصحيحة تحقيق مايتعارض من الأخبار مبديا رأيه ، مدعما مايذهب إليه بأقوم الحجج ، ودامغ البراهين كل ذلك فى أسلوب سهل ، وعبارات طلية .

وإن قارىء ذلك البحث ليحس ذلك المجهود العظيم ، الذى بذله المؤلّف فى الإلمام بأطراف الموضوع ، وتأليف أجزائه بعضها إلى بعض ، ولا يسعه عند ذلك إلا الثناء على صاحب الرّسالة ، والدعاء له بالنّجح والتوفيق ، وإهداء أعذب التهانى لشيوخ الأزهر ، فقد أورق غرسهم وأزهر ، وأتى بأطيب الثمرات .

١٢ رجب سنة ١٣٥٦هـ

١٨ سبتمبر سنة ١٩٣٧م

محمد أحمد جاد المولى

تقريظ

(١)

أريد لأتحدث عن شخص وكتاب ... لقد تغيرت الأنماط ، ولم تعد الكتب تقدم نفسها إلى القراء بما بين يديها أو خلفها من التقاريظ ، وآثر الذوق الجديد أن يعرف الناس بالكتب ومؤلفيها فى مقدمات تطول أو تقصر حسب رغبة كاتبيها وما أحسبها كيفما كان أمرها إلا هذا التقريظ القديم فى النهاية .. تغير لونه وبقى منه الجوهر لقد أتحوب من هذا التقريظ وأتحرج ، ولكن ماذا يفعل الآباء حين يلح الأبناء ... ؟ لاعلينا اذا ماقلنا كلمة مؤيدة لهمة الشباب الفتى .

(٢)

هأنذا أتحدث عن أزهرى وكتاب دينى ، فلابد من الحديث عن الأزهر ... ولقد أمست المسألة الأزهرية تبدو لى مشكلة هامة فى الحياة المصرية . مشكلة صعبة الحل ، خطيرة الأثر يعوزها الحزم الصامد لتستقر على حال تكون خيرا للإسلام فى مصر والشرق هذا الأزهر يتجدد ذهابا وجيئة ، يأخذ ويدع ويحيى ويقتبس سدد اللهم خطاه وقد كان فيما جدد ، أن قرر درس تاريخ الأديان تحت اسم « الملل والنحل وتاريخها » وهى مادة جديدة لعله لم يفرد لها كرسى فى جامعة أو معهد شرقى بعد . وكانت تلك المادة فى الأزهر من نصيب دعاة الإسلام المتحدثين عنه ، السافرين له بين الأمم فى طلبة أجازة الدعوة والأرشاد ــ وهم أهل ذلك ، وأحق الناس به .

تلونت دراسة هذه المادة فى الأزهر بلون جديد ، خالفت به ــ إلى حدٍّ ما ــ ما عرفت عليه عند الغربيين ، لكنها فى كل حال ، قد دفعت اشياخنا الفتيان إلى الاتصال بالكتب المقدسة من توراة وغيرها ، يجولون فى أفنائها ويتفهمون آياتها ــ كما دفعتهم إلى أن يصيخوا فى شىء من الصبر لآراء المخالفين حين يتحدثون عن أنفسهم ، وأن يتمرسوا بأساليب من الحجاج والنقاش تقوم على أساس غير اللعن والتكفير والسلاطة اللسانية ، والتوعد بالعذاب المهين وان اختلفت حظوظ الطلاب من هذا الاتصال ، وهاتيك الإصاخة وذلك التمرس .

واندفع كثيرون منهم يكتبون رسائلهم التى يتقدمون بها إلى الامتحانات النهائية فى موضوعات من تاريخ الأديان عامة أو خاصة ، فكان اختيارهم لذلك وعملهم فيه معاناة لاتجاه جديدا لهم فيه على كل حال فضل تعبيد الطريق . ورضى بعضهم عما كتب فأحب أن يدفع به إلى الناس يقرءونه ، وجاءنى الشيخ عطية الشوادفى ، وهو رجل صوفى المزاج . وثيق الصلة بالطرق الصوفية واهلها ، جاءنى يتحدث فى عزم مؤمن عن تصميمه على طبع رسالته ، ويرى أن أقدم لها ، ولا يخلينى من ذلك مطلقا ، فنزلت على ارادته ، ولم أتحرج من مقصد هذا الفتى الشيخ المتوثب العزيمة .

(٣)

كتب الشيخ عطية رسالته عن « اليهود والتوراة » على نحو ما سيراها القارئ ، فصارحته قبل اليوم بأنى أوثر له ، مزاولة الأسلوب العلمى الصرف ، لا يعرض لمحاجة ولا مفاضلة ، وهممت أخيرا بأن أشير الى هذه الرغبة فى كلمتى ، لكن زارنى قبل كتابتها صديق قديم ، فقرأ على الفصل الثانى من كتاب « جهادى » للرئيس هتلر ، وهو الفصل الذى شرح فيه بتؤدة كيف كون رأيه فى اليهود ، وما سلك لهذا من اساليب تحليلية واحصائية ، وانتهائه من

ذلك الى أن يقول فى خاتمة ذلك الفصل ما معناه « ولذلك اعتقدت الآن ان الواجب يدعونى الى العمل فى الطريق الذى رسمه لى الخالق القدير ، فإذا ما قاتلت اليهود فأننى أنفذ مشيئة الله » .

فاسلمتنى صوفية هتلر فى هذا الفصل الى شعور غريب ذكرت فيه اجلاء اليهود من الجزيرة العربية ، وحضرنى قوله تعالى : « لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود » . كما مثل أمامى ما أرى وأسمع من اليهود فى هذا العصر ، ولى منهم جيرة قريبة ... ذكرت وذكرت ولكنى لم انته من ذلك الى مثل ما انتهى اليه هتلر من رأى ، الا أنى كففت عن الاعتراض على مسلك الشيخ عطية فى رسالته عن اليهودية والتوراة .

(٤)

وإذا ما خلت كلمتى هذه عن اعتراضى على منهج الشيخ عطية ، فهلا تحمل كلمة ثناء خاص هنا تتصل ثانية بالازهر والمسألة الأزهرية ، فأقول : أن هذه الرسالة صورة لجديد ازهرى أو كالجديد ، فلعل له ما بعده ، ولعله باكورة صالحة ، ولعل الأزهر يذهب بفضل تثبيت دراسة تاريخ الاديان فى مصر أو فى الشرق دراسة صحيحة نافعة .

وأن فى نفسى من طيب الامانى ما أرجو معه ان يكون للشيخ عطية وزملائه فضل المشاركة المتصلة فى تحقيق المثل المرجو منه ودراسة تاريخ الاديان ، بل فضل المشاركة الصادقة ووصل الحياة الأزهرية بالحياة الإنسانية العالمية ... سدد اللهم خطاهم .

أمين الخولى

بســـم الله الرحمن الرحيم

تقديم الأمانة العامة

للاحتفال بالمؤتمر العالمى الرابع للسيرة والسنة النبوية الشريفة

أحمد المولى ـ تبارك وتعالى ـ وأصلى وأسلم على خير من بعثه الله رحمة للعالمين ، سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه الكرام البررة ومن تبعهم بإحسان إلى يوم يقوم الناس لرب العالمين .

وبعـــد

بمناسبة الاحتفال بالمؤتمر العالمى الرابع للسيرة والسنة النبوية الشريفة (المؤتمر العاشر لمجمع البحوث الإسلامية) فى رحاب الأزهر الشريف ، الذى يبدأ ـ بمشيئة الله تعالى ـ يوم الجمعة ١٣ من شهر صفر سنة ١٤٠٦هـ الموافق الأول من شهر نوفمبر سنة ١٩٨٥م ويترقبه المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها ويهتمون به اهتماما كبيرا ويولونه اهتمامهم ولا غروا فهو حول سيرة المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وسنته النبوية الشريفة ، ولأهمية هذا المؤتمر يشارك فيه عدد كبير من علماء المسلمين المتخصصين فى التاريخ الإسلامى ولاسيما السيرة النبوية والسنة وصداه كبير ومبارك فى مشارق الأرض ومغاربها لانعقاده فى رحاب الأزهر قلعة العلم والإيمان ولذا أولاه المسئولون فى جمهورية مصر العربية اهتمامهم وعلى رأسهم الرئيس محمد حسنى مبارك ، رئيس جمهورية مصر العربية الذى تشرف بتوجيهاته الكريمة لإبراز هذا الاحتفال العظيم بما يتناسب وجلال السيرة والسنة النبوية وجلال الأزهر الشريف ، ومكانته العلمية وما أداه من خدمات جليلة للعالم الإسلامى .

ومن هذا المنطلق فقد شكلت لجنة عليا برئاسة فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر للإعداد لهذا الاحتفال وشكلت أمانة عامة للمؤتمر ثم أمانة فنية وأمانة مالية وإدارية وكل من الأمانتين شكلت لجان مختلفة للعمل فى شتى النواحى ومن بينها لجنة التحضير للمؤتمر وقد وقع اختيارها على طبع عدة مطبوعات تقدم هدايا للمدعوين فى هذه المناسبة .

وكان من بين ماتقدم من مطبوعات كتاب « دراسات فى التوراة » لفضيلة الشيخ عطية إبراهيم الشوادفى المدير بالوعظ سابقا ، وقد عهد إلى مجموعة من الأساتذة الفضلاء لاعداد هذا الكتاب اعدادا فنيا وعلميا لاخراجه اخراجا يليق بموضوعه .

ولا يفوتنى فى هذه المناسبة إلا أن أسدى خالص الشكر وعظيم التقدير لكل من أسهم فى هذا العمل الجليل ، خدمة لديننا وأمتنا وأزهرنا العتيد .

والله تعالى نسأل أن يجعل عملنا هذا خالصا لوجهه وأن يجزى الجميع خير الجزاء إنه نعم المولى ونعم النصير .

٢٠ من شوال ١٤٠٥ هـ
٧ من يوليو ١٩٨٥ م

الأمين العام
(أ . دكتور الحسينى عبد المجيد هاشم)

مقدمة

سمو المعارف الأنسانية بسمو موضوعاتها وشرفها بشرف غاياتها وعظمها بعظم فوائدها وميزاتها .

والاديان ـ جملة ـ نالت شرف الأسبقية والأقدمية واعتلت المكان الأرفع والمحل الأوسع فى صدر المعارف الأنسانية أذ وجدت مع الأنسان لأنه متدين بفطرته ومعتقد بغريزته فأصبحت من خصائصه ومميزاته التى لا يستطيع التحلل منها أو التحول عنها فى حياته الفردية[1] والجماعية .

وكل ما يستطيعه بالنسبة إليها الزيادة فيها أو النقص منها أو التشكيل لها أو إحلال غيرها محلها . والشيء الوحيد هو أنه لا يستطيع اقتلاعها من نفسه أو محوها من روحه لأن للعقيدة حيزا فى النفس الأنسانية لابد من شغله إيجابا أو سلبا[2] .

وجميع المحاولات التى بذلت فى سبيل انتزاع الاعتقاد ومحوه من النفس وجعلها غُفْلاً من العقيدة ضاعت سدى وتفرقت بددا[3] .

وها هى تندمل طعنة من الطعنات التى توجه إلى الديانات إذ جاء فى صحيفة الأهرام الصادرة فى يوم ٢٢ / ٦ / ١٩٣٦ م تحت عنوان عام « الدستور السوفياتى الجديد » ما نصه . تحت عنوان « حرية الأديان » : وتقول المادة ١٢٤ : أنه لتوفير حرية الضمير لجميع السكان فأن الكنيسة فى جمهورية الاتحاد السوفياتى تفصل عن الدولة والمدرسة عن الكنيسة وحرية ممارسة الطقوس الدينية وحرية الدعاية ضد الدين معترف بهما لجميع السكان أ هـ .

ولقد كان السوفياتيون من ألد أعداء الفكرة الدينية فى العصور الحديثة ولكن تلك الثورة الجامحة مالبثت أن عاودتها الدينية الرزينة حيث اعترفت بما للعقيدة من سلطان وما للدين من قيمة ......

وقبلها فى العصور الوسطى قام عداء شديد حادّ بين الدين والعلم فى القارة الأوروبية[4] وتلتها الثورة الفرنسية فصبت جام غضبها على الكنيسة ورجالها وما عتمت حتى صارت من أنصارها[5] .

---

(١) الرسالة عدد ١٤٦ ص ٦٥٠ . (٢) روح الاجتماع ص ٨٠ . (٣) الآراء والمعتقدات ص ٩ .

(٤) لما ظهرت النهضة الأوربية قام بعض العلماء بأبحاث علمية عدَّهَا رجال الدين المسيحى زندقة وإلحادا فاشتبك الفريقان فى جدال فى غير اعتدال وأنشئت فى بعض البلاد الأوربية « محاكم التفتيش » لقمع هذه الحركات العلمية زعما منها أنها تقضى على الألحاد فنشأت هُوَّةٌ سحيقة بين الدين المسيحى والعلم .

(٥) كانت للكنيسة أموال طائلة معفاة من الضرائب يتمتع بها فريق من القسس دون فريق آخر مما جعلهم ينادون بأصلاح الكنيسة وإلغاء امتيازات رجالها « القرن التاسع عشر ص ٣ ، ٥ » .

والحق أن تلك الثورات لم تكن الخصومة فيها موجهة إلى الدين نفسه إنما كانت ولاتزال موجهة إلى ممثلى الدين لاعتبارات وظروف خاصة بعقيدة وزمان ومكان على التعيين[1].

وربما كان للسياسة وللعوامل الاجتماعية فى اشتدادها وإخمادها نصيب غير قليل.

على أننا نحمد الله تعالى أن جعل الإسلام داعيا إلى العلم ورسولا إلى السلم فلم يصطدما يوماً ما فى الغابر ولن يصطدما فى المستقبل وأراحنا الدين الحنيف من هذا الخصام الحاد العنيف.

ولقد عرف الإنسان للديانات منزلتها ومكانتها فأحلها محلا يتفق مع كرامتها وأنزلها منزلا يتسق مع قداستها واتصلت بوجدانه وفكره وإرادته فانهمرت سحائبها على تلك الربى الثلاث فاهتزت وربت وأنبتت من كل زهر بهيج وآتت أكلها من كل ثمر نضيج وسمت إلى سماء المعارف المعنوية الراقية والروحانية السامية ابتغاء الوصول إلى السعادة الدائمة الخاصة به والمشتركة بينه وبنى جنسه وارتفعت إلى تنظيم العلاقة المقدسة بين الخالق والمخلوق على أساس الرهبة من عقابه أو الرغبة فى ثوابة أو المحبة فى ذاته أو الاستغراق فى مشاهد تجلياته.

وكيَّف الإنسان حياته حسب مقتضياتها وراض نفسه وفق رغباتها فخففت من حدَّته ولطفت من شدته وقربته من مثله العليا ورفعته عن سفاسفه الدنيا وألزمته الجادة المثلى والمحجة الفضلى.

ذلك شأن السمو فى الأديان عامة. فى موضوعاتها وغاياتها وفوائدها.

غير أن بعض الأديان قد يكون من نسيج الإنسان، من أوهامه وأحلامه، من تأملاته وتخيلاته، من تفكيره وتصويره، من أضاليله وأباطيله، من آلامه وآماله فيكون:

تارة نسيجا ممزقا وثوبا مخرقا لايلبس فى خلوة أو جلوة طبيعته فانية كطبيعة الإنسان قاصرة لخضوعها لوحى المزاج والزمان والمكان متحددة متجمدة للوقوف عند نصوصها، لاتتغلغل فى نفس ولاتسيطر على حس ولا ترعى حرمتها متى أُمِنَتْ سطوتها ولاتكافئ على معروف ولا تعاقب على غير مألوف فتفقد روعتها وجلالها وتكون موضع هزء مَرِيرٍ حرامها وحلالها.

وتارة يكون ذلك النسيج فاضحا جامحا مخزيا مبكيا فاجرا داعرا يحمل عوامل الفناء فى أطوائه فتهدم اركانه ويتحطم بنيانه ويصرعه الحق ويُصدعُه الصدق فيتردى فى الردى إلى أبعد مدى وهو إن استطاع أن يقف على قدميه فبالنار والحديد والعدد العديد وتتبرم به النفوس الرشيدة وتنتهز فيه الفرص لتذيقه الغصص وتمحوه من صحيفة الوجود وكذلك الزبد يذهب جفاء وقد يكون بعض الأديان ذا نفحة قدسية وعبقَةٍ سماوية فله وحده تخشع النفوس لهيمنته عليها وتغلغله فيها وتخضع الرءوس وتسجد الجباه وتنطق الشفاه وتخفق القلوب وتتجافى عن مضاجعها الجنوب عملا بعلمه وامتثالا لحكمه ورهبة من مشرعه ورغبة فى حب واضعه وكلأته أجناد الأرض كما حرسته اجناد السماء وكان فى رعاية الله الذى له مقاليد السموات والأرض وبيده ملكوت كل شىء ومادام فى رعاية الله تقاصرت عنه يد الزمن فلا تمتد له بسوء ويكتب له الخلود فى سماء الوجود.

ذلك شأن الديانات السماوية تبقى إلى يومها الموعود وأجلها الممدود وأما ماينفع الناس فيمكث فى الأرض.

والديانة اليهودية أحدى الديانات الكبرى الثلاث التى تنسب إلى السماء فى الأصل عن موسى عليه السلام ولها

(١) العصور سنة ١٩٢٩ م المجلد الخامس العدد ٢٨ مقال بين العلم والدين ص ١ ـ ١٨.

أثر واضح فى تكييف العقلية الشرقية أذ تولت تعليم أمة من أمم الشرق فى عصور مبكرة ووجهتها إلى ناحية من التفكير هى ناحية التوحيد .

وسنرى أن شاء الله أن تلك الناحية ليست وليدة لها ولا خاصة بها ولاقاصرة عليها ولا سابقة إليها بل كل ما كان لها أنها جعلتها حلْقة تتصل بماض سبقها ومستقبل لحقها إذ عرفتها شعوب قبلها وعرفتها شعوب بعدها وهى بين ذلك لها طابع خاص وأثر غير خفى فى تلوين هذه الناحية بلون واضح ودعت إليها وحثت عليها وتكلمت عنها فى غير أنجاز وغير ألغاز .

وسنرى أيضا أن شاء الله مقدار وضوح هذه الناحية فى حينه ومقدار خلوصها من شوائب التعدد . غير أنه للزمن ـ سامحه الله ـ على تلك الديانة وثبات . وضربات هزتها وزلزلتها . وصدعتها صدوعا قد لاتلتئم أن لم تنهدم ومرت عليها أدوار وأطوار .. أماتت شبيبتها . وأحيت شيبتها فأدركها مايدرك الكائنات المادية . والمعنوية من الهرم وربما أدركها الفناء .

على أنها لاتزال إلى يوم الناس هذا تغذى ناحية من العواطف الإنسانية عند قوم جاهدوا أحداث الزمن وجالدوا ماجرته عليهم الأحقاد والأحن وتقاذفتهم الحوادث وتلقفتهم الكوارث . حتى أظلهم الإسلام فكانوا من نقلة المعرفة بين الشرق والغرب وخاصة فى أسبانيا الإسلامية .

ويقول أهل هذه الديانة أنهم شديدو التمسك بها .. والأخلاص لها والتفانى فيها وسيحدثنا التاريخ عما كان لهم . فى تلك الحقيقة المتطاولة وسيكشف النقاب عن حياتهم بمقدار مايسمح به ذلك القدم السحيق .

ولتلك الديانة نواح متعددة أوضحها الناحية الدينية الألهية وخير مايعبر عنا أصدق تعبير ويصورها أدق تصوير الأسفار الخمسة التى ينسبونها إلى موسى عليه السلام ويسمونها التوراة .

وهذه الديانة ميدان فسيح الأنحاء مترامى الأرجاء للبحث والدرس غنية بالمعلومات التى ينشرها الباحث الإسلامى ويجد فيها متاعا يستشف منه كثيرا مما يؤيده فى مهمته . ويستخلص منه كثيرا جدا مما يرشده إلى محجته ويظهر له جليا معنى قوله تعالى : « ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم » ويبين له معنى قوله عليه الصلاة والسلام : « لقد جئتكم بها بيضاء نقية ولو كان موسى حيا لما وسعه إلا اتباعى »[1] : وقد فطن لهذه الخصوبة فى اليهودية بعض علماء المسلمين المتقدمين فانتفعوا ونفعوا واستفادوا وأفادوا ودونوا معلوماتهم القيمة فأرضوا ربهم . ونبيهم . وضمائرهم . وخلدوا آثارهم وأحيوا ذكرهم فجازاهم الله خير الجزاء .

وفى العصر الحاضر شعرت الرءوس المفكرة والنفوس الإسلامية الخيرة بتبعة ملقاة على عاتقها وهى توجيه الإنسانية الحائرة فى العصر الحاضر توجيها يكفل لها الخير التام والنفع العام فى دينيتها وخلقيتها وروحانيتها جملة فمهدت السبيل لدراسة الديانات جميعها . ودبجت أقلامهم أبحاثا مستفيضة ألقت أشعة قوية أضاءت الطريق للباحثين . غير أننا نلاحظ على هذه المؤلفات مايأتى :

(أ) أنها ظهرت فى عصور متأخرة فى منتصف القرن الخامس الهجرى لأن مهابة الإسلام وشخصيته جذبت

---

(١) الحديث : قال عمر الفاروق رضى الله عنه للنبى صلى الله عليه وسلم : أنا نسمع أحاديث من يهود تعجبنا أفترى أن نكتب بعضها ؟ فقال أَمُتَهَوِّكُونَ أنتم كما تهوكت اليهود والنصارى ؟ لقد جئتكم بها بيضاء نقية ولو كان موسى حيًّا لماوسعه ألا أتباعى » « حجة الله البالغة ج ١ ص ١٦٨ طبع بولاق سنة ١٢٩٤ هـ » .

إليه قلوب أحبابه ، وكمت أفواه أعدائه نظرا لقوته الطبيعية الذاتية ، ونظرا لقوته الصناعية قوة أهله وسلطانهم .

فلما ابتدأ هذا السلطان يقف إلى حد . وابتدأ أهله يضعفون أخذ أعداؤه يكيدون له فظهرت الفرق المبطلة ، والنحل الفاسدة فانبرى المخلصون للرد عليهم وأرجاع آرائهم إلى منابتها الأولى . فكتبوا فى الديانات تبعا لا قصدًا وهذا يؤيد النظرية القائلة : أن المعنويات كالماديات سواء بسواء وخاصةً الأجسام متى كانت ذات منعة طبيعية بذاتها وذات حصانة صناعية بأهلها تناثرت على جوانبها رماح الأعداء . وتحطمت على صخورها سهامهم .

أما إذا لم تكن ذات قوة طبيعية فأن الأمراض والعلل تنتابها والحق أنه لولا قوة الإسلام الذاتية لاستطاعت الأربعة عشر قرنا أن تنال منه ، ولما قاوم هذه المقاومة ، وهذا هو السر الذى أودعه الله فيه وأنزله وحيا يتلى.

لو كان من عند غير الله لاختلفت ... آياته أو تَدَلَّى من أعاليه
لو كان من عند غير الله أدركه ... مايدرك الحيَّ أوعاث البلى فيه
لكنه ــ وجلال الله تَّوجه ــ ... يروى على الدهر والأيام تمليه
مع الزمان كتابَ الله سر قُدُماً ... وانشر لواءك حتى البعث يطويه

(ب) أن الناحية المسيحية تتحكم فى توجيه أعظم الجهد إليها وخاصة فى هذا العصر نظرا لنشاط أهلها فى الدعاية إليها وربما توجه النظر إلى الناحية اليهودية لقيام أهلها بمحاولة دينية فى الوقت الحاضر.

(جـ) أن الكتابة الإسلامية فى الأديان متلاحقة على عصور متفرقة .

(د) أنها قليلة بالنسبة إلى مايجب أن تكون عليه .

٢ ــ وضعفهم نشط أعداء الإسلام فى الكيد له فاضطر المسلمون إلى الدفاع عنه .

١ ــ اتصال المسلمين بالفلسفة أيام ترفهم العلمى واستقرار حضارتهم اضطرهم إلى التوفيق بين عقيدتهم وماوصل إليهم من طريق هذه الفلسفة .

٢ ــ وضعفهم نشط أعداء الإسلام فى الكيدله فاضطر المسلمون إلى الدفاع عنه .

٣ ــ وبعضها اتبع طريق العرض والنقد . وهذا النوع لم يكتب فيه إلا الأقل من القليل .

(و) وأن الكتابة فيها لم تكن موضوعية بل تناولت الكلام أجمالا عن كل ديانة وفرقة ونحلة يعرفونها وشأن الإجمال أن يبهم فى غير موضوع .

هذه ملاحظاتى الشخصية على المؤلفات الإسلامية فى دراسات الأديان والآن فعلى الواعظ الإسلامى فى الوقت الحاضر أن يقف فى ميدان الدعوة الإسلامية والأرشاد أليها مسلحا بأحدّ سلاح وأمضاه وذلك لايكون إلا بدراسة الكتب الدينية على اختلاف منازعها دراسة تمكنه من معرفة مافيها وأدراك ظاهرها وخافيها ليتسنى له تذليل مايصادفه من عقبات ودحض مايلاقيه من شبهات عند قيامه بواجبه الإسلامى المقدس .

وأنى لعلى يقين بأن الباحث الإسلامى برفقه وأناته ورغبته العلمية فى النفع والانتفاع يستطيع فهم تلك الكتب فى غير عناء وهضمها فى غير مشقة واستثمار معلوماته المستخلصة منها استثمارا يكفل له النجاح هذا من جانبه الشخصى .

أما من جانب هذه الكتب فمن الخير لها كل الخير أن تتناولها بالبحث أفهام مؤمنة وأقلام مسلمة تتدبرها . وتقدرها ــ وتضعها فى مكانها اللائق بها وكما وجدت العطف عليها من الجانب الإسلامى أيام أن شملها بسلطانه

فتنفست وعاشت كذلك ستجد هذا العطف الصادق من الباحث الإسلامي فيعطيها ماتستحق من تقدير وأنصاف.

وستكون النتيجة لهذه الأبحاث الإسلامية مايأتى :

(أ) أن يزداد الذين أوتوا القرآن أيمانا إلى أيمانهم، ويقينا إلى يقينهم وطمأنينة إلى دينهم.

(ب) وأن يعلم الذين أوتوا العلم أن القرآن هو الحق من ربهم فيؤمنوا به وتخبت له قلوبهم.

(جـ) وأن يفتح الله للقرآن آذانا صما وعيونا عميا وقلوبا غلفا.

(د) وأن يستيقن المنافقون والذين فى قلوبهم مرض والمرجفون فى الإسلام أنهم ليسوا على شىء وأن نواياهم أصبحت مكشوفة لكل ذى عينين وأنهم بأقوالهم وأفعالهم وحركاتهم وسكناتهم يعطون للإسلام فرصة تمكنه من مقتلهم وقوة ضد زندقتهم وأنهم يوقظون شعور أهله فيتبارى أعلامهم وتتجارى أقلامهم تبديدا للأوهام وتأييدا للأسلام. ويحق الله الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين.

وأقول من جانبى :

(أ) استثمارا لمعلومات هذه الديانة فى خدمة الدعوة الإسلامية فى عصرها الحاضر.

(ب) واقتداء بسلف الأمة وخلفها وتشييدا لما أسسوه وتعهدا لما غرسوه وانتفاعا بمجهوداتهم الطيبة التى لها الفضل الأكبر والخطر الأوفر فى ظهور هذه الرسالة ـ دراسات فى التوراة ـ وتكوين عناصرها ـ وكل مالى فيها أننى جمعت الأزهار من بساتينهم ونسقتها بمقدار ما آتانى الله من مواهب وكفايات.

(جـ) ومشاركة فى شعورهم بالحاجة الملحة بالقيام بالواجب المقدس « هداية الإنسانية ».

(د) وتمهيداً لطريق البحث وتعبيداً لسبيل الدرس لمن يقفو أثرنا ويأتى بعدنا عساه يهتدى لأحسن مما اهتدينا إليه ويوفق إلى أجمل مما وفقنا إليه.

(هـ) وعملا بما تمليه الظروف الحاضرة من تغيير أساليب الدعوة الإسلامية الحديثة وخروجا من الموقف السلبى إلى الموقف الإيجابى لأنه موقف القوى ولأنه يوجد لأصحاب تلك الكتب ـ بحق ـ مايشتغلون به من خَلْقِ مفتريات علينا لاتقنع الحق ولا ترضى اليقين.

(و) واستجابة لطرافة هذا الموضوع وجدّته.

أقول لهذا كله اخترت الكتابة فى تاريخ الأديان فى الديانة اليهودية فى التوراة الحالية لأنها متفق عليها بين جمهور اليهود والنصارى ومسلم بها ومعتبرة الحجر الأساسى للديانتين ـ اليهودية، والنصرانية ـ واهتممت أيضا بالناحية الألهية فيها لأنها :

(أ) صلب العقيدة اليهودية وأوضح شىء يستدعى النظر فيها.

(ب) ولدحض القول بأن اليهودية أقرب الأديان إلى الإسلام وبيانى أن الإسلام بعيد عنها وأنه لا صلة تربط اليهودية المتمثلة فى التوراة الحاضرة بالإسلام كما لاصلة بين الباطل والحق والكذب والصدق واقتصرت على ذلك تحديداً للبحث تحديداً يساعد على بلوغ الكمال بتيسير الله تعالى.

عهد وميثاق

وقبل أن ألقى القلم مبتهيا من المقدمة آخذ على نفسي العهد والميثاق أن لا أتحزب أو أتعصب أو أتعسف أو أتكلف وآخذ عليها أن أرد الأشياء ـ بقدر استطاعتي ـ إلى نصابها والمسببات إلى أسبابها وأن أقول الحق لذات الحق مهتديا بقانون الدعوة الإسلامية العام « أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن » ومقتديا بالقانون الخاص بدعوة أهل الكتاب « ولاتجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن » .

ولن يخرجني عن هذه المبادىء الإسلامية السامية مايسمع أزيزه من قومية عاصفة وعصبية جارفة وأن كنت أعتقد أن العصبية قوة والقومية فتوة والتهاون فيها انحلال فاضمحلال فزوال .

غير أني ساتعصب لشيء واحد فقط ألا وهو الحق وحده وللحق قدسية فوق كل اعتبار .

المؤلف

عطية إبراهيم عطية الشوادفي

« جمال الدين »

الباب الأول
حيـاة اليهود الديـنيـة

تمهيد

يجمل أن يعرف القارىء أننا سنكتب ألمامة عن :

(أ) الأمة اليهودية التى ظهر من بينها موسى عليه السلام لأنها الأمة التى أنجبته وترعرع فى ظلها وشب وشاب بين أهلها ثم ماكان لهم فى العصور المتطاولة بعده إلى الآن لنعرف مقدار تدينهم وكيف احتفظوا بتراثهم الدينى خاصة « التوراة » كتابهم المقدس حتى وصل إلينا عن طريقهم وسيكون البحث بمقدار ماتمس به الحاجة إلى الاستضاءة الكافية عن حياتهم الدينية والاجتماعية والأدبية والفكرية .

(ب) موسى عليه السلام نتعرف بها شخصيته ونتفهم بها نفسيته ونصوره للقارىء كما فى التوراة لأنه المؤسس الأول للديانة اليهودية وصاحب التوراة .

(جـ) الفرق اليهودية وخاصة من لها وحدها رأى فى التوراة الحالية .

(د) كُتُب اليهود الدينية عامة والتوراة خاصة وآراء الباحثين فيها .

(هـ) ثم نسوق كلمة عن قانون دراسة التوراة وطريق فهمها وكيفية تناولها .

(و) التأليه فى التوراة .

وفى ذلك كله نعرض آراء التوراة باعتبارها المصدر الأول فى هذه الرسالة ثم آراء الباحثين ثم نلم بالرأى الإسلامى فى المواضع التى يكون للإسلام فيها رأى خاص يمثله القرآن الكريم لأنه أقدم مرجع عربى صحيح يرجع إليه ويعتمد عليه فى تقرير كثير من الحقائق التى تتصل بهذا الموضوع دينيا وتاريخيا قال تعالى :

« ان هذا القرآن يقص على بنى إسرائيل أكثر الذى هم فيه يختلفون وأنه لهدى ورحمة للمؤمنين » .

وعلى هذا ستكون الرسالة ذات ناحيتين :

١ ــ ناحية تاريخية مستقاة من التوراة وبقية أسفار العهد القديم وبعض المراجع الأخرى نظرا لأهمية القصص فى التوراة واستكمالا للصورة التاريخية الدينية والاجتماعية والأدبية والفكرية وسنضطر إلى مَس التاريخ العام لاتصاله بالتاريخ الدينى والاجتماعى والأدبى والفكرى اتصالا يصعب معه فصل واحد منها عن الآخر .

٢ ــ ناحية دينية مشتقة من أسفار التوراة الخمسة الأولى فقط تدور حول التوراة والتأليه فيها .

الفصل الأول

اليهود قبل موسى عليه السلام

اليهود قوم ساميّو الأصل وهم أحفاد إبراهيم عليه السلام وكانوا قديما يسمون العبرانيين[١] ثم الإسرائيليين[٢] ثم اليهود[٣].

ويعترض الباحث فى تاريخهم الصعوبات التى تعترض كل باحث فى تاريخ العصور الأولى لأن مصادر البحث لما تستكمل وبعضها رهن الكشف المتجدد والتنقيب المتعاقب فى بابل وآشور ومصر.

ولم يكتب المؤرخون المحدثون إلا رسائل قصيرة عن هذه العصور وخاصة ماكتب باللغة العربية.

وماكتبه العرب الأولون فيه كثير من الأبهام والغموض وتقطع الفكرة وعدم الترتيب والتطويل الممل واختلاف غير قليل فى الأسماء والأسنان لاعتماد هذه الكتب جميعها على نسخ الكتاب المقدس الذى يعتبر المصدر الأول ولاعتمادها أيضا على الروايات الشفهية عن أهل الكتاب ومع هذا سنعتمد على الكتاب المقدس مضطرين إلى ذلك مع اعتماد بعض المراجع الأخرى.

ونجد الكتاب المقدس يتحدث عن أصل العبرانيين منذ الطوفان فيقول «كان الناس أمة واحدة بعد الطوفان وأن بعض مهاجرى الشرق وصلوا فى رحلتهم إلى سهل سنعار»[٤] وزعموا أنهم أن لم يبنوا مدينة لها برج يصل إلى السماء فسيتفرقون على وجه الأرض وتمثل هذا الشعور كفكرة دينية فاعدوا العدة لها فنزل[٥] إله التوراة فبلبل هناك ألسنتهم وشتتهم خوفا منهم ثم عكفوا على أصنام لهم فاختار الله إبراهيم عليه السلام ولم يعرف بالضبط[٦] تاريخ مولده وأرساله وموطنه الأصلى أور الكلدان موطن المدنية أذ ذاك بمدينة خالد بجزيرة ابن[٧] عمر ثم أمره الله تعالى بالهجرة إلى كنعان[٨] فهاجر إليها[٩] ومعه سارة ولوط عليه السلام.

---

(١) أختلف فى هذه النسبة فقيل نسبة إلى مدينة عبرا تقع شرق الفرات «المعارف الإنجليزية» وقيل من أسم أبرام «التاريخ القديم» ص ١٨ وقيل من عابرا أسم الجد الخامس لأبراهيم عليه السلام وقيل من العبور وهو الأنتقال وعله القريب من الصواب «تاريخ الملل والنحلل للخولى».

(٢) نسبة إلى إسرائيل وهو يعقوب عليه السلام واشتقاق هذا الإسم مشكوك فيه والمصطلح عليه «فى غير الإسلام» أنه أمير مع الله «معارف الإنجليزية» ولكن بتحليل اللفظ العبرى «إسرائيل» يكون المعنى غالب الله القادر «تاريخ الملل والنحلل للخولى».

(٣) معنى لفظ يهود فى اللغة العربية أما من هاد بمعنى رجع وتاب وإما من التهود بمعنى التحرك عند القراءة. وقيل نسبة إلى يهوذا أكبر ولد يعقوب عليه السلام وقلبت الذال دالا عند التعريب «تاريخ الملل والنحلل للخولى».

(٤) سهل سنعار هو الجزء الأدنى لدجلة والفرات ويقال له بلاد سومر وعقاد وهو سهل خصب طوله سبعون ميلا ومناخه كمناخ البحر الأبيض المتوسط وفى وسطه أقيمت مدنية نيبور وبها أقيم برج أبليل آلهة الهواء وهو بناء يشبه الهرم المدرج وفى قاعدته محل العبادة والقرابين وبه غرف لرجال الدين وغرفة للملك باعتباره الرئيس الدينى الأعلى وفى أعلى البرج غرفة الأله وحول هذا المعبد بنيت دور العمال محاطة بسور «مذكرات دار العلوم ع لحسن مراد».

(٥) تكوين ص ١١ : ٥. (٦) فى التاريخ العام حوالى سنة ٢٢٧٦ ق م وفى دائرة المعارف الإنجليزية سنة ١٩٢١ ق م.

(٧) دائرة فريد وجدى ج ١ ص ٢٨١ ولم أقف على تعيين هذا المكان.

(٨) جنوب فلسطين الحالية «مذكرات الدكتور زيادة» وفى تاريخ الإسرائيليين هى فلسطين الحالية.

(٩) قيل حوالى سنة ٢٠٠٠ ق م «كتاب التاريخ العام» وقيل فى القرن الحادى والعشرين ق م «تاريخ الأسرائيليين».

وكانت حياة إبراهيم عليه السلام حياة بدوية ونزل فى رحلته مدينة جاران[1] ومكث بها إلى وفاة والده ثم وصل إلى شكيم[2] ثم رحل إلى مصر أثر مجاعة[3].

وهنا تقف التوراة من إبراهيم موقفا لايرضاه الشرف والمنطق فتقول : أنه اتفق مع زوجته سارة على الكذب وتجعله كالمحتال بعرضه فى سبيل الرزق[4] والقرآن الكريم لايعتبر هذا ولا يقول به .

ثم عاد إلى كنعان ومعه لوط وكانا غنيين جدا ثم تفرقا لاختلاف رعاتهما فذهب لوط إلى سهل الأردن وذهب إبراهيم إلى حبرون[5] ثم أسر لوط أثر غارة على قراهُ فانقذه إبراهيم عليه السلام ..

وللتوراة موقف مع لوط يشبه موقفها مع إبراهيم فتقول : أن لوطا سكر وأتى ابنتيه على ليلتين متتاليتين واستولدهما موآب وعمون[6] .

وأقول أن أمثال هذه الأشياء لاتليق نسبتها بأقل الناس فضلا عن عظمائهم وأنبيائهم لأنها تخل بمراتب النبوة .

ثم أعقب إبراهيم إسماعيل وإسحاق[7] .

وإسحاق رزق كثيرين أكبرهم عيصو وأصغرهم يعقوب أبو الأسباط الأثنى عشر وهو الذى غش[8] أباه وأخاه عيصو ثم اشترى البكورية بطبق من عدس أقول وهذه تلحق بسابقتها غير أنها تزيد عما تقدم نسبة مالا يليق به تعالى حيث أثر خداع يعقوب ـ التوراة عنده تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا .

ثم هرب يعقوب من أخيه ونزل أجيرا عند عمه لابان وتزوج بابنتيه بعد أن قَبِلَ أحداهما وكان لابان هذا غاشا وثنيا .

وهذا موقف آخر مع يعقوب حيث عاشر الوثنيين ولم يثبت فى التوراة الحاضرة انه نهاهم أو انتبذهم .

وأقول هذه الأشياء لا تليق بأنبياء الله عليهم السلام .

وعند عودة يعقوب إلى أخيه عيصو صارعه « إله التوراة » فى صورة إنسان فصرعه يعقوب فخلع إله التوراة حق فخذ يعقوب وباركه وسماه إسرائيل[9] ومن ذلك الحين أصبح لفظ إسرائيل لقبا لاحفاد يعقوب عليه السلام الأسباط الأثنى عشر .

ولا نعرف عنهم إلا القليل لخمول ذكرهم .

---

(١) فى الشمال الشرقى بين الفرات والخابور .

(٢) هى مدينة نابلس اليوم تقريبا .

(٣) يقال كان ذلك فى عهد أمنحتب الثالث من الاسرة الثانية عشرة حوالى سنة ٢١٠٠ ق م إلى سنة ٢٠٠٠ ق م « أهرام ٣ شهر ٦ سنة ١٩٣٦ م ص ٣ ع ٤ » .

(٤) تكوين ص١٢ ، ٢٠ .

(٥) مدينة الخليل اليوم .

(٦) تكوين ص ١٩ .

(٧) حوالى سنة ٢٢٦٩ ق م « التاريخ القديم » .

(٨) تكوين ص ٢٧ .

(٩) تكوين ص ٣٢ .

فشمعون وليفى كانا سفاكين ذبحا أهل قرية من قرى الحثيين[١] انتقاما من ملكهم الذى نجس أختهم[٢] .

ويلاحظ أن يعقوب لم ينكر على أولاده قتل من لم يرتكب ذنبا أو يفارقهم أن كان مغلوبا على أمره ويكفى فى التعليق على هذه الفقرة مافيها من مخالفة للواقع حيث أن اثنين يغلبان قرية بأجمعها لم يكن بهم سوى ألم الختان .

وأما يهوذا فيعرف عنه حوادث حب غير[٣] برىء وأنه باع مع أخوته يوسف عليه السلام لمن حمله رقيقا إلى مصر وباعه إلى أحد حاشية فوطيفار[٤] .

وأما يوسف عليه السلام فتاريخه معروف وأنه ارتقى بفضيلته وطهارته خزائن مصر[٥] .

وجاء يعقول وبنوه إلى مصر عقب مجاعة بكنعان فأقطعهم فرعون أرضا فى جاسان فى مديرية الشرقية[٦] الحالية فى أرض الوادى[٧] قرب مدينة الزقازيق[٨] .

وبعد وفاة يعقوب ويوسف بفترة لم يعرف مداها المؤرخون[٩] جاء ملوك لم يعرفوا تماما[١٠] اضطهدوا اليهود واستعبدوهم واستعملوهم فى المهن الحقيرة وخاصة صنع اللَّبِن فبنوا مدينتى فيتوم ورعمسيس[١١] .

وتذكر التوراة أن سبب اضطهاد اليهود هو كثرتهم التى أقلقت بال المصريين خروج ص ١ : ٩ ، ١٠ هو ذا شعب أكثر وأعظم منا هلم لنحتال لهم لئلا ينمو فيكون إذا حدثت حرب أنهم ينضمون إلى أعدائنا ويحاربونا .

ويرى العلماء أنهم « اليهود » كانوا قلة أذلة وفى أحصائهم التوراتى مبالغة مما يؤيد ماجاء فى القرآن الكريم فى سورة الشعراء « أن هؤلاء لشرذمة قليلون » فوصفهم بالقلة .

ويلاحظ على تعليل التوراة اضطهاد اليهود بخوف المصريين مايأتى :

(أ) أن مصر فى الفترة التى يحتمل فيها وقوع الاضطهاد فيها على الإسرائيليين بوجه التقريب « من سنة ١٥٠٠ – سنة ١٢٧٣ ق م » أى من عهد تحتمس الثالث من الأسرة الثامنة عشر الذى هو نابليون مصر القديمة والذى قام بثمان حملات حربية انتصر فيها وأقام ألواحا تذكارية على شاطىء الفرات الشرقى وهابته الدول المجاورة

---

(١) الحيثيون أمة كان مقرها آسيا الصغرى وكان لها مُلْك بالشام عاصرت الأسرة الثانية عشرة المصرية وطردتها الاسرة التاسعة عشرة فى عهد رمسيس الثانى من الشام .

(٢) تكوين ص ٣٨ .

(٣) تكوين ص ٣٨ .

(٤) هو أبوبى الثانى من الهكسوس من الأسرة السابعة عشر حوالى سنة ١٥٨٠ ق . م « أهرام ٣ شهر ٦ سنة ١٩٣٦ م » .

(٥) فى التاريخ القديم حوالى سنة ٢٠٩٦ ق . م « ويلاحظ أختلاف الأسنان أختلافا فاحشا يصعب معه التوفيق » .

(٦) مذكرات خطية للدكتور زيادة .

(٧) كناش فى الفلسفه للأستاذ أمين الخولى .

(٨) العقائد لعمر عنايت .

(٩) يقال أنها حوالى سنة ٢٠٧٦ ق م ١٦٤٥ ق م « المدور » .

(١٠) يقال إن أول من اضطهدهم رمسيس الثانى ١٣٥٥ ق م من الأسرة التاسعة عشر « دائرة المعارف الإنجليزية » وقيل تحتمس الثالث من الأسرة الثامنة عشر أما فى عهد رمسيس الثانى فاشتد اضطهادهم « زيادة » أو أحمس الأول أول الأسرة ١٨ طرد الهكسوس وذهب إلى كوش وعدلت الاضطرابات الداخلية .

(١١) أكتشفنا فى تل المسخوطة سنة ١٨٨٣ م قرب مدينة الأسماعيلية الآن وتقعان شرقى فى خط ٣٢° طولا شرقا وجنوبى خط ٣١° عرضا شمالا تقريبا « لدين إسرائيل وخريطة الكتاب المقدس » .

وبنى المعابد والمسلات والقصور وأثرت أعماله فى شرقى آسيا جميعا إلى عهد رمسيس الثانى سنة ١٣٤٠ ـ سنة ١٢٧٣ق م من الأسرة التاسعة عشر الذى حكم سبعة وستين عاماً وحالف الأمم المجاورة .

لايعقل أن تكون مصر فى هذه الفترة « عهد الأسرة ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ » الذى هو بلوغ القمة فى المجد المصرى القديم خافت بأس اليهود وهم على ماتصف توراتهم من قيمتهم الاجتماعية والمصريون بيدهم الحكم والعلم والقوة والسيادة واليهود فى عداد الطبقة الثالثة .

(ب) والذى يعقل أن تكون نشوة القوة قد أثرت على الأمة المصرية فاعتزت بعصبيتها واعتدت بجنسيتها وأصلت الأجناس الدخيلة سوء العذاب فأصاب شواظه اليهود .

(جـ) ولعل ما فى القرآن الكريم يشير إلى هذا المعنى « أن فرعون علا فى الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم أنه كان من المفسدين » .

فالقرآن الكريم يحمل فرعون تبعة هذا الأسراف والغلو فى مطاردتهم واضطادهم .

وفى فترة هذا الاضطهاد ولد موسى عليه السلام .

الفصل الثانى

موسى عليه السلام

موسى عليه السلام نبى اليهود وزعيمهم الفكرى وقائدهم الحربى من سبط لاوى وزمن ميلاده غير محقق [١] وقد وقع اضطهاد الإسرائيليين قبله فرأت أمه مالحق بأمثاله فوضعته فى التابوت وألقته فى اليم ـ النيل ـ فالتقطه آل فرعون وحياة موسى الأولى لاتشير إليها التوراة .

وتقول دائرة المعارف الانجليزية : أن ابنة فرعون ربت موسى وعلمته تعليما راقيا حتى عرف أسرار العلوم المصرية دينية وطبيعية وحكومية وتستدل على ذلك بأعماله .

وفى كتاب التاريخ القديم : أن موسى أخذته ابنة فرعون وأسلمته إلى مؤدب يقرأ عليه جميع العلوم المعروفة عند القبط .

وفى التاريخ العام أنه تلقى علوم كهنة مصر وكانت أمه قد علمته أصله ودينه سرا [٢] . اهـ .

والقرآن الكريم لم يشر إلى أن موسى تعلم شيئا فى حياته الأولى قبل فراره إلى مدين .

وعلى فرض صحة ماجاء فى دائرة المعارف الانجليزية وكتب التاريخ فلا تعارض بينها وبين القرآن الكريم لأنه لم يتعرض لهذه المسألة نفيا أو أثباتا وكل ما جاء فيه هو أن موسى أوتى النبوة والرسالة بعد فراره من مصر إلى مدين . قال تعالى حكاية عن موسى : « ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما » أى لما بلغ أشده وهو ثلاثون أو ثلاث وثلاثون سنة إلى

(١) حوالى سنة ١٦٠٠ ق م « دائرة المعارف الإنجليزية » أو سنة ١٧٢٥ ق م « التاريخ القديم » .

(٢) لا نعرف كيف علمته أمه وهل كانت متعلمة ! أن بنى اسرائيل كانوا لا يعرفون شيئا أذ ذاك فكيف يقال علمته دينه !

الأربعين[1] آتاه الله حكمة وعلما بالدين والشرائع أو علم الحكماء وسمتهم قبل استنبائه .

ومعقول جدا أن يكون موسى قد تعلم المعارف والعلوم المصرية أو طرفاً منها على الأقل لأنه نشأ فى بيت فرعون وتربى فيه « ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين؟ » .

ولاشك أن بيت فرعون كان على علم أى علم بالديانة المصرية وتشريعها والعلوم السياسية والطبيعية وغيرها ولا يعقل أن يكون موسى بعيدا عن معرفة التيارات العلمية التى تجرى فى بيت فرعون .

ولا ضرر فى ذلك لأن موسى عليه السلام إذا علم الديانة المصرية ومافيها من رشاد وفساد ثم أوتى العلم الكامل النافع الصحيح كان ذلك أدعى لشكر النعمة ومعرفة قدرها والعمل على نشرها .

على أن الذى يريد أن يقرره القرآن الكريم هو أن موسى عليه السلام تعلم الديانة اليهودية الحقة التى نزلت من السماء بوحيه تعالى ولم يكن ذلك عن طريق أى إنسان .

ثم بعد ذلك تقول الدائرة : « أن موسى ذهب رحلته إلى اثيوبيا ـ الحبشة ـ كقائد حربى وانتصر هناك وكان سنه إذ ذاك أربعين سنة ولم تشر التوراة الحالية إلى تلك الرحلة وكذلك القرآن الكريم .

وعلى كل فمدار صحة الخبر على النقل الصحيح ولا نعرف مايوثق به فى هذا الموضوع .

ثم رأى موسى ذات يوم مصريا يضرب عبريا فغضب موسى على المصرى فوكزه فقضى عليه .

وتقول التوراة الحالية : « أن موسى تَلَفَّتَ هنا وهناك فلما لم يجد أحدا قتل المصرى وطمره فى الرمل[2] » فكأنه قتل المصرى متعمدا ولم تقل أنه تاب من ذلك .

أما القرآن الكريم فيبين أن موسى فرط منه ذلك قضاء وقدرا بلا تعمد وأنه وكزه ـ ضربه بجمع كفه ـ فى صدره فقضى على المصرى . ومع ذلك استغفر بعد أن أسند عمله إلى الشيطان المفسد فى الأرض تبرؤا من ذلك العمل . وهذا هو الذى يليق بمقام النبوة والرسالة لأنهم بعثوا مصلحين لامفسدين .

وأخيرا فرَّ موسى إلى مدين وهناك تزوج بنت يثرون كاهن مدين والقرآن الكريم لم يسم صراحة من تزوج موسى ابنته ورأيت فى تفسير أبى السعود أن اسمه شعيب[3] ولم يشر إلى مأخذ ذلك .

ومكث موسى فى مدين أربعين سنة وطبعا كان للحياة البدوية فى نفسه أثر غير أثر الحضارة التى نشأ فيها فى ربوع وادى النيل .

وفى كتاب مرآة الأيام لخليل مطران ـ أن موسى فر إلى يثرب فى الحجاز وهناك رأى ماكان عليه دين آبائه وماكانت عليه اليهود من الرخاء فى البادية فعزم على أنقاذ قومه من مصر .

وألاحظ على ذلك مايأتى :

(أ) لم تشر التوراة إلى أن موسى ذهب إلى يثرب وكل ماجاء فيها أنه فر إلى مدين ـ على خليج العقبة ـ ويثرب فى الداخل قليلا والتوراة لم تشر إلى شىء من ذلك .

---

(١) أبو السعود جزء ٤ ص ١٤٩ طبع سنة ١٣٤٧ هـ .

(٢) خروج ص ٢ نمرة ١٢ .

(٣) تفسير أبى السعود جزء ٤ ص ١٥١ .

(ب) لم يعثر على آثار تدل على ذكر تفاصيل هذه الرحلة .

(جـ) أن موسى كان يستصغر نفسه على أخراج قومه فيقول فى سفر الخروج ص٣ : ١١ فقال موسى لله : من أناحتى أذهب إلى فرعون ؟ وحتى أخرج بنى إسرائيل من مصر .

وإذاً فلم يدر بخلده أن يكون فى يوم ما زعيما فى إخراج بنى إسرائيل من مصر .

والحق أن موسى لم يكن يفكر فى أنقاذ قومه قبل الرسالة وكيف يفكر فى ذلك ؟ وهو أنما يطلب استبقاء روحه والنجاة بنفسه ويخشى أن تقع عليه عين مصرية فتسوقه إلى حيث يكره .

والقرآن الكريم يرينا صورة موسى النفسية يساورها الخوف من فرعون وطغيانه : « اذهبا إلى فرعون أنه طغى . فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى . قالا ربنا أننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى . قال لا تخافا أننى معكما أسمع وأرى » .

وهذا قريب من العقل لأنه كيف يقاوم فرد ضعيف لاحول له ولا قوة أمةً بأسرها لها عددها وعُدَدُها وهيبتها وسلطانها ؟

الطبيعة الإنسانية الموكولة إلى نفسها يتملكها الخوف ويستولى عليها الرعب أن هى أقدمت على مثل هذه الفكرة .

أما النفوس المرعية بعنايته تعالى وتأييده فلا عليها من الأنس والجن والملائكة والعالم بأسره مادامت فى حراسته تعالى .

وهذا هو الذى كان من موسى عليه السلام بعدما أمنه الله تعالى هو أنه صدع بأمر ربه وأنجز الله وعده والله لايخلف الميعاد .

ثم تقول التوراة بينما يرعى موسى الغنم لصهره ظهر له إله التوراة فى صورة ملاك فى الْعُلّيقة المتَقِدة من وسط النار وسمع صوته وأمره بأخراج بنى إسرائيل من مصر إلى أرض الميعاد .

والقرآن الكريم يقول أن الله كلم موسى فى شاطىء الوادى الأيمن فى البقعة المباركة فقط ولم يظهر له وكان ذلك عند عودة موسى من مدين إلى مصر بعد أن قضى الأجل الذى تعاقد عليه مع حميه . قال تعالى : « فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور نارا قال لأهله امكثوا إنى آنست نارا لعلى آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون . فلما أتاها نودى من شاطىء الوادى الأيمن فى البقعة المباركة من الشجرة أن ياموسى إنى أنا الله رب العالمين[1] » .

ونقول هنا أن موسى أمر بالعودة إلى مصر لأخراج قومه بعد قضاء .. ما أخذه على نفسه وفاءً لمهر زوجته لأن هذا هو الذى يليق بمن سيكون قدوة فما بالنا بمن كان قدوة بالفعل ؟ .

لا كما تقول التوراة : كان ذلك وهو يرعى الغنم لحميه فأنه يترتب عليه مايأتى :

أولاً : أدانة موسى لزوجته حيث لم يؤد ما اتفق عليه من الصداق .

---

(١) سورة القصص ومعنى الآية بعد قضاء ما تعاقد عليه موسى مع حَميه أخذ أهله راجعا الى مصر فأبصر نارا فى جانب الوادى الأيمن « جانب الطور الأيمن » فذهب ليقتبس منها فلما اتى النار سمع النداء من قبل الله تعالى بلاكيفية بدليل قوله « نودى » ولم يبين كيفية النداء ـ يا موسى إنى أنا الله رب العالمين ـ .

ثانياً : خلف الوعد وذلك من سمات المنافقين ومقام النبوة أسمى مقام فى الإنسانية .

وبقية الكلام بين مايقول القرآن الكريم وماتقوله التوراة ستأتى أن شاء الله عند الكلام على التأليه .

ثم لما أمر الله موسى بأخراج بنى أسرائيل وجد نفسه عاجزا عجزا طبيعيا عن الأبانة والافصاح الذى هو الأداة فى التبليغ . قال فى سفر الخروج ص ٤ : ١٢ فتكلم موسى أمام الرب قائلا :. فكيف يسمعنى فرعون وأنا أغلف الشفتين ؟ فأيده الله بأخيه هرون عليه السلام وكان مُفَوَّهاً .

وفى القرآن الكريم أن موسى عليه السلام قال : « رب اشرح لى صدرى . ويسر لى أمرى . واحلل عقدة من لسانى . يفقهوا قولى . واجعل لى وزيرا من أهلى . هرون أخى . أشدد به أزرى . وأشركه فى أمرى . كى نسبحك كثيرا . ونذكرك كثيرا . أنك كنت بنا بصيرا . قال قد أتيت سؤلك ياموسى » .

فعاد موسى إلى مصر مؤيدا بالمعجزات ولم يعرف سنه بالضبط أذ ذاك وفى دائرة المعارف الانجليزية كان فى الثمانين من عمره عليه السلام .

وصادفه كثير من المشقات والعقبات فى سبيل اخراجهم «كما تقول التوراة » لأن بنى إسرائيل لطول عبوديتهم انحطت أخلاقهم فظلوا فى شك مريب لايعتقدون نبوة موسى عليه السلام ولم يسمعوا له فيقول فى الخروج ص : ٤ : ١٢ هو ذا بنو إسرائيل لم يسمعوا لى . وفى ص : ٦ : ٩ بهذا المعنى : وقال له مدبرو الشعب أنتنتما رائحتنا فى عينى فرعون وفى عيون عبيده .

وهنا تقول التوراة : أن موسى قال لله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا : ياسيد لماذا أسأت إلى هذا الشعب ولماذا أرسلتنى ؟[1] .

ونسبة هذا القول إلى موسى عليه السلام شاهدة بأنه لم يقل ذلك لأنه يعلم مايجب لله تعالى ومايستحيل عليه ولا يجوز أن ينسب له الأساءة فى فعله تعالى .

وهل يعرف موسى أن مافعله الله تعالى أساءة ويجهل ذلك الخلاق العليم ؟

ويعترض على الله تعالى بصورة منكرة لماذا ؟ لماذا ؟

ومع كون معجزات موسى خارقة للعادة وفوق مايطيقه علماء المصريين لم يسمح فرعون بخروجهم إلا بعد أن أرسل الله عليهم ــ على المصريين ــ الضربات العشر فخرجوا بقيادة موسى عليه السلام .

ولم يعرف فرعون الخروج بعينه ولم تشر إليه التوراة وكذلك القرآن الكريم وللآن لم تتحدث الآثار المصرية عن ذلك وأختلف فى تعيينه المؤرخون[2] ومن ثم لم يعرف تاريخ الخروج تماما[3] .

---

(١) خروج ص ٥ : ١٩ ــ ٢٣ .

(٢) قيل منفتاح أو مر نفتاح أو منفطة بن رعمسيس الثانى «سيزوستريس» وهو الرابع من الأسرة ١٤ حوالى ١٣ قرنا قبل الميلاد «أهرام ٣ شهر ٦ سنة ١٩٣٦ م وقيل سيتى الثانى خَلَف منفتاح وقيل تحتمس الثانى «تاريخ الإسرائيليين» .

(٣) يقول أُشَر فى دائرة المعارف الأنجليزية أن الخروج كان فى ١١ من مايو سنة ١٤٩١ ق م وفى كتاب التاريخ القديم سنة ١٦٤٥ ق م وفى كتاب العقائد لعمر عنايت سنة ١٢٠٠ ق م .

وعلى كل فقد خرج الإسرائيليون من مصر بممتلكاتهم ومواشيهم فضلا عما سلبوه من المصريين بخداعهم الذى أمرهم به أله التوراة[1].

أما الله فلا يأمر بالفحشاء كما قال فى القرآن الكريم : « أن الله لايأمر بالفحشاء ».

ثم تعقبهم فرعون بغيا وعدوا فأدركه الغرق وأنجى الله موسى وقومه وساروا فى البرِّية الواقعة جنوب فلسطين.

ويلاحظ أن خروجهم من مصر لم يكن رغبة منهم فى الحياة الحرة لجهلهم معناها وأنما كانوا خاضعين لرؤسائهم وعرفائهم وصادفهم فى خروجهم عقبات لم يتوقعوها فلقوا أقواما مباينين لهم فى عاداتهم وطباعهم مما أثارهم كثيرا على موسى وجعلهم يتمنون الموت فى مصر حيث يجلسون عند قدور اللحم وعملوا حركات تجمعية محاولين العودة لمصر[2] وفى حوريب : فجر الله الصخرة بالماء وأرسل المن والسلوى فأكلوا وشربوا ولما وصلوا إلى سيناء أقاموا فيه وصعد موسى إلى قمة الجبل المقدس وهناك نزلت عليه الوصايا العشر وهى :

١ – الأمر بالتوحيد	٢ – النهى عن الأوثان	٣ – النهى عن الحلف كذبا
٤ – المحافظة على السبت	٥ – الأمر ببر الوالدين	٦ – النهى عن القتل
٧ – النهى عن الزنى	٨ – النهى عن الزور	٩ – النهى عن السرقة

١٠ – النهى عن اشتهاء ماللقريب[3].

وتلك الوصايا هى دستور الديانة اليهودية وكتابتها على هيئة مواد جعلت الباحثين يقولون بمشابهتها بقانون حمورابى.

وأهم الحوادث التى صادفتهم فى البرية هى فناء الجيل الذى خرج من مصر ومعاقبتهم على عبادة العجل الذى عمله هرون كما فى التوراة.

وهذه القصة فى القرآن على غير ماهى عليه فى التوراة من وجوه :

أولاً : أن الشعب طلب من موسى أن يصنع لهم إلها : « قالوا ياموسى اجعل لنا إلٰها كما لهم آلهة ».

لا كما تقول التوراة أن هرون هو الذى طلبَ منه ذلك.

ثانياً : أن موسى نهاهم وزجرهم وقال لهم : أنكم قوم تجهلون أن هؤلاء مُتَبَّرٌ ماهم فيه وباطل ماكانوا يعملون قال أغير الله أبغيكم ألها وهو فضلكم على العالمين؟

فى حين أن التوراة لم تذكر أن موسى عليه السلام زجرهم أو هجرهم.

ثالثاً : أن موسى لما رجع من ميقات ربه وجد الإسرائيليين عاكفين على عبادة العجل وكان موسى قد استخلف هرون على بنى إسرائيل فاستفسره موسى فقال له هرون : أن القوم استضعفونى وكادوا يقتلوننى.

أى أنه قد بلغ العذر مع أنه قام فيهم منذرا محذراً فقال تعالى حكاية عنه : « ولقد قال لهم هرون من قبل ياقوم إنما فتنتم به وأن ربكم الرحمن فاتبعونى وأطيعوا أمرى. قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى ».

رابعاً : تنسب التوراة إلى هرون عمل العجل وعبادته.

---

(١) خروج ص ١٢ : ٣٦

(٢) خروج ص ١٥ . ١٦ . ١٧ والعدد ص ١٤ ، ٢٠.

(٣) خروج ص ٢٠ : ٢ – ١٨ تُنية ص ٥ : ٦ – ٢٢.

والقرآن ينسبه إلى رجل اسمه السامرىّ أو لقبه ذلك . قال تعالى : « فكذلك ألقى السامرى فأخرج لهم عجلا جسدًا له خوار » .

وأما عبادة هرون للعجل مع الإسرائيليين فأمر لا يقول به القرآن ولا يقره البرهان لأن هرون نبي فكيف يعمل الأوثان ويعبدها ؟ وكيف تستقيم دعوته إلى التوحيد ؟ ألا يكون رجلا متناقضا منافقا يأمر ولا يأتمر ويزجر ولا ينزجر وينهى ولا ينتهى ؟

ويكفى دليلا على فساد هذه الأسفار اشتمالها على أمثال هذه الأشياء التى لا يقرها العقل ولا يؤيدها واقع الحياة العادية .

وها نحن نرى القرآن الكريم أنصف موسى وهرون وطهرهما من رجس الأوثان وجعلهما كما يجب أن يكون نبي ذو دعوة عالية يعمل دائما على حمايتها وصيانتها وأذاعتها .

أما إذا كان صاحب الدعوة هو أول هادم لها فلا ينتظر لها قيام أبدا هذا فى المبدأ الشخصى فما بالنا بالمبادىء الألهية السامية ؟

ولما قربت رحلتهم على الانتهاء إلى كنعان ظهرت عليهم دلائل السخط وجبنوا عن لقاء الكنعانيين وقالوا لموسى : أن فيها قوما جبارين وأنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها ... أنا لن ندخلها أبدا ماداموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا أنا ها هنا قاعدون .

فعاقبهم الله أربعين سنة يتيهون فى الأرض وقضى على البقية الباقية ممن خرج من مصر بالموت (1) لتتأصل تعاليم الدين فى نفوس النشأة المولودة فى التيه .

وكانت لهم ردة غير التى تقدم ذكرها وذلك حينما كانوا فى شَطِيم فى أرض موآب حيث عبدوا بعل « صنم » فغور فى سفر العدد ص ٢٥ : ١ وأقام إسرائيل فى شطيم وابتدأ الشعب يزنون بنات موآب ٢ فدعون الشعب إلى ذبائح آلهتهن فأكل الشعب وسجدوا لآلهتهن ٣ وتعلق إسرائيل ببعل فغور .

وعمل موسى عليه السلام تعدادين للمقاتلة الذكور الأول فى بداية الأربعين سنة من التيه والثانى فى نهايتها ونتيجة الأحصاء موضع نظر عند الباحثين .

وانقسم اليهود فى التيه أربعة أقسام كل قسم له مستواه الخاص وشاراته والأرض التى يقيم فيها .

وأسندت المناصب الدينية الكبرى إلى بنى لاوى ودفعت إليهم القبائل الأخرى عشر المحصول : واللاويُّون يعطُوْن كل عشر فى إسرائيل (2) .

وتوفى موسى فى الصحراء عقابا له « كما تقول التوراة » ودفن بالجواء ولم يعرف أنسان قبره وكان سنه مائة وعشرين سنة حين مات ولم تكل عينه ولا ذهبت نضارته ولم يقم مثله فى بنى إسرائيل .

---

(1) العدد ص ١ : ٢٦ ، ص ٣٥ .

(2) العدد ص ١٨ .

موسى عليه السلام والتوراة

يجد الباحث فى التوراة صورة قبيحة منكرة مُشَوَّهَةً لموسى عليه السلام فتصفه :

أولاً : بالحلم أكثرُ من جميع الناس الذين كانوا على وجه الأرض[١] : وأما الرجل موسى فكان حليما جدا أكثر من جميع الناس الذين كانوا على وجه الأرض[١] .

ثانياً : بالمهابة والعظمة فى مصر وفى عيون الشعب : الرجل موسى كان عظيما جداً فى أرض مصر فى عيون عبيد فرعون وفى عيون الشعب[٢] .

ثالثاً : بالأمانة : أما عبدى موسى فليس هكذا بل هو أمين فى بيتى[٣] .

رابعاً : بأنه لم يقم فى بنى إسرائيل نبى مثله : لم يقم فى بنى إسرائيل نبى مثل موسى الذى عرفه الرب وجها لوجه[٤] .

هذا كل مانجده فى التوراة من محاسن الصفات التى تنسب إلى موسى عليه السلام .

وبجوار هذه المحاسن أضعافها من المساوىء التى لا يوصف بها رجل عادى فضلا عن أن يوصف بها من اصطفاه الله على الناس برسالته وبكلامه لهدايتهم وسعادتهم وهاهى :

١ ـ جعلته ألها لفرعون وهرون نبيا لموسى فقال الرب لموسى : أنظر قد جعلتك الها لفرعون وهارون أخوك يكون نبيك[٥] .

٢ ـ جعلته إلها لهرون : وهو « أى هرون » يكلم الشعب عنك وهو يكون لك فما وأنت تكون له الها[٦] .

٣ ـ رَمَتْهُ بالكفر هو وهرون : فقال الرب لموسى وهرون : من أجل أنكما لما تؤمنا بى حتى تقدسانى أمام أعين بنى إسرائيل لذلك لاتدخلان هذه الجماعة إلى الأرض التى أعطيتهم أياها[٧] .

٤ ـ اتهمتهما بالعصيان : وقال الرب لموسى : اصعد إلى جبل عباريم هذا وانظر إلى الأرض التى أَعْطَيْتُ بنى إسرائيل ومتى نَظَرْتَهَا تُضَمُّ إلى قومك أنت أيضا كما ضمَّ هرون أخوك لأنكما فى بَرِيَّة صين[٨] عند مخاصمة الجماعة عصيتما قولى أن تقدسانى بالماء أمام أعينهم ذلك ماء مَرِيبَةُ قادش فى برية صين .

٥ ـ وصمته بالخيانة هو وهرون : وكلم الرب موسى فى نفس ذلك اليوم قائلا : اصعد إلى جبل عباريم هذا جبل نبو الذى فى أرض موآب الذى قبالة أريحا ، وانظر أرض كنعان التى أنا أعطيها لبنى إسرائيل ملكا ومت فى الجبل الذى تصعد إليه ، وانضم إلى قومك . كما مات هرون أخوك فى جبل هور ، وضُمَّ إلى قومه ، لأنكما خنتمانى فى وسط بنى إسرائيل عند ماء مريبة[٩] قادش .

---

(١) العدد ص ١٢ : ٣ .
(٢) خروج ص ١١ : ٣ .
(٣) العدد ص ١٢ : ٧ .
(٤) تثنية ص ٣٤ : ١٠ .
(٥) خروج ص ٧ : ١ .
(٦) خروج ص ٤ : ١٦ .
(٧) العدد ص ٢٠ : ١٢ .
(٨) العدد ص ٢٧ : ١٢ ، ١٣ ، ١٤ : برية صين شمال خليج العقبة وجنوب بحر لوط .
(٩) تثنية ص ٣٢ : ٤٨ ـ ٥٢ .

٦ ـ وصفته بالعصيان مع بنى إسرائيل جميعا : يضم هرون إلى قومه لأنه لايَدْخُلُ الأرض التى أعطيْتُ لبنى إسرائيل لأنكم عصيتم قولى عند ماء مريبة[١]

٧ ـ نسبت إليه أسناد الأساءة إلى الله تعالى والاعتراض على فعله : فرجع موسى إلى الرب وقال : ياسيد لماذا أسأت إلى هذا الشعب ؟ لماذا أرسلتنى[٢] ؟

٨ ـ جَعَلَتْهُ مغضوبا عليه لأضرابه عن أداء الرسالة فقال : « موسى » استمع أيها السيد أرسلِ بيد من تُرْسِلْ فحمى غضب الرب على موسى[٣] .

والغضب على موسى تكرر فى التوراة كثيرا .

وهذه الصفات التى وُصِفَ بها موسى لاتليق بزعيم أو مصلح فى الحياة الدنيا فكيف بزعيم دينى يدعو الناس إلى السمو الخلقى والروحى ؟

موسى والقرآن الكريم

أما الصورة الحقيقية التى تناسب مقام النبوة العظيم فنجدها فى القرآن الكريم وسنورد هنا بعض ماجاء فيه عن موسى عليه السلام فيما يلى :

١ ـ الأحسان والصلاح والتفضيل على العالمين والاهتداء إلى الصراط المستقيم وأنه أوتى الحكمة والنبوة شأن جميع المرسلين[٤] .

٢ ـ الأخلاص والقرب من الله تعالى وأنه من جملة الذين أنعم الله عليهم من النبيين[٥] .

٣ ـ ٤ ـ أنه رسول كريم أمين[٦] .

٥ ـ ٦ ـ القوة والأمانة : أن خير من استأجرت القوى الأمين .

٧ ـ وصفها بالأيمان : أنهما « موسى وهرون » من عبادنا المؤمنين .

٨ ـ الذكر الحسن والثناء الجميل : وتركنا عليه فى الآخرين سلام على موسى[٧] وهرون وهذه الصورة الصادقة الكاملة هى التى يوجبها العقل ويؤيدها واقع الحياة لأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام هم قادة الأمم فيجب أن يكونوا عنوان الكمال الخَلْقِى والخُلُقِى حتى تتحقق الغاية من بعثتهم ويستجيب الناس إلى دعوتهم ولايجوز أن يصدر عنهم مايخل بالمبادىء الإنسانية السامية ومراتب النبوة لأنه لوجاز لهم فعل مايخل بها لجاز لنا بل لوجب علينا اتباعهم والاقتداء بهم لأنا مأمورون باقتفاء آثارهم أقوالهم وأفعالهم وكان فعل تلك الأشياء « المنهى عنها » طاعة مأمورا بها من الله تعالى وهو لايأمر بالفحشاء لأنه نقص عليه تعالى الله عن ذلك .

فوجب أن يكون الأنبياء عليهم السلام معصومين عن المعاصى ظاهرا وباطنا وخاصة بعد النبوة .

---

(١) العدد ص ٢٠ : ٢٤ .
(٢) خروج ص ٥ : ٢٢ .
(٣) خروج ص ٤ : ١٣ - ١٤ .
(٤) الأنعام .
(٥) مريم .
(٦) الدخان .
(٧) الصافات .

الفصل الثالث

اليهود بعد موسى فى عهد يشوع

قبل وفاة موسى عليه السلام أقيم يشوع بن نون على بنى إسرائيل خليفة لموسى [١] وكان قد امتلأ من روح حكمه أذ وضع موسى عليه يده فسمع له بنو إسرائيل فقادهم يشوع إلى فتح كنعان فى فترة غير معرفة بالضبط [٢] وكنعان هى فلسطين الحالية على الجنوب الشرقى للبحر الأبيض المتوسط وهى أرض ضيقة بين البحر والصحراء وكان طولها ١٥٠ ميلا تقريبا ومساحتها ١٠٠٠٠ ميل مربع ومعظمها مجدب وخاصة جنوبها وشرقها . وشمالها وديان خصبة تتوقف زراعتها على الأمطار الشتوية ولموقعها بين مصر وفينيقيا وآسيا الصغرى وبين دجلة والفرات كانت سوقا لتلك البلاد وطريقا للتجارة بينها وكانت أيضاً مسرحا للقتال الذى وقع بين تلك الأمم وكانت دولة بينها إلا فى عهد داود وسليمان عليهما السلام .

ثم حصلت هجرة ثانية إليها حوالى سنة ٢٠٠٠ ق م . نزح إلى هذه البلاد بعض الساميين حوالى ٣٠٠٠ سنه ق م ولايعرف بالضبط متى دخلها يشوع فيقال أنه فى الفترة بين سنة ١٦٠٥ – سنة ١٣٢٠ ق . م وقد ورد وصف لهذه البلاد كثيرا فى التوراة منها ماورد فى سفر العدد ص ١٣ حينما أرسل موسى عليه السلام رجالا يتجسسون أرض كنعان فصعدوا وتجسسوا الأرض من برية صين إلى أرحوب « فى مدخل حماة » ثم رجعوا بعد ٤٠ يوما وأتوا موسى عليه السلام وأخبروه فقالوا : قد ذهبنا إلى الأرض التى أرسلتنا إليها وحقا أنها تفيض لبنا وعسلا وهذا ثمرها غير أن الشعب الساكن فى الأرض معتز والمدن حصينة عظيمة جدا وأيضا قد رأينا بنى عناق هناك . العمالقة ساكنون فى الجنوب واليبوسيون والآموريون ساكنون فى الجبل والكنعانيون ساكنون عند البحر وعلى جانب الأردن [٣] .

وأيضاً اسمع يا إسرائيل أنت اليوم عابر الأردن لكى تدخل وتمتلك شعوبا أكبر وأعظم منك ومدنا عظيمة ومحصنة إلى السماء قوما عظاما وطوالا بنى عناق الذين عرفتهم وسمعت عنهم [٤] .

ومادام الكنعانيون على شاطىء البحر فلها شهرة فى الملاحة والتجارة قديما مع شواطىء البحر الأبيض المتوسط وأشهر مدنها صيدا وصور .

وكانت عقائدهم وأخلاقهم فاسدة وقدموا الضحايا البشرية للبعل [٥] وكانوا يتقربون بالشهوات إلى الألهة العشتروت [٦] .

---

(١) العدد ص ٢٧ : ١٦ – ٢٢ .

(٢) فى التاريخ القديم سنة ١٦٠٥ – ١٥٨٠ ق م ويقول أشر سنة ١٤٥٥ ق م وسنة ١٤٥١ ق م « المعارف الإنجليزية » وفى مذكرات دار العلوم سنة ١٣٢٠ ق م .

(٣) العدد ص ١٣ : ٢٠ – ٢٥ .

(٤) تثنية ص ٩ : ١ ـ ٢ .

(٥) معناه الرب أو سيد وهو إله الشمس عبده الفينيقيون والكنعانيون ومن جاورهم وأمتدت عبادته إلى البلاد الأوربية فى اسكنديناوه وانجلترا وربما أسكتلنده وأيرلنده لوجود شبه بين عبادة السبل وبين أعياد هذه الجهة فى الوقت الحاضر .

(٦) العشتروت إلآهَة الصيداويين كثرت عبادتها فى سوريا وفينيقيا وسماها اليونان والرومان أشتر وكانت عبادتها خلاعة فاجرة ودعيت هذه الألهة ملكة السماء وذكرت عبادتها مقرونه بعبادة البعل ويظن كثير من العلماء أن البعل قوة الخليقة الذكرية وعشتروت القوى الأنثية « الأقوال الجلية فى بطلان كتب اليهودية والنصرانية ص ٣٢ وما بعدها الرسالة الأولى طبع المنار » .

وبالجملة كانوا وثنيين[1] .

ثم لما دخلها يشوع قسم الأرض بين الأسباط وقبل وفاته أوصاهم باتباع شريعة موسى عليه السلام ومات عن مائة وعشرين سنة وقام بعده جيل وفنى هذا الجيل ثم قام جيل آخر لم يعرف الرب وفعل الشر فى عينى الرب وعبد البلعليم[2] والعشتروت[3] فدفعهم الرب إلى الوثنيين يسومونهم سوء العذاب بالقتل والاسترقاق[4] ثم جاء عهد القضاة .

الفصل الرابع

عهد القضاة

بعد موت يشوع[5] تتابع على اليهود حكام من القضاة مدة تتراوح بين ٣٣٠ سنة ، ٤٠٨ سنين واختلف المؤرخون فى تعيين مبدئها ومنتهاها[6] .

ولكتب التاريخ العام حساب غير حساب أسفار العهد القديم وعلى كل فلم يعطنا واحد منها تعيينا يعتمد عليه .

وتعتبر فترة القضاة كمصيبة على اليهودية وكانحلال فيها لأن الأمم المحيطة باليهود قريبة وبعيدة غزتهم واضطهدتهم وهذه الفتوحات كانت تتخللها فترات ركود بحكم الإسرائيليين قضاة بحجة أنهم أرسلوا من الله لتخليص بنى إسرائيل من أعدائهم وهؤلاء القضاة كثيرون ومن أشهرهم عثنيل الذى خلصهم من كوشان ملك آرام بين النهرين بعد ماعبدوا كوشان ثمان[7] سنين وبعده عبدوا عجلون ثمانية عشرة سنة[8] .

وبعدها عاد بنو إسرائيل يعملون الشر فأذلهم الله الملك كنعان عشرين سنة[9] وبعد دبورة المتنبئة عملوا الشر سبع[10] سنين وبعد جدعون رجعوا وزنوا وراء البلعليم وعبدوه مع العشتروت وآلهة آرام وآلهة صيدون وآلهة موآب وآلهة بنى عمون وآلهة الفلسطينيين وتركوا الرب ولم يعبدوه[11] .

ومن أشهرهم تفياح وهو ابن أمراة زانية ونبى فى زعمهم ضحى بابنته وفاء لنذره وتلك هى الوثنية المتوحشة « تقديم الضحايا البشرية »[12] .

---

(١) التاريخ العام .
(٢) جمع البعل المتقدم الذكر .
(٣) قضاة ص ١٢ : ١٠ ـ ١٦ .
(٤) تاريخ القديم .
(٥) حوالى سنة ١٤٢٧ ق م « الإنجليزية » أو سنة ١٥٨٠ ق م « التاريخ القديم » .
(٦) حوالى سنة ١١٠٤ ق م . سنة ١٠٧٧ ق م « الإنجليزية » .
(٧) قضاة ص ٣ : ٨ .
(٨) قضاة ص ٣ : ١٤ .
(٩) قضاة ص ٤ : ١ .
(١٠) قضاة ص ٦ : ١ .
(١١) قضاة ص ١٠ : ٦ .
(١٢) قضاة ص ١١ :

ثم قامت حرب طاحنة بين بنى إسرائيل قتل فيها كثيرون .

وشمشون الذى زنى بامرأة من غزة وهو نبى فى زعمهم جاء بعد أن دفعهم الرب بيد الفيلسطينيين أربعين سنة وكانوا يعملون الشر فى عينى الرب[1] .

ومنهم الكاهن عالى الذى كان أبناؤه يفسقون فى خيمة الاجتماع بنساء إسرائيل ثم نهاهم[2] .

وبالجملة كان يقوم بينهم قضاة ليخلصوهم من يد ناهبيهم ولكنهم لقضاتهم أيضا لم يسمعوا بل زنوا وراء آلهة أخرى وسجدوا لها .

وحادوا سريعا عن الطريق التى سار بها آباؤهم وعند موت القاضى كانوا يرجعون ويفسدون أكثر من آبائهم[3] بالذهاب وراء آلهة أخرى ليعبدوها ويسجدوا لها لم يكفوا عن أفعالهم وطريقتهم القاسية[4] وكانت البلاد فى عهد القضاة أشبه شيء بالولايات التى تجمعها سلطة واحدة وهذا النظام أدى إلى الفوضى كما حصل فى عهد آخرهم « صمويل » .

اذ قام الشعب يطالب بأقامة ملك عليهم لأن صمويل أشرك أولاده فى الحكم فلم يسيروا سيرة مرضية فأقام لهم صمويل شاول ملكا عليهم .

الفصل الخامس

المملكة اليهودية

١ ـ شاول[5] من قبيلة بنيامين أو من سبط منسى وهو نبى فى رأى التوراة ولكنه سقط عن درجة النبوة[6] .

وكان عهده مضطربا ويمثل الفترة المحزنة فى تاريخ اليهود لأنه كان يخفى نفسية دنيئة ولما ظهرت تلك النفسية قام زعيم من الرعاة قاد الرأى العام ضد شاول فكرهه وقام الفيلسطينيون وغيرهم بالفتن فانتصر عليهم شاول ثم قاموا مرة ثانية فانتصر عليهم ابنه ثم جرَّدَ صمويلُ شاول من الحكم ،عين بدله .

٢ ـ داود عليه السلام ولم يعرف تاريخه[7] بالضبط وبعد موت شاول أصبح ملكا فعليا على اليهود واستقل بملك فلسطين وسوريا ودمشق وماجاورها وثار عليه الإسرائيليون بزعامة ابنه أبى شالوم[8] فهزمه قواد أبيه .

وتقول التوراة : أن داود عمل فى نهاية حكمه تعدادا[9] محرما فغضب عليه الرب وأرسل الوباء على بنى إسرائيل وانقلبت الأمور انقلابا عجيبا وانتشرت الجرائم وانحطت الأخلاق .

---

(١) قضاة ص ١٣ : ٥ ـ ٢٥ . ص ١٤ : ٦ ـ ١٩ .

(٢) صمويل الأول ص ١ ، ٢ .

(٣) يلاحظ التناقض فى هذه العبارة حيث فيها مدح وذم لآبائهم .

(٤) قضاة ص ٢ : ١٦ ـ ٢٠ .

(٥) لا يعرف تاريخه بالضبط فيقال إنه حوالى سنة ١١٦٦ ق م ـ سنة ١٠٩٥ ق م .

(٦) صمويل الأول ص ١٠ : ١١ ـ ١٣ ، ص ١٦ : ١١ وما بعدها .

(٧) يقال أنه سنة ١٠٤٠ ـ ١٠٠١ م . م) «التاريخ القديم» وفى التاريخ العام سنة ١٠٩٧ وفى تاريخ الإسرائيليين ١٠٩٥ ق م .

(٨) أبشالوم هذا زنى بسرارى أبيه جزاء فعلة أبيه داود بامرأة أوريا الحثى صمويل الثانى ص ٢٦ : ٢٢ . ص ١٢ : ١١ .

(٩) صمويل الثانى ص ٢٤ : ٩ ، ١٠ .

وأمتد حكمه حوالى ٤٠ سنة . ويزعمون أنه ارتكب جريمة الزنى بزوجة أوريا الحثى وأرسله فى طليعة الجيش ليقتل[١] وأنه استعمل القسوة المروعة فى أعدائه ويقيم له المؤرخون عذرا فى ذلك .

وشملت مملكته مابين الفرات والبحر الأبيض المتوسط ومن فينيقيا إلى[٢] خليج العرب .

وعزم على بناء الهيكل وأعدَّ العدة لذلك ولكنه حرم من شرف ذلك لأساءته فى زعم التوراة . وينسبون إليه الكذب أيضاً حينما فرَّ من شاول ووصل إلى الكاهن أخى مالك وقتل بسببها أهل قريته ودوا بهم وثمانون كاهنا بيد شاول[٣] .

وتعليقنا على مالصق بداود هو عين تعليقنا على مالصق بأخوانه النبيين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وهو أن هذا لا يتفق مع كرامة الأنبياء عليهم السلام . ووجود هذه الأشياء فى التوراة دليل على فسادها والقرآن الكريم لا يقر ذلك بل ينفيه عن جميع الأنبياء صلى الله عليهم وسلم .

٣ ـ ثم توج بعده سليمان[٤] عليه السلام وصل اليهود فى عهده إلى قمة المجد ودفعت إليه الجزية وخطب وده الملوك وتحالف مع مصر وتزوج ابنة فرعون . وبنى الهيكل ووضع فيه تابوت العهد وبداخله لوحى الحجر فقط[٥] وسخر الناس فى بنائه وفى الأبنية التى أقامها[٦] .

وتزوج « ٧٠٠ أمرأة . ٣٠٠ سرية » . ولما كبر تمكن أزواجه من تغيير قلبه نحو آلهة أخرى فعبدها « فى زعمهم »[٧] وبنى قرب بيت المقدس هياكل لأصنام الموآبيين العمونيين والصيدناويين[٧] .

وفى كتاب التاريخ القديم ص ١٦ : أن سليمان داخله الكبر فتلوثت نفسه بكثير من الخسائس التى تخجل من ذكرها العقلاء .اهـ .

وفى ص ٢٧ منه : لما انهمك سليمان فى الشهوات استغضب الله عليه فأنذره الله على لسان « أهيا » بانقسام ملكه بعده . ا .هـ .

وفى التاريخ العام ص ٥٩ : غير أن سليمان جنى على نفسه بعبادة الأوثان .

أقول : السبب فى هذه المزاعم كلها مايسمونه العهد القديم لأنه سلسلة من الاتهامات على الله تعالى وعلى أنبيائه عليهم الصلاة والسلام التى لايقرها عقل ولا يستسيغها المنطق .

وبموت سليمان قام ابنه « رحبعام » فطالبه الشعب بتخفيف مالحقهم أيام أبيه فاحتقرهم فثاروا عليه بقيادة أخيه يربوعام الذى انتخب ملكا على الأسباط العشرة الثائرة . وبذلك انقسمت مملكة اليهود قسمين :

---

(١) صمويل الثانى ص ١١ : ٤ .

(٢) أسم قديم الجزء من ساحل سوريا طوله ٢٠٠ ميل وعرض بين ٣ ـ ٧ ميل أشتغل أهله بالملاحة والتجارة ولم يهتموا بالأداب « العالم القديم ص ١٠٠ .

(٣) صمويل الأول ص ٢١ : ١ ـ ٨ .

(٤) يقال كان ذلك فى سنة ١٠١٥ ـ سنة ٩٧٥ ق م وفى التاريخ القديم سنة ١٠٠١ ـ سنة ٩٦٢ ق م وفى التاريخ العام سنة ١٠١٩ ق م

(٥) ملوك أول ص ٦ . ص ٨ : ٩ .

(٦) ملوك أول ص ٩ : ١٥ .

(٧) الملوك الأول ص ١١ . .

١ ـ اسرائيل وعليها يربوعام ، وعاصمتها السامرة « نابلس الآن أو سبطية الحالية » على ثلاثين ميلا من شمال أورشليم .

٢ ـ يهوذا وعليها « رحبعام » وعاصمتها « أورشليم » بيت المقدس .

الفصل السادس

مملكة بنى إسرائيل

لما انقسم ملك سليمان وصارت إسرائيل مملكة منفصلة عن يهوذا اتخذت سياسة ترمى إلى تقوية نفسها هى وأضعاف أختها يهوذا تلك السياسة هى التحول عن عبادة الله تعالى نهائيا إلى عبادة الأوثان .

اتبع هذه السياسة يربوعام ومن بعده أذ تحقق لديه أنه لو ترك الناس يذهبون إلى بيت المقدس لأداء عبادتهم لتحولت قلوبهم نحو بيت داود ويقتلون يربعام لاغتصابه العرش .

ولتحقيق سياسته صنع عجلين[١] من ذهب أقام أحدهما فى مدينة دان والثانى فى بيت ليل على طرفى مملكته وأمر الناس بعبادتهما بعد أن أفهمهم أنها آلهتهم التى أخرجتهم من مصر واختار كهنته من أخس الطبقات وخلفه بعشا « رأس الأسرة التالية بعده » الذى بنى المعاقل على الحدود لقطع الصلة بين يهوذا وإسرائيل ومنع الناس من الذهاب إلى بيت المقدس وتكبر وتجبر[٢] .

ومن سنة ٩٧٥ ـ سنة ٧٢١[٣] ق م حكم إسرائيل تسع أسر[٤] وليس فيها من يستحق الذكر غير أنه حوالى سنة ٧٤٠ ق م سبي فلأَّسر ملكُ آشور الأسباط الساكنة شرقى الأردن « روآبين . جاوا . منسّى » وحوالى سنة ٧٢١ ق م غزا سرجون ملك آشور مملكة إسرائيل واستولى على السامرة عاصمتها وأجلاهم إلى ماوراء الفرات[٥] وهذا هو الأسر الصغير .

ومن المسلم به أن تَمَسُّكَ الأسرائيليين بدينهم انعدم من ذلك الحين حيث نبذوا عبادة الله ظهريا وعبدوا البعل وبنى له هيكل فى عهد آخاب وكان الذين يتولون الحكم فيها وثنيين وبالجملة مملكة إسرائيل أصبحت كغيرها من الممالك الوثنية المجاورة لها وكان لها تأثير كبير فى أغراء يهوذا على الخروج عن عبادة الله ومدتها ٢٥٠ سنة تولى فى خلالها ٢١ ملكا .

---

(١) الملوك الأول ص ١٢ .

(٢) الملوك الأول ص ١٥ .

(٣) فى التاريخ القديم سنة ٩٧٨ ـ سنة ٧١٨ ق م .

(٤) يربو عام بعشه زمرى عمرى أحازيا يربو عام الثانى يوهاز يوشيايربو عام الثالث زكريا شالوم مناحميا بكاهيا هؤلاء هم أشهر ملوك هذه الأسر .

(٥) بين نهرى حلاح وخابور « التاريخ القديم ص ٢٩ » .

الفصل السابع

مملكة يهوذا

أما مملكة يهوذا فسيرة أكثر ملوكها من حيث الآثام ومخالفة وصايا الله كسيرة[1] ملوك بنى إسرائيل وعاشت أكثر منها وتعاقب عليها ٢١ ملكا وحاربها سنحاريب[2] ملك آشور سنة ٧١٣ ق .م ثم غزاها الأشوريون ثانية سنة ٦٧٧ ق م وأسراوا مِنَسَّى ملك يهوذا إلى بابل . وفى سنة ٦١٠ ق م اجتاحها نيخوا[3] ملك مصر وقتل يوشيا ملكها .

وفى سنة ٦٠٦ ق م استولى بختنصر ملك بابل على أورشليم ودفعت له الجزية وثار عليه اليهود فأعاد الكرة عليهم سنة ٥٩٩ ق م وأجلى عشرة آلاف أسير من أعيانهم وأشرافهم وحمل كنوز الهيكل والبلاط الملكى وهذا هو الأسر الكبير . وفى سنة ٥٩٣ ق م ثار صدقيا ملك اليهود على بختنصر فَعِيلَ صبره فخرب أورشليم سنة ٥٨٨ ق م وأحرق الهيكل واستاق الشعب أسيرا إلى بابل[4] وظلت الأرض خرابا سبعين سنة ومدة مملكة يهوذا ٤٠٠ سنة[5] ومع هذا الأنقسام فقد قامت بين إسرائيل ويهوذا حروب دامية أضعفتها ومهدت سبيل تغلب الأعداء عليهما .

الفصل الثامن

اليهود فى بابل وعودتهم إلى بلادهم

يؤخذ من أسفار حزقيال ودانيال وعزرا ونحميا أن أكثر اليهود الأسرى اتبعوا الكلدان وتخلقوا بأخلاقهم وخاصة بعد رجوع بختنصر من غزو مصر وفلسطين إلى بابل حينما صنع صنما من ذهب للبعل وأمر اليهود بعبادته فعبدوه .

ولما تولى قورش ملك الفرس واستولى على بابل سنة ٥٣٧ ق م أصدر أمرا سنة ٥٣٦ ق م بعودة اليهود إلى بلادهم وأعادة بناء أورشليم فعاد منهم أربعون ألفا أكثرهم من قبيلتى يهوذا وبنيامين بقيادة « زربابل » الذى عين واليا عليهم وصارت اليهودية ولاية فارسية وتم بناء الهيكل سنة ٥١٥ ق م ومن ذلك الوقت اختفى ذكر أسباط إسرائيل ومن عاد منهم إلى فلسطين اندمج فى يهوذا وبنيامين وتَسَمَّى الإسرائيليون باليهود ودُعِيَتْ بلادهم باليهودية .

وفى سنة ٤٥٨ ق م عاد بعض اليهود من بابل إلى بلادهم بقيادة عزرا الذى استصدر مرسوما بتطهير شرعهم مما لَحِقَ به وظل واليا عليهم إلى سنة ٤٤٥ ق م .

---

(١) التاريخ القديم ص ٢٩ .

(٢) سنحاريب بن سرجون الثانى أخضع ثورات فلسطين وبابل وغزا مصر « سرنجاوى » .

(٣) حوالى سنة ٦١٠ ق م الثانى من ملوك الأسرة ٢٦ المصرية حفر قناة السويس وأرسل بعثة جغرافية حربية لكشف شواطىء أفريقيا « زيادة » .

(٤) التاريخ القديم ص ٣٠ .

(٥) الأسرائيليين ص ٢٩ .

ولم يرجع معظم اليهود لبعد الشقة ولخوفهم من السامريين ولخراب بيت المقدس وانتشروا فى أنحاء الامبراطورية الأشورية والفارسية وكونوا جماعات منفصلة عن السكان .

ثم جاء نحميا فجدد أورشليم وظل واليا عليها إلى سنة ٤٢٠ ق م وظلت اليهودية تحت حكم فارس من سنة ٤٢٠ ق م ـ سنة ٣٣٢ ق م يتولى أمرها كاهن تحت إمْرَةِ مَرْزُبان فارسى .

وبعد الأسر البابلى اعتمد اليهود اعتمادا كليا على فارس ولم يستطيعوا تأسيس مملكة بل لم يحاولوا ذلك حتى ظهر المسيح « عليه السلام » .

ولما تمكن الاسكندر ملك مقدونيا من القضاء على الفرس قدم اليهود خضوعهم إليه لتعودهم الخضوع إلى الأجنبي ومنحهم حرية دينية فى فلسطين وبابل وميديا . ونقل طائفةً[1] منهم إلى الإسكندرية مما ساعد على اتصالهم بمدنية الأغريق وفلسفتهم .

وبعد موت الاسكندر فى بابل سنة ٣٢٣ ق م انقسمت الامبراطورية الرومانية وكانت فلسطين واقعة على حدود الدولتين المتنافستين ـ مصر وسوريا ـ ففقدت فلسطين بذلك الأمن والسَّلام . وكانت دولة بينهما حتى استقرت الأحوال وخضعت فلسطين لبطليموس سنة ٣٢٠ ق م إلى سنة ٢٨٣ ق م[2] .

وفى عهد المصريين تمتع اليهود بالسكينة ثم فسدت العلاقات بين مصر واليهود لامتناعهم عن أداء الضرائب .

ولبطليموس الثانى أثر فى الديانة اليهودية حيث ترجمت التوراة فى عهده من العبرية إلى الأغريقية .

وفى سنة ٢١٧ ق م قام انطيوخ الثالث ملك سوريا ضد بطليموس الرابع ملك مصر فهزمه بطليموس ودخل بيت المقدس ودنس المعبد وبعد عودته اضطهد يهود الاسكندرية وأعلن عداءه للجنس اليهودى كله . وبعد وفاة بطليموس أصبح أنطيوخس سيد فلسطين سنة ١٩٨ ق م . وفى هذه الفترة سنة ١٩٨ ـ ١٨٨ق م نشأت طائفتان يهوديتان أحداهما بمصر والثانية بسوريا وساعد على هذا الأنشقاق أن الشعبة السورية غيرت عاداتها بعادات الأغريق باشتراك مع القساوسة .

وفى سنة ١٧٥ق م قام ابن انطيوخس وولى أخاه كاهنا على اليهود فأنشأ فى أورشليم ملعبا وميدانا يتصارع فيه الشبان عراة وازداد الكهنة والعامة فساداً وقدم شبانُ اليهود تقدمة إلى هيكل صور فى عيد الأله هرقل وأرسلت الهدايا إلى الأوثان والوثنيين وفى سنة ١٧٠ق م حصل بين انطيوخس وأخيه نزاع على بيت المقدس وأخيرا هجم انطيوخس على اليهود وقتل أربعين ألفا وباع مثل ذلك عبيدا ونزع المذبح والمنار وسلب الخزانة .

واستخف بإله إسرائيل فدخل قدس الأقداس وقدم خنزيرا على المذبح وأقام أحد الأرذال حاكما على اليهودية وأندروتكس الفاحش رئيسا على السامرة وأقام أخاه الجاهل كاهنا أعظم .

وفى سنة ١٦٨ق م أرسل أنطيوخس الرابع جيشا جرارا فدخل أورشليم والناس فى صلاتهم فقتلوا الرجال واستعبدوا النساء والأولاد ونهبوا الأموال وأحرقوا البيوت وهدموا الأسوار واحتلوا برج صهيون ولم يفلت من اليهود إلا من اعتصم بالجبال .

---

(١) أربعمائة ألف « التاريخ القديم » .

(٢) فى مذكرات زيادة ٣٣٢ ـ ٢١٣ وفى السرنجاوى ٣٢٣ ـ ٢٨٥ .

وأصدر أمرا بتوحيد الأديان فخضع له السامريون ودشَّن معبدهم فى جريزيم وعبدوا زيوس[1] الأولمبى فى بيت المقدس .

والمحافظون على ديانتهم ارغموا على أكل الخنزير وعذبوا بالنار وأرسل إليهم من يعلمهم ديانة الرومان ومن يخالف ذلك يقتله .

الفصل التاسع

الميكابيون

نشأ عن اضطهاد انطيوخس تنبه اليهود للخطر المحدق بهم ففروا من أورشليم إلى مودن من بلاد فلسطين فتبعهم أحد رجال انطيوخس وبنى مذبحا للأوثان وأرغم اليهود على عبادتها فقام « متاسيا » الكاهن « رأس الميكابيين » وهدم مذبح الأوثان سنة ١٦٨ق م وأقام عبادة الله سنة ١٦٧ق م وقام بعده ابنه يهوذا وحارب انطيوخس فهزمه واستولى على أورشليم سنة ١٦٥ق م ومات انطيوخس الرابع سنة ١٦٤ق م وقام بعده انطيوخس الخامس وكان صبيا فقتل هو وقائده سنة ١٦٢ق م وتولى بعده ديمتريوس الذى استولى قائده على يهوذا وأورشليم وثار عليه اليهود بزعامة يوناثان فعقدت بينهما معاهدة سلمية سنة ١٥٨ق م . وحوالى سنة ١٥٠ق م صار يوناثان رئيس اليهود الروحى والزمنى .

وفى سنة ١٤٨ق م أنتظم الامر لهركانس أحد أحفاد متاسيا فأخضع السامريين وخرب هيكلهم على جبل جريزيم بعد مضى مائتى سنة على بنائه وحاصر مدينة السامرة سنة ١٠٩ق م فَسَلَّمت إليه فخربها وتركها بلقعا . وفى عهده انشق اليهود إلى :

أولا : فريسيين ومنهم هركنس .

ثانياً : صَدُوقِيِّين وهم قوم متعصبون زادوا على مافى التوراة شيئا كثيرا ومات هركنس سنة ١٠٦ق م وبعده سقطت اليهودية فى الشرور .

ولما جاء اسكندر تيوبوس انضم إليه اليهود ضد غزة وصور الذين استنجدتا بملك قبرص فَقَتَل اسكندر وقتل من اليهود ثلثمائة ألف نفس ثم ستة وخمسون ألفا وظل سيفه على رقابهم إلى وفاته سنة ٧٧ق م . وبعد ٣٧ سنة من وفاة زوجة ملك قبرص سنة ٦٩ق م قام صراع على عرش اليهودية قتل فيه كثيرون .

ثم ملك على اليهود هيرودس الأكبر فأعاد هيكل بيت المقدس على الطراز الأغريق وبنى هيكل السامريين فى جريزيم كما أنشأ فى مدينة القيصرية عاصمة ملكه عبادة الأوثان وكانت مظالمه مثار سخط الناس عليه ولكنه أخمد ثورتهم بلا رحمة ولم يرض عنه اليهود لكونه أدوميا .

وفى آخر أيامه ولد المسيح عليه السلام فى بيت لحم .

---

(١) تمثال المشترى « التاريخ العام ص ٦٢ » .

ثم خلفه خمسة من نسله لم يحدث فى عهدهم حوادث ذات شأن وثار اليهود على الولاة الرومانيين فأرسلت روما إليهم قائدها فاسبيشيان فحاصر أورشليم وظل على قتالها إلى أن انتخبه الجيش الرومانى أمبراطورا فخلفه ابنه تيطس على حصار اليهود فأذاقهم الأمَرَّيْن فضلا عن انقسامهم الداخلى وتغلب عليهم وقَتَل فى أثناء الحصار مليونا من اليهود وأسر منهم مائة ألف وشرد الباقين فى أرجاء المملكة[1] وأصبحت اليهودية قاعا صفصفا إذ بلغ عدد المدن الخربة تسعمائة وخمسة وثمانين قرية وهَدَم خمسين حصنا وأبدل اسم أورشليم وحَرَّمَ على اليهود السكن بها وإلى هنا اهـ تاريخ اليود كأمة حوالى سنة ٧٠م وهذا هو دور التشتت الأخير.

وفى عصر أدريان بعد خراب بيت المقدس بخمسين سنة قام بركوشيا اليهودى بمحاولة الأقامة فى بيت المقدس وأعادة الهيكل. وهذه المحاولة كلفت روما حربا دامت ثلاث سنوات من سنة ١٣٢ ـ ١٣٥م.

وبعد هذه الحرب أنشأ أدريان معبد للأله جيبونير فى محل الهيكل اليهودى وأمر بأعدام من يجرؤ من اليهود على دخول هذه المدينة. ثم تلت هذه الفترة فترة سكون.

وفى القرن الرابع الميلادى سمح لليهود بالعودة إلى بيت المقدس والبكاء على أطلالها ولكن لم يعد إليها اسمها إلا فى عهد قسطنطين الكبير سنة ٣٣٠م وفى عهد الأمبراطور جوليان حاول اليهود بناء الهيكل فى بيت المقدس وبالرغم من فشل محاولتهم فقد أنشئ لهم محكمة فى طبرية لليهود الشرقيين سنة ٤٢٩م ومحكمة أخرى ببغداد لليهود المقيمين وراء نهر الفرات وأعضاء الأولى بالوراثة والثانية بالانتخاب ثم تطورتا «المحكمتان» إلى بطريركيتين قامتا بجمع العهد القديم ومايتبعه من زيادات وأصنافات وتم هذا الجمع سنة ٥٠٠م تحت اسم التُلْمُود.

وظلت أورشليم تحت الحكم الرومانى إلى سنة ٦١٤م ثم حكمها الفرس إلى سنة ٦٣٧م حيث دخلت تحت لواء الإسلام الحنيف فى خلافة عمر رضى الله عنه ثم حاول الصليبيون الاستيلاء عليها فقهرهم صلاح الدين الأيوبى سنة ١١٨٧ م وامتلكها العثمانيون مع سوريا سنة ١٥١٧ م ـ سنة ١٩١٧ م حينما قامت الحرب الكبرى وبعدها وضعت تحت الانتداب البريطانى إلى الوقت الحاضر سنة ١٣٥٥ هـ ـ سنة ١٩٣٦ م.

الفصل العاشر

اليهود بعد التفرق

فى أوربا : فى عصر الانحطاط تمكن اليهود من الحصول على درجة من التمدن بفضل مدارسهم التى عملت على احتفاظهم بوجودهم وجعلت لهم نفوذا .. فأصبحوا تجارا ذوى أموال ولقوا من العنت كثيرا لتعاملهم بالربا الفاحش فوق الكراهية الدينية فاضطهدوا تخلصا من ديونهم وطمعا فى مالهم ولكن ثروتهم أكسبتهم حماية بعض الملوك.

ومن القرن الحادى عشر إلى القرن الرابع عشر عوملوا معاملة قاسية وأحرقت كتبهم المقدسة فى فرنسا وطردوا منها فى آخر القرن الرابع عشر.

(١) وجدى ج ١ ص ٢٨٤.

وفى انجلترا تمتعوا أولا حوالى سنة ٧٤٠م ولما ذهب ريكارد قلب الأسد إلى الحرب الصليبية الثالثة خير اليهود بين الموت أو اعتناق المسيحية وأجلاهم الانجليز سنة ١٢٩٠م فرحل منها تسعة عشر ألفا إلى المانيا.

وفى ألمانيا صبغت المدن بدمائهم وأحرقت كتبهم وكنائسهم وطردوا منها تماما فى نهاية القرن الخامس عشر.

أما فى روسيا وهينغاريا فطردوا منها تماما فى القرون الوسطى أما فى أسبانيا الإسلامية فكانوا هادئى البال إلا أنهم قد ثارت عليهم البلاد فى أواخر القرن الخامس عشر وقتلوا كثيرين منهم وطردوهم سنة ١١٩٢م مجردين من أملاكهم ونصروا أولادهم وعُمِّدُوا جماعات ومن بقى منهم بيع رقيقا وظلوا مضطهدين إلى القرن السابع عشر.

وحفظ التاريخ للعثمانيين أطيب الذكر حيث تفردوا بحسن معاملة اليهود.

ولم تحمهم النهضة الأوربية من هذا الأرهاق بل زادت فى قسوته فلاقى اليهود وخاصة من البروتستانت والكاثوليك أشد العذاب.

غير أن حكام انجلترا لاحتياجهم لما فى أيدى اليهود سمحوا لهم بحق التملك سنة ١٧٢٣م. وفى فرنسا اعترف برَعويتهم سنة ١٧٩١م وكذلك فى عهد نابليون سنة ١٨٠٦م وفى الروسيا لايزالون يعاملون معاملة خاصة تبعدهم عن الحياة العامة.

وفى ألمانيا قامت الاضطهادات على أَشُدِّها فى الوقت الحاضر تمثلها النازية فى شخص هتلر الدكتاتور الألمانى.

أما فى بلاد العرب فى الجنوب الغربى فأسس اليهود مملكة حمير واستولوا على اليمن وطردهم الأحباش منها.

ولما ظهر الإسلام حاربهم لمناوأتهم الدعوة الإسلامية واستولى على خيبر سنة ٦٢٧م وأُجْلوا إلى سوريا واضطهدهم المسلمون مرة فى المغرب سنة ٧٩٠م ومرة فى مصر سنة ١٠١٠م ولعل الأخيرة لمحاولة اليهود الرجوع إلى بيت المقدس أبان نشأة الحروب الصليبية.

وبالجملة عاملهم المسلمون بالحسنى فتنفس اليهود وظهرت منهم شخصيات نبغت فى بعض نواحى المعرفة كالفلسفة والطب ونقلوا مؤلفاتها إلى الغرب تحت رعاية الإسلام.

أما يهود بابل فكانوا أحسن حالا من يهود فلسطين خاصة فى عهد الفرس.

وفى الامبراطورية الشرقية اضطهدوا بشدة فى القرن الحادى عشر فى عهد الامبراطور باسيل الثانى.

واليهود فى مصر الآن جالية متمتعة بالرَّعَوِّية المصرية فلها ماللمصريين وعليها ماعليهم ولهم مدارسهم وكنائسهم ورئاستهم تنتهى إلى منصب الحاخام وليس فى مصر مدرسة يهودية عليا تؤهل لارتقاء هذا المنصب. ويبلغ عددهم ثلاثة وستين ألفا وخمسمائة وخمسين نسمة منهم ٦٢٠٢ فى المحافظات و ٢٣٠٢ فى الوجه البحرى و ١٠٤٦ فى الوجه القبلى [1].

(١) أحصاء القطر المصرى سنة ١٩٢٧ م طبع بولاق سنة ١٩٣٠ م ص ٣٢.

الفصل الحادي عشر

المسألة الصهيونية [١]

وفى الوقت الحاضر ظهرت حركة جديدة هى الحركة الصهيونية ويرجعها المؤرخون إلى سنة ٧٠م لما خرب بيت المقدس على يد تيطس الرومانى ثم حاول اليهود فى عهد أدريان بزعامة بركوشيا حوالى سنة ١٣٢م الرجوع إلى بلادهم ثم فى عهد جوليان سنة ٣٤١م ولم تتلاش آمالهم إلى سنة ٤٢٩م ويروى أحد علماء النصارى فى القرن الحادى عشر الميلادى أن اليهود حاولوا الرجوع إلى أورشليم سنة ٣١٦ ـ سنة ٤٢٩هـ ، سنة ٩٢٨ ـ سنة ١٠٢١م .

أما الصهيونية الحديثة فقد فكر اليهود فى أمرهم نظرا لتنبه العصبيات والقوميات والقول بالسلالات وسيادة بعضها على بعض فقام عقلاؤهم بمحاولة أيجاد مكان معين يعتبرونه وطنا قوميا لهم وخاصة بعد ظهور اضطهادهم على مسرح الحياة فى هذا العصر فانتخبوا بقاعا كثيرة ولكن فلسطين نالت موافقتهم جميعا لأنها أرض الميعاد[٢] ومنبت دينهم وقوّى تعينهم فى الحصول عليها شعورهم أن ما أصابهم لم يكن إلا لذنوبهم ومحاولتهم التطهر منها بأحياء الروح اليهودية ليتحقق لهم ماوُعِدُوا به إذا تابوا وأنابوا ثم حسن معاملة المسلمين لهم حيث تغلغلوا فى بلادهم أنى شاءوا فاستقر بعضهم فى فلسطين ولما وقعت مذابح الروسيا نزح اليهود إلى البلاد العثمانية ومنها إلى بيت المقدس .

وأول هجرة منظمة فى سنة ١٨٨١م وأنشئت عدة جمعيات لأيواء المتشردين أهمها الجمعية الصهيونية ولفكرة الصهيونية أنصار وزعيمهم تيودور هرتسل[٣] وكتابه الدولة اليهودية أول صيحة فى تحقيق الصهيونية وصادفت دعوته نجاحا بين اليهود .

وعقد فى مدينة بازل بسويسرا فى أغسطس سنة ١٨٩٧م مؤتمر يهودى برئاسة هرتسل وضع فيه منهج الصهيونية الرسمى وهو : تسعى الصهيونية لتحقق للشعب اليهودى أنشاء وطن يهودى فى فلسطين يتمتع بالضمانات التى يقرها القانون العام بالوسائل الآتية :

١ ـ تشجيع استعمار فلسطين بوساطة الزراع والصناع والعمال وتقوية عواطف اليهود القومية .
٢ ـ بذل المساعى للحصول على التصريحات المحققة للصهيونية[٤] .

وبذل هرتسل لدى السلطان عبد الحميد ٥٠ مليون من الجنيهات مع المساعى فلم يقبل السلطان أى ثمن فاقترح هرتسل على اليهود أن يحلوا بأوغندة بدل صهيون ولكن بوفاته سنة ١٩٠٤م حبطت مساعيه .

وكان هناك رأى يقول : باندماج اليهود فى الأوساط التى يعيشون بينها ولكن آراء هرتسل طغت على تلك النظرية[٥] .

---

(١) نسبة الى جبل صهيون الذى على سفحه بيت المقدس .
(٢) هى أرض مواب بن لوط من ابنته التى أتاها وهو سكران كما تزعم التوراة .
(٣) تيودور هرتسل زعيم الصهيونية من سنة ١٨٦٠ م ـ ١٩٠٤ م كاتب نمساوى يهودى ظهر فى فينا .
(٤) الرسالة عدد ١٥٦ ص ١٠٤٧ .
(٥) العقائد .

ولما قامت الحرب الكبرى سنة ١٩١٧م واضطهدت الروسيا اليهود أدركت انجلترا أن فى ضمهم إليها وعطفها على قضيتهم يمكنها من المولين وذوى النفوذ السياسى منهم وتحمى ضفة قناة السويس الشرقية[١] ويرضى رعاياها اليهود والأمريكيين وهم حوالى ثلاثة ملايين فأصدرت على لسان وزير خارجيتها إذ ذاك بالفور إلى روتشيلد الزعيم الصهيونى فى ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧م التصريح المشهور بتصريح « بلفور » ونصه :

وزارة الخارجية فى ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧م .

عزيزى لورد روتشيلد أعلمكم بسروز أن حكومة جلالته كلفنى بأطلاعكم على التصريح التالى الموافق للرغبات اليهودية الصهيونية والذى عرض على الوزارة فوافقت عليه « أن حكومة ـ جلالته ـ تنظر بعين الرضا والقبول إلى أنشاء وطن قومى للشعب اليهودى فى فلسطين . وستتخذ كل مالديها من الذرائع لتحقيق ذلك على أن لا يجرى شىء يمس حقوق غير اليهود المقيمين فى فلسطين المدنية والدينية أو يمس ماللبهود من الحقوق والمقام السياسى فيما سواها من الممالك ـ أرجو أن تطلعوا الاتحاد الصهيونى على هذا التصريح .

صديقكم المخلص أرثورجيمس بالفور[٢]

وفى ٢٤ يوليه سنة ١٩٢٢م وضعت فلسطين تحت الانتداب الانجليزى فى درجة حرف أ وفى صك الانتداب جعلت الدولة المنتدبة مسئولة عن جعل فلسطين فى ظروف سياسية واقتصادية تكفل أنشاء الوطن القومى اليهودى ومسئولة عن ترقية الحكم الذاتى وضمان الحقوق الدينية والمدنية لسكان فلسطين والاعتراف بهيئة يهودية تعاون فى أدارة شئون فلسطين الاقتصادية والاجتماعية وغيرها مما يساعد على تحقيق الوطن القومى وعلى حكومة فلسطين تسهيل الهجرة اليهودية فى الأحوال المناسبة مع عدم ألحاق الضرر بالطوائف الأخرى والعمل على استقرار اليهود فى الأراضى الزراعية وقد رفض العرب ماجاء فى وعد بالفور وماجاء فى صك الانتداب بكل الوسائل الممكنة بالمذكرات والعرائض وأرسال الوفود إلى لندن وتعدوا إلى ماهو أبلغ من ذلك :

فى إبريل سنة ١٩٢٠م قامت الثورة فى القدس خمسة أيام واتسع نطاقها وقمعت بالشدة .

وفى مايو سنة ١٩٢٠ م وقعت فى يافا مصادمات عنيفة كادت تقسم البلاد وانتدب السير هايكرفت قاضى قضاة فلسطين للتحقيق فى أسباب تلك الاضطرابات وكتب تقريرا فيه مصلحة العرب .

وفى سنة ١٩٢٤م وقعت اضطرابات كثيرة فى يافا قتل فيها كثيرون وفى سنة ١٩٢٩م قامت فتنة عمت فلسطين .

وفى ١٣ أكتوبر سنة ١٩٣٣م وقعت مصادمة شديدة فى القدس وانتشرت إلى يافا فى ٢٧ منه وأدت إلى أضراب عام دام أكثر من أسبوع[٣] .

وفى ١٦ إبريل سنة ١٩٣٦م « ٢٤ محرم سنة ١٣٥٥هـ » قامت الثورة الكبرى التى لم يسمع بها التاريخ وأبدى العرب الفلسطينيون شجاعة نادرة حتمها عليهم الواجب المقدس واجب الدفاع عن الوطن المفدى وعن حياتهم وكيانهم ومستقبلهم فى بلادهم ومستقبل أحفادهم من بعدهم .

وتبذل الحكومة الفلسطينية الانجليزية أثمانا باهظة من الأنفس والأموال .

---

(١) الجهاد ١٧ مايو سنة ١٩٣٦ ص ١ ـ ٢ .

(٢) تاريخ المسألة الصهيونية .

(٣) أهرام ٢٠ / ٥ /١٩٣٦ م .

أما الأنفس فلا سبيل إلى معرفة عددها الحقيق وماينشر لايتناسب مع الواقع[١] لأن القتال فى الجبال والصحارى مما يجعل معرفة عددهم متعذرا .

وأما الأموال فأن الحكومة كانت تدفع ٤٠ ألفا[٢] من الجنيهات يوميا على الجيش البالغ قدره ثلاثين ألف جندى ثم ارتفعت هذه النفقات إلى ثمانين ألفا منها خمسة عشر ألفا لحراسة أنابيب البترول .

وبلغ عجز خزينة فلسطين عشرة ملايين[٣] من الجنيهات .

والعرب الآن قد بلغوا درجة اليأس من نيل حقوقهم ومطالبهم واستبانوا سوء نية الحكومة من مطالها وتسويفها فى حل قضيتهم وعدم عملها بتقريرات لجانها التى انتدبتها عقب كل ثورة خاصة لجنتى شو سنة ١٩٢٩م وسمبسون[٤] سنة ١٩٣٠م .

وفى ٧ مايو سنة ١٩٣٦م عقد مؤتمر عام من زعماء فلسطين برئاسة الحاج أمين الحسينى المفتى ورئيس المجمع الأعلى الإسلامى وقرروا فيه مواصلة الأضراب العام والامتناع عن دفع الضرائب مالم تقف الهجرة الصهيونية والمطالبة بأنشاء حكومة وطنية كحكومات البلاد التى انفصلت عن تركيا مع فلسطين بعد الحرب الكبرى[٥] .

واتخذت الحكومة التدابير فحشدت القوات وأطلقت يد المندوب البريطانى بحجة أنها مرتبطة مع اليهود بوعود وربما أعلنت الأحكام العرفية[٦] ويسلم أمرها إلى القوة العسكرية .

ونسيت انجلترا أنها مرتبطة بعهود مع العرب الذين وقفوا بجوار الحلفاء فى الحرب الكبرى ومن تلك الوعود أنشاء مملكة حربية يحكمها الحسين بن على وأدماج فلسطين فيها مع أن وعدها لليهود مقيد بسلامة مصالح الطوائف الأخرى وأنها مسئولة عن فلسطين فى أرشادها إلى الحكم الذاتى ومنحه لها فى أقرب وقت .

أما أسباب هذه الاضطرابات الحقيقية فهى ماقدمنا من تهديد حياة العرب فى فلسطين حتى أصبح من الممكن جعل فلسطين يهودية وإجلاء العرب منها إن دامت الحال على ماهى عليه من تدفق الهجرة اليهودية .

ولكن تقول انجلترا أن لأيطاليا أصبعا فى هذه الثورة مع أن هذه الثورة ليست الأولى من نوعها وقد قامت ثورات أيام أن كانت أيطاليا صديقة لانجلترا .

فى حين أن أيطاليا تقول أن انجلترا هى التى خلقت هذه الثورة لتبرر حشد جيوشها فى الشرق .

حقيقة الصهيونية : يرى البعض أن الصهيونية نظام اشتراكى والبعض يرى أنها نظام اجتماعى يعمل على خلق مدنية يهودية فى حين يرى آخرون أنها مشروع اقتصادى يقوم على أساس مصطنع .

ويرى بعض اليهود المحدثين[٧] أن اليهودية نفسها جامعة قومية ويرجع سبب ذلك إلى اشتداد الخصومة السامية

---

(١) يقال أنهم ٣١٥ منهم ١٨٤ مسلما ـ ٨٠ يهوديا ـ ٣٥ انجليزيا والجرحى ١٣١٤ «أهرام ٣/١٠/١٩٣٦م ص ٤» .

(٢) مقطم ١٧ يوليو سنة ١٩٣٦م .

(٣) الجهاد ٣١ أغسطس سنة ١٩٣٦م ص ٧ .

(٤) كتبت كل منها تقريرا بتحديد الهجرة وتحديد بيع الأراضى وسنّ قانون يكفل مستقبل البلاد من أهرام ٢٠/٥/١٩٣٦م .

(٥) بلاغ ٨/٥/١٩٣٦م .

(٦) أهرام ٣/١٠/١٩٣٦م .

(٧) سيمون دنتوف صاحب كتاب التاريخ اليهودى «رسالة ١٥٦» .

وما تلاقيه الصهيونية من المتاعب فى عصرنا الحاضر وتنبه القوميات .

والحق أن الصهيونية تقوم على أسس دينية واجتماعية واقتصادية وللدين أكبر نصيب إذ ساعد على جمع كلمة اليهود على اختيار فلسطين وطنا لهم

ويحاول اليهود ومؤيدوهم أخفاء هذه الحقيقة خوفا من أثارة الشعور الدينى ضد تلك الفكرة .

وتأييد انجلترا لهذا المشروع لما يأتى :

أولاً : تتخلص من اليهود[1] بسهولة بدل العنف كما تفعل ألمانيا الآن .

ثانياً : تكسب عطف اليهود وأموالهم ونفوذهم فى هذا الجو الذى يتوقع فيه حرب عالمية .

ثالثاً : ترهق عرب فلسطين باليهود فتشغلهم عن المطالبة بحقوقهم عليها ومع ذلك فهو عمل صليبى مُقَنَّعٌ .

رابعاً : تحمى مواصلاتها فى الشرق حتى إذا قدر لها أن تَدَعَ مصر تجد الطريق أمامها .

مصير الصهيونية :

يرى البعض[2] أن اليهود سينجحون فى مشروعهم لمالهم ونشاطهم وأنهم سيكونون معلمى المسلمين[2] .

ونقول من جانبنا الإسلامى أن تعاليم الإسلام لاترى بأسا من طلب العلم الدنيوى وأخذه عن أى جنس وصنف لأن الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها التقطها .

أما العلم الدينى فلا يعقل أن يأخذ المسلمون عن اليهود شيئا منه لأن الله أكمل لنا الدين وأتم نعمته علينا وارتضى لنا الإسلام دينا ولم يلحق الرسول بربه إلا والدين تام .

على أنه لاتعرف أمة تركت ميراثا من العلم أو تراثا من الحضارة والمدنية كالذى تركه المسلمون فنحن ولله الحمد فى غنية عن تلقى العلم الذى يضعفنا فى ديننا ودنيانا عن اليهود الذين هم أفقر أمة عرفها التاريخ فى العلم والحضارة .

فى حين يرى آخرون أنهم لن ينجحوا فى وطنهم القومى فيقول : أن فكرة الوطن القومى واهية الأساس إذ تلتقى فى فلسطين أشتات من جنسيات وثقافات وتوحيد هذه العقليات صعب التحقيق أن لم يكن مستحيلا . وأيضا تقوم هذه الفكرة على أسس صناعية سيكشف الزمن عن ضعفها وهو مشروع اقتصادى تؤيده القوة[3] .

والحق أنه لن يكتب لليهود التوفيق فى مشروعهم وهاهم رغم تأييد القوة لهم واحتمائهم بها لم تظهر بوادر الارتياح بل تنذر بسوء العقبى وكثير منهم مات منتحرا وكثير منهم أعلن أفلاسه وكثير منهم هاجر إلى البلاد المتاخمة لفلسطين وفى كل يوم يندلع لهيب الثورة فبعد أن كان فى فلسطين وحدها تخطاها إلى سوريا والعراق وربما شمل العالم الإسلامى بأسره لأن للمسلمين جميعا آمالا مقدسة وذكريات عزيزة فى فلسطين الشقيقة المجاهدة المستشهدة . ولن تثنيهم القوة عن افتداء أولى القبلتين وثانى الحرمين ومؤازرة أخوانهم فى الدين واللغة وهى أواصر متينة يعتمد على حقها فى الافتداء والتضحية والحق سلاح قوى . أما الباطل فسلاح كليل .

---

(١) مهاجرو اليهود الانجليز من سنة ١٩٣١م ـ سنة ١٩٣٥م عددهم الرسمى ٣٠٤٢ اهرام ١٤/٥/١٩٣٦م

(٢) عمر عنايت ـ فى كتاب العقائد ـ

(٣) الرسالة عدد ١٥٦ .

والآن وقد مضى على فلسطين تحت الانتداب الانجليزى ثمانية عشر عاما وهى تنتقل من سيىء إلى أسوأ والتبعة فى ذلك على انجلترا لحشدها هذه العناصر المتباينة فى فلسطين وخلقها عوامل الاضطراب وعدم النظر بعين الأنصاف إلى شكايات العرب وقرارات لجان التحقيق ولمعالجتها الأمور بالعنف والقسوة وللآن لم يكتب السطر الاخير فى مشكلة فلسطين المعذبة ولعل الله يهيىء لها من أمرها رشدا[1].

وقد وجه ملوك العرب ـ الحجاز واليمن والعراق وأمير شرق الأردن ـ إلى اللجنة العليا وأهل فلسطين نداء بوقف الاضطرابات حتى تسوى الأمور فوافقت اللجنة العليا[2] على ذلك.

أما عدد اليهود الآن فيبلغ أربعة[3] عشر مليونا فى العالم كله.

أما عددهم فى فلسطين فيؤخذ من الأحصاءات الكثيرة أنهم فى زيادة مقلقة مستمرة إذ كانوا فى سنة ١٩١٧م خمسة وعشرين إلى ثلاثين[4] ألفا. وفى سنة ١٩٢٧م مائة وتسعة وخمسين[5] ألفا وفى سنة ١٩٣١م مائة وخمسة[6] وسبعين ألفا.

واستوطن فلسطين سنة ١٩٢٥م ثمانية وستون ألفا[7] وثمانمائة وأربع وخمسون مهاجرا يهوديا ماعدا الفارين عن طريق الحدود وقد صرح المندوب البريطانى رسميا فى نابلس سنة ١٩٣٣م أن الهجرة الغير مرخصة ليست أقل كثيرا من الهجرة[8] القانونية.

وجملة عددهم الآن زُهَاءَ نصف مليون ماعدا الفارين.

وسكان فلسطين الآن عرب ومسلمون ومسيحيون سبعمائة[9] وخمسون ألفا.

---

(١) تجرى الآن مفاوضات بين ملوك العرب ـ الحجاز والعراق واليمن وأمير شرق الأردن وبين حكومة انجلترا وللآن لم تنته بعد. وهناك خيط من أمل فى أنهاء هذه المشكلة وقد أنتهت الثورة عقب صدور هذا النداء وسترسل لجنة ملكية لتحقق فى شكاية العرب « أرسلت اللجنة ولم يعرف تقريرها بالضبط ويشاع تقسيم فلسطين إلى ثلاثة أقسام يهود ومقرها الساحل وعرب ومقرها الداخل وبيت المقدس على الحياد.

(٢) أهرام ١٩٣٦/١٠/١١م ص ٧.

(٣) العقائد.

(٤) المسألة الصهيونية.

(٥) جهاد ١٧ مايو سنة ١٩٣٦م

(٦) أهرام ١٤ يونية سنة ١٩٣٦م.

(٧) أهرام ١٩٣٦/٧/٣م.

(٨) أهرام ١٩٣٦/٦/١٤م

(٩) رسالة ١٥٣.

الفصل الثاني عشر

خلاصة حياة اليهود الدينية

نجمل ماتقدم فنقول مر على اليهود عصور متتابعة :

١ ـ عهد موسى عليه السلام: وفيه ارتد الاسرائيليون مرتين الأولى عقب خروجهم من مصر وعبورهم البحر الأحمر حينما عبدوا العجل[١] والثانية فى سطيم حيث عبدوا بعل فغور[٢].

٢ ـ عهد يشوع : قضوه بالاستقامة[٣].

٣ ـ عهد القضاة : ارتدوا كثيرا بعدد قضاتهم وفى أيام القضاة[٤] أيضا.

٤ ـ عهد المملكة : لم يكونوا متمسكين بدينهم فرموا داود بالزنا وسليمان بالأوثان وعبادتها[٥].

٥ ـ عهد الانقسام : (أ) اسرائيل كانت وثنية (ب) يهوذا لم تكن أحسن حالا منها.

٦ ـ عهد السبى : عبدوا الأوثان بعد ما أحرقت كتبهم وهدم هيكلهم.

٧ ـ عهد الفرس : لم يرجع معظمهم وظلوا متفرقين فى أنحاء البلاد.

٨ ـ عهد الرومان : تغيرت عاداتهم بعادات أغريقية باشتراك القساوسة وعبدوا هرقل وزيوس وعلموا ديانة اليونان.

٩ ـ عهد الميكابيين : قامت بين يهوذا والسامرة حروب هدم فيها معبد السامرة وصارت بلادهم قاعا وتيطس قضى عليهم جميعا.

١٠ ـ فى دور التشتيت : لم يهتموا بالدين فى البيئات التى استوطنوها واتجهوا إلى الشئون المالية لحرمانهم من حق التملك وليمكن حملها عند اضطهادهم خاصة فى أوربا.

١١ ـ فى ظل الإسلام : نشطوا فى بعض نواحى المعرفة كالفلسفة والطب.

١٢ ـ فى الوقت الحاضر : سنة ١٣٥٥هـ، سنة ١٩٣٦م تبرم العالم المتمدين بهم وحاول التخلص منهم لأنهم يحاولون دائما أن يكونوا مادة عسرة فى الجهات التى يعيشون فيها بخلق نظم شاذة تعرقل سير الحياة الاجتماعية وتقضى على النظم الصالحة. جاء فى خطاب الزعيم هتلر فى المؤتمر النازى بمدينة نومبرج بألمانيا مايأتى : ـ أما نشاط العنصر اليهودى الذى يعتقد أنه يستطيع أن يثور على الدولة فأنه يرمى إلى تدمير أعظم معالم الجماعة.

وجاء فى خطاب الدكتور جوبلز فى هذا المؤتمر عند الكلام على خطر البلشفية اليهودية مانصه :

أن اليهود هم الذين خلقوا البلشفية وهم حاملو لواءها[٦] اهـ.

---

(١) خروج ص ٣٢.
(٢) العدد ص ٢٥.
(٣) القضاة ص ٢ : ٧.
(٤) قضاة ص ١٢ : ١١ ـ ٢٠.
(٥) صمويل الثانى ص ١١ رمى فيه داود بالزنى ص ١٣ فيه عشق الأخ لأخته ص ١٦ دخل أبشلوم على سرارىّ أبيه داود.
(٦) أهرام ١٩٣٦/٩/١١م.

نتيجة الأبحاث المتقدمة :

والذى نستخلصه من تاريخ حياتهم الدينية هو أن حياتهم الواقعية شاهدة عليهم بالكفر فى جميع عصورهم ـ ماعدا عصر يشوع ـ ولم يكونوا يوماً ، محافظين على الديانة اليهودية ولاعاملين بها بل كانوا مغرقين فى الوثنية وأنهم ليسوا فى حاجة إلى التوراة بل أنهم غير مأمونين عليها وماداموا كذلك فقد انقطع إسناد هذه التوراة إلى موسى عليه السلام ومتى انقطع اسنادها عدمت الثقة بها وأصبحت مثل أى كتاب من الكتب التى لايعلم أصحابها .

وقد لاحظ المسلمون هذه الملاحظة قديما كالعلامة ابن حزم فى كتابة « الفصل فى الملل والنحل » ج ١ ص ١٨٦ ـ ١٩٩ وكتب ألمامة فى بيان انقطاع أسناد هذه التوراة إلى موسى عليه السلام .

وكذلك العلامة الشيخ رحمة الله الهندى فى كتابه ـ إظهار الحق ـ ج ١ص ١٨٢ ـ ١٨٥ كتب هذه الملاحظة تدليلا على أنها ـ التوراة ـ لاتنسب إلى معصوم وأن لكل أنسان أن يرفضها بل عليه أن يرفضها لما اشتملت عليه فى حقه تعالى وفى حق أنبيائه عليهم السلام .

وهذا أول فرق بين اليهود والمسلمين لأنهم ـ المسلمين ـ ولله الحمد لم يحصل منهم ردة أجماعية فى عصر من عصورهم بل ظلوا محافظين على دينهم عاملين بكتابهم فى جميع أدوارهم فلم ينقطع أسناد القرآن إلى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

ويلزم هذا الفرق بين التوراة والقرآن الكريم حيث انقطع أسناد الأول واتصل أسناد الثانى فلم تنقطع صلته بصاحبه ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى الوقت الحاضر وسيظل محفوظا برعايته تعالى تحقيقا لوعده فى كتابه الكريم « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » وهذه المحافظة لها أهميتها فى نظر الباحث العلمى والدينى .

الفصل الثالث عشر

رأى التوراة فى اليهود

جاء فى التوراة صفات اليهود نوردها هنا :

١ ـ **صغر النفس وذلها** : خروج ص ٦ : ٩ فكلم موسى هكذا بنى إسرائيل ولكن لم يسمعوا لموسى من صغر النفس وذل العبودية ، ص ١٤ : ١١ وقالوا لموسى هل لأنه ليست قبور فى مصر أخذتنا لنموت فى البرية ؟ ماذا صنعت بنا حتى أخرجتنا من مصر ؟ أليس هذا هو الكلام الذى كلمناك به فى مصر قائلين كُفَّ عنا فنخدم المصريين لأنه خير لنا أن نخدم المصريين من أن نموت فى البرية ، ص ١٦ : ٣ وقالوا لهما ـ لموسى وهرون ـ ليتنا متنا بيد الرب فى أرض مصر إذ كنا جالسين عند قدور اللحم نأكل للشبع سفر العدد ص ١١ : ٤ ، ٥ ، ٦ قد تذكرنا السمك الذى كنا نأكله فى مصر مجانا والقثاء والبطيخ والكراث والبصل والثوم .

٢ ـ **الجبن وخور العزيمة والتردد** : خروج ص ١٣ : ١٧ وكان لما أطلق فرعون الشعب أن الله لم يهدهم فى طريق أرض فلسطين مع أنها قريبة لأن الله قال لئلا يندم الشعب إذا رأوا حربا ويرجعوا لمصر ، ص ١٤ : ١٠ ، ١١ فلما اقترب فرعون رفع بنو إسرائيل عيونهم وإذا المصريون راحلون وراءهم ففزعوا جدا وصرخ بنو إسرائيل إلى

الرب وقالوا لموسى : هل لأنه ليست قبور فى مصر أخذتنا لنموت فى البرية ؟ ماذا صنعت بنا حتى أخرجتنا من مصر ؟

٣ ـ **التمرد والتذمر وصلابة الرقبة** : خروج ص ٣٣ : ٣ لا أصعد فى وسطك لأنك شعب صلب الرقبة سفر العدد ص ١٧ : ٥ فالرجل الذى اختاره تفرخ عصاه فأسكن عنى تذمرات بنى إسرائيل التى يتذمرونها عليكما ، ص ٢٠ : ٣ وخاصم الشعب موسى وكلموه قائلين : ليتنا فنينا فناء أخوتنا أمام الرب ٤ لماذا أتيتما بجماعة الرب إلى هذه البرية لكى نموت فيها نحن ومواشينا ، تثنية ص ٣٢ : ٢٠ ـ ٢٨ .

٤ ـ **الشر** : العدد ص ١٤ : ٢٦ وكلم الرب موسى وهرون قائلا ٢٧ متى أغفر لهذه الجماعة الشريرة المتذمرة على قد سمعتُ تذمر بنى إسرائيل الذى يتذمرونه عليَّ .

٥ ـ **الغلاظة والأثم والخطيئة** : تثنية ص ٩ : ٢٧ أذكر عبيدك إبراهيم وإسحاق ويعقوب لاتلتفت إلى غلاظة هذا الشعب وإثمه وخطيئته .

٦ ـ **عدم الرأى وعدم البصيرة وعدم الأمانة والتقلب** : تثنية ص ٣٢ : ٢٠ أنهم جيل متقلب أولا ولا أمانة فيهم ٢٨ أنهم أمة عديمة الرأى ولا بصيرة فيهم .

٧ ـ **العصيان الدائم** : تثنية ص ١ : ٢٦ لكنكم لم تشاءوا أن تصعدوا وعصيتم قول الرب ، ص ٩ : ٢٣ وحين أصعدكم الرب من قادش برنيع قائلا : أصعدوا وامتلكوا الأرض التى أعطيتكم عصيتم قول الرب ألهكم ولم تصدقوه ولم تسمعوا لقوله ٢٤ قد كنتم تعصون الرب منذ يوم عرفتكم ، ص ٩ : ٧ من اليوم الذى خرجت فيه من أرض مصر حتى أتيتم إلى هذا المكان ـ عند الأردن ـ كنتم تقاومون الرب .

٨ ـ **الغباوة** : تثنية ص ٣٢ : ٦ الرب تكافئون بهذا ياشعبا غبيا غير حكيم ـ قاله موسى عند اقتراب أجله ـ .

الفصل الرابع عشر
رأى القرآن الكريم فى اليهود

قسم القرآن الكريم اليهود قسمين فقال تعالى : « ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون » وهؤلاء هم الأنبياء الذين قاموا فيهم لهدايتهم والربانيون والأحبار الذين عملوا بمقتضى اليهودية الصحيحة أو السبعين الذين اختارهم موسى من قومه ـ وهؤلاء لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ـ والقسم الثانى وهو الأكثرية « منهم أمة مقتصدة وكثير منهم ساء مايعملون » وقد ورد فى القرآن الكريم عن أوصافهم الشيء الكثير نشير هنا إلى طائفة منه فيما يلى :

١ ـ فساد العقيدة عند القائلين بهذه الأشياء ـ أ ـ وقالت اليهود عزير بن الله ـ ب ـ لن يدخل الجنة إلا من كان هودا ـ جـ ـ لن تمسنا النار إلا أياما معدودة « قل هاتوا برهانكم أن كنتم صادقين » فيما زعمتموه ـ د ـ وصْفُهُمُ الله تعالى بما لايليق : ـ أ ـ « يد الله مغلولة » « غلت أيديهم ولعنوا بما قالو » ـ ب ـ أن الله فقيرا « أن الله هو الغنى الحميد » ـ هـ ـ

أنهم أبناء الله وأحباؤه « قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولله ملك السموات والأرض وما بينهما وإليه المصير » .

٢ ـ عدم الوفاء بالعهد ـ ٣ ـ لبس الحق بالباطل ـ ٤ ـ كتمان الحق عمدا ـ ٥ ـ الظلم ـ ٦ ـ تبديل الأوامر الألهية « فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون » ـ ٧ ـ الذلة والمسكنة ـ ٨ ـ الكفر بآيات الله وقتل الأنبياء بغير حق ـ ٩ ـ العصيان والاعتداء ـ ١٠ ـ التولى والأعراض عن اتباع الشرائع ـ ١١ ـ الكذب على الله ـ ١٢ ـ الاستكبار عن سماع الحق ـ ١٣ ـ الحرص على الحياة الدنيا ـ ١٤ ـ معاداتهم لمن يقول الحق ـ ١٥ ـ اتباع الشعوذة ـ ١٦ ـ الحسد ـ ١٧ ـ الأحتيال فى أكل أموال الناس بالباطل « وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل » ـ ١٨ ـ التعنت « أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم » ـ ١٩ ـ الجبن وضعف العزيمة « اذهب أنت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون » ـ ٢٠ ـ طاعة الزهبان فى المحرمات « أتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله » ـ ٢١ ـ الاختلاف فى التوراة « ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه » . « ان هذا القرآن يقص على بنى إسرائيل أكثر الذى هم فيه يختلفون » ـ ٢٢ ـ الأفساد فى الأرض ـ ٢٣ ـ الأصرار على الباطل « قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا » ـ ٢٤ ـ الغباوة « مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا » ـ ٢٥ ـ الجهل « أنكم قوم تجهلون » ـ ٢٦ ـ الفسق « فلا تأس على القوم الفاسقين » .

هذه طائفة من أوصافهم فى القرآن الكريم يؤيدها واقع حياتهم وشهادة توراتهم .

الباب الثاني

الفصل الأول

حياة اليهود الاجتماعية

حياة اليهود الاجتماعية كانت فى درجة بدائية من الحضارة والمدنية بل ارتدوا على أدبارهم ونكصوا على أعقابهم ولم يتابعوا السير فى التقدم الأنسانى والأصلاح الاجتماعى العمرانى أو على الأقل ظلوا واقفين حيث ابتدأوا كأن الزمن لم يمر عليهم وذلك لأنهم كانوا .

فى الصحراء يحيون حياة قَبَلِيَّة عمادها الفردية والذاتية ولاشك فى أن حياة الصحراء لاتتبع نظاما اجتماعيا صالحا .

ثم لما قدموا إلى مصر كانوا فى حساب الطبقة السفلى طبقة العمال التى كانت تستخدم فى حفر الأنهار وشق الترع وتمهيد الطرق وبناء المعابد وتشييد المبانى وصنع اللَّبِن ولقد بنى الإسرائيليون لفرعون مصر مدينتى فيتوم ورعمسيس واستخدموا فى المهن الحقيرة ففقدوا كثيرا من نفسيتهم وحرموا من عزتهم التى هى أعز مايملك الأنسان .

ولما خرجوا من مصر لم يخرجوا رغبة فى الحياة الحرة لجهلهم معناها حيث قضوا أربعة قرون كما تقول توراتهم أو أقل كما يقول ـ العلماء ـ فى الذل القاتل والعبودية القاسية وإنما خرجوا امتثالا لأمر رؤسائهم وعرفائهم أى خرجوا كرها إلى الحياة العزيزة وسيقوا إليها قسرا وفى الصحراء نزلت عليهم التوراة التى لم يصلنا منها شىء ـ وسيأتى الكلام عليها أن شاء الله ـ .

وعلى كل فقد أصابتهم نكسة اجتماعية ببداوتهم بعد حضارتهم . وأن كنا نرى أن السر فى بداوتهم هو استشفاء نفوسهم مما أصابها فى مصر وأعدادهم لحياة راقية ـ لأنه رجوع بهم إلى حالة طبيعية ساذجة لاتكلف فيها للعقلية الإنسانية بل كل تكاليفها الحرص على مايقيم أَوَدَ الحياة ـ وظلوا فى الصحراء إلى وفاة موسى عليه السلام .

وبعده أدخلهم يشوع بلاد كنعان من الجنوب والشرق ولم يستولوا إلا على المدن القليلة الأهمية الخالية من المقاومة والمتصلة بالصحراء بأقوى الأسباب لأنها تطل على الجدب القاحل والطرف الماحل فأقاموا فيها رعاة للماشية فى تلك الصحراء القريبة منهم ولم يتحضروا إلا بعد أن اتصلوا بأخوانهم الذين فى شمال كنعان حيث الخصب والزراعة التى تعتمد على الأمطار الشتوية وحيث المدن التجارية على الشاطىء الشرقى للبحر الأبيض المتوسط وحيث الحضارة الناشئة من البابلية والمصرية « القديمتين » وهذا الاتصال جاء فى دور متأخر بعد دخولهم كنعان حيث قضوا مدة فى حربهم مع الفيلسطينيين وبعد داود وسليمان عليهما السلام انقسموا على أنفسهم ودبت بينهم عقارب الفتن والأحن فحارب بعضهم بعضا وسرت فيهم عوامل الضعف التى ساعدت الأمم المجاورة لهم على قهرهم واستعبادهم وكانوا دُولةً بينها فعاشوا عالة على تلك الأمم واعتمدوا عليها اعتمادا كليا خاصة فى عهد الفرس وذلك التواكل والتخاذل سببه ألفهم حياة الذل والقهر والاستبداد .

وهذه الحياة الذليلة المقلدة لاتعدُّ صاحبها لأنشاء حياة فاضلة عاملة وَسَنّ قوانين صالحة لمدنية راقية بل كانت النتيجة عكسية إذ ظهرت بينهم النظم الاجتماعية الفاسدة مثل الشيوعية والاشتراكية والبلشفية والنظم الأخلاقية الوضيعة مما جعلهم خطرا على من يعيشون بينهم « وأن أحسنوا إليهم » مماسبب لهم القلق الناصب والعذاب الواصب إذ نشأت بينهم وبين الأمم التى خالطوها بعد التفرق بل نشأت بينهم وبين الأنسانية جمعاء هوة سحيقة القرار ظهرت فى صور متكاثرة من اضطهاد واستعباد وطرد وحرمان « حتى من حق الحياة » فلم يَقُم اليهود بأنشاء القوانين القويمة ـ غير ماتحويه أسفارهم ـ وتفسيراتها ولاهم أخذوا عن غيرهم مايعود عليهم بالفائدة ولعل ذلك للخطأ الخالد ـ أنهم الشعب المختار ـ وكثيرا ماحاولوا أن يكونوا مادة عسرة الهضم فى البيئات التى اتصلوا بها وأقاموا فيها مما أصلاهم نارا حامية حتى فى الوقت الحاضر من دعاة المدنية الحديثة وأنصار الأنسانية والسلام .

الفصل الثاني

حياة اليهود الأدبية

أما حياتهم الأدبية[1] فكانت نتيجة حتمية لحياتهم الاجتماعية فهم إذ كانوا فى الصحراء :

لم تكن لهم معارف أدبية غير موروثاتهم عن آبائهم وتراثهم عن أجدادهم من اعتزار بعصبية أو اعتداد بجنسية وأنهم أبناء الله وأحباؤه وشعبه المختار وما إلى ذلك من خرافات وأساطير بابلية .

ولم يكن لهم وراء ذلك ناحية أدبية لغوية عرفت عنهم أو نسبت إليهم نثرا أو شعرا كما لم يكن لهم حاسة أدبية رقيقة تعتبر مقياسا أو وحدة مضبوطة يرجع إليها عند الاختلاف ويتحاكم إليها عند التنازع .

ولم يكن لهم اجتماعات أدبية فى الصحراء كما كان عند اليونان والعرب أو على الأقل لم يصلنا عنهم فى هذا الدور شيء .

أما دور حياتهم فى مصر فما لاشك فيه حتى على فرض أنه كانت لهم فطرة أدبية ـ أن لم تكن سليقتهم صافية ـ ولم تكن طبيعتهم خالصة لأن اختلاطهم بالمصريين ومعاملتهم معهم أفسد تلك السليقة أن لم يكونوا قد أماتاها لما يأتى :

١ ـ حب التقليد للغالب يجعلهم يتكلمون بلغة ويتشدقون بل كما نراه الآن فى حياتنا المصرية من أثر الفرنسية أو الانجليزية مع أن كل واحدة منها دخيلة على اللغة العربية الأصلية فأننا نجد من يتكلم صوابا أو قريبا من الصواب أو من يحاولها فى حين أننا لانجد بين أولئك المتفيهقين من يحسن اللغة العربية .

وجاء فى تاريخ الملل للأستاذ الشيخ أمين الخولى ج / ٢ ص ٣٣ نقلا عن كتاب الدكتور محمد توفيق صدقى « نظرة فى كتب العهد الجديد وعقائد النصرانية » ص ١٦٤ ـ ١٦٥ ما يأتى :

ولا ننسى أن بنى إسرائيل كانوا من أشد الأمم ميلا إلى التقليد وخصوصا للأمم الغالبة لهم أ هـ .

---

(١) نريد بها معنى أخص مما هو معروف من أنها احترام وراقى للنواميس التى تقوم عليها حياة الأمة وهو أدبيات اللغة .

٢ ـ ضرورة الحياة ألجأتهم إلى تعلم اللغة المصرية وهذا التعلم زاحم ولا شك اللغة العبرية .

٣ ـ أن اللغة العبرية ظلت محصورة فى دائرة ضيقة لاتنمو داخلها لأنها كانت معروفة لدى الإسرائيليين وحدهم داخل بيوتهم ولم تكن فى الأسواق والمجتمعات العامة وبقاؤها مكبوتة تلك المدة الطويلة أربعة قرون كما تقول التوراة ـ كاف لضعفها وضعف أساليبها وأخيلتها ومعانيها ـ .

ولما رحلوا إلى سيناء فمن الطبيعى أن لاتنتعش طفرة أو فجأة بل سارت سيرا طبيعيا كما يسير المريض من دور الاحتضار الخطر ثم إلى التماثل إلى النقاهة ثم إلى الأبلال ثم إلى الصحة التامة .

وهذا الدور الأخير لم تصل إليه اللغة العبرية إلا فى عصور متأخرة من حياتهم فى كنعان على عهد داود وسليمان عليهما السلام .

حوالى القرن التاسع ق م ثم تلا ذلك عصر التدوين والكتابة حوالى القرن الثامن ق م حيث ابتدأوا يأخذون الحروف الأبجدية عن تجار فينيقيا وآرام ولم يهتموا إلا بالكتابة فقط فلم يعرفوا النقش ولا النحت ولا التصوير ولم يجيدوا فن البناء وكانوا إذا شعروا بحاجة إلى شيء من ذلك يستعينون بالمصريين وغيرهم[١] وجاء فى كتاب دين أسرائيل ص ١٨ مانصه :

وبتطبيق الطريقة العلمية على التوراة جعلت من الواضح أنه لم يكن للعبريين أدب قبل القرن التاسع ق م ثم قال : وبالمعْنى العام فأن الأدب العبرى لم ينشأ إلا عند كتابة أسفار موسى الخمسة فى القرنين التاسع والثامن ق م . أ هـ .

وأذن فلم يكن لليهود الأولين إلى حوالى القرن الثامن ق م مقياس أدبى يحتكمون إليه ويعتمدون عليه ولم تتربَّ عندهم الحاسة الأدبية إلا فى عصور متأخرة نلمح صورا منها فى أسفارهم التى هى كل تراثهم الأدبى واللغوى من ذلك الحين .

أما الصورة الأدبية القديمة قبل ذلك العهد فى القرن الثامن ق م فلم يصلنا عنها شيء ولا يمكن الجزم بأن التوراة الحاضرة تمثل الأدب العبرى القديم لما قدمنا من أن التوراة كتبت فى العصور المتأخرة بعد ذلك اهـ .

الفصل الثالث

حياة اليهود العقلية

لاشك أن الحياة العقلية فى قمة أنواع الحياة الاجتماعية والمعارف الأنسانية ولا يصل إليها الفكر الإنسانى إلا بعد تخطى أدوار كثيرة وهؤلاء اليهود قضوا حياتهم ـ الأولى فى الصحراء ـ ومعلوم أن حياة الصحراء محدودة قاسية غير مستمرة ولا مستقرة يعتمد فيها على المناضلة والمقاتلة والحرص والمشاحة على وسائل الحياة من أماكن الخصب ومنابت العشب ومساكب القطر ومنابع المياه فعاشوا فى جهاد عنيف مع مُقْتَضَيَاتِهاَ واستنفذوا جهودهم فى تلطيف مشقاتها وتخفيف ويلاتها فلم يكن فيها مجال لتنمية عقل أو ترقية فكر .

---

(١) مذكرات دار العلوم للأستاذ حسن مراد ص ٣٧ .

أما حياتهم فى مصر فكانت أشق وأضنى من حياتهم فى الصحراء ولم يتصلوا بالعلوم والمعارف المصرية لأرستقراطيتها وسريتها وقصرها على طائفة الكهنة المصريين ولوضع اليهود فى البيئة المصرية حيث كان نظام الطبقات على أشده فكان اليهود فى الطبقة الثالثة كما تقدم وربما كان من جانب اليهود عمل أيجابى فى ابتعاد مقصود ومجانبة متعمدة عملا بأنهم الشعب المختار فعاشوا فئة مبغوضة من الشعب المصرى فانقطعت صلة اليهود العلمية ولم ينلهم إلا رشاش أو قشور مما يدور على ألسنة العامة التى من طبقتهم . يقول جوستاف لبون فى كتابه عن تاريخ الحضارة المصرية عند الكلام عن تأثر اليهود بالقانون المصرى ماعبارته :

أما اليهود فاذا كانوا يأخذون أكثر من بعض صور المدنية المادية لم يكن يستطيع موسى عليه السلام وهو تلميذ المصريين أن يفرض على جماعة العبدان الذين جمعهم وألّف منهم الشعب اليهودى إلا ماتستطيع عقولهم الجامدة قبوله فما كانت تفيد أولئك العبيد الذين عادوا إلى عيشة الرحلة والتنقل والوجود البربرى نظم مصر المهذبة ولو أنه حتمها عليهم لما كانت قبلته ولما كان له وجود فى التاريخ[1] .

ثم جاء دور الحياة الصحراوية مرة ثانية ذاقوا فيه الأمرين ومكثوا فيه أربعين سنة يتيهون فى الأرض . وفى أثنائها قاتلوا وقتلوا .

ثم أعقب ذلك دور استقرارهم فى فلسطين وكان كذلك دورا شاقا مضنيا حاربوا فيه العماليق مع يشوع وأخيرا دخلوا كنعان من الجنوب والشرق فاشتبكوا بالصحراء وماتتطلبه ومالبثوا أن تخطفهم الفلسطينيون النازحون فى الأصل من جزيرة كريت فى البحر الأبيض المتوسط ـ فى عهد القضاة ـ ولما عاودتهم السكينة على عهد داود وسليمان عليهما السلام مافتئوا أن انقسموا وشبت بينهم الحرب مما جعلهم كرة تتقاذفها الأمم المجاورة ـ آشور وفارس ومصر وسوريا ـ وهكذا قضوا حياتهم فى مسرح الحروب الطاحنة والنزاع المستمر بين الملوك .

وفى دور التفرق الأخير عوملوا معاملة قاسية فتوجه شعورهم إلى الناحية المالية إلا فى بعض العصور التى أظلهم فيها الإسلام فكان لهم نتاج فلسفى وطبى وساهموا فى نقل المعرفة بين الشرق والغرب فى أسبانيا الإسلامية .

وفى العصر الحاضر أصلتهم القومية نارا حامية إذ اشتدت الخصومة السامية واتجهت أنظار الأمم إلى التخلص من اليهود فقاموا بمحاولات تجمع شملهم بأنشاء وطن قومى لهم بفلسطين بجوار بيت المقدس .

والتاريخ يعيد نفسه بنفسه فكما كان بيت المقدس مَقبرتهم فى العصور القديمة الغابرة كذلك سيكون مقبرتهم النهائية فى العصور الحاضرة .

وعلى كل فحياة اليهود العامة لاتساعد على التفكير ولم يسعدهم القدر بالظروف الآمنة المطمئنة فى أى دور من أدوار حياتهم لهذا كانت عقليتهم منحطة وأفكارهم ساذجة ولم يكن لهم بصفة عامة يد تؤثر على العلم الأنسانى إلا ماكان لهم فى أسفار وتفسيرات لها وإلا ماكان لهم فى العصور الهادئة وقليلة ماهى فحرموا من اللذة العقلية الراقية وخاصة إذا عرفنا أن من تعاليمهم الدينية مايجعل الحكمة بعيدة المنال وطلبها باطل وضلال .

جاء فى سفر أيوب ص ٢٨ مانصه :

أما الحكمة فن أين توجد وأين هو مكان الفهم لايعرف الإنسان قيمتها ولا توجد فى أرض الأحياء أ هـ .

---

(١) نقلا عن كتابه فى الفلسفة ج ١ ص ٤٤ ـ الأستاذ أمين الخولى ـ اهـ .

وإذاً فما دامت حياة هؤلاء القوم الاجتماعية والأدبية والفكرية والدينية على ماتقدم فلا تستطيع الانتقال من المحسوسات المادية إلى المدركات المعنوية وأدراك وجه الشبه والقرائن المانعة من إرادة المعنى الحقيقي أدراكا مقصودًا مُتَعَمَّداً .

بل يكون شأنها كغيرها من الأمم التي تكون في دورها وظروفها من طفولة في التعبير وسذاجة في التصوير وسطحية في التفكير وعدم اتساق واتفاق ولا يلائمها إلا الحقيقة عارية مجردة عن كل طلاء غير مستورة ولا مدخورة لأن الترف في المعاني والأخيلة والأساليب وتعقيد ذلك وتركيبه تشبيها على تشبيه أو كناية على كناية نتيجة حتمية للترف العقلي والخصب الفكري وتلمس هذه البساطة وتلك الطفولة وعدم التجانس في أسْفَارهم مما أشعرهم بأنهم في حاجة ماسة إلى البرهنة على وحدتها[1] وساقت إليهم أسفارهم خاصة الخمسة الأولى منها العقائد والأوامر والنواهي بطريقة التلقين والألزام والتجسيم المُحَسَ الواقعي الماديّ الواضح وقل أن يظفر الباحث في تلك الأسفار بأثارة من عقل أو اشارة من فكر .

وعلى ذلك يجب أن يكون للتوراة تناول خاص بها يوافق طبيعتها ولو تلمسنا وجه الشبه بين جاهلية اليهود والعرب لوجدنا أنهم جميعا كانوا بادىء الأمر بدوا رُحَّلاً يعتدون بالجنسية ويعتزون بالعصبية ولعرفنا عن العرب أن لهم نجدة وأباء وشمما وكرما ويتفاخرون بالأحساب ويتباهون بالأنساب تتقطع بينهم أسباب المودة في سبيل الحياة فيقتل قويهم ضعيفهم وليس لهم جامعة تجمعهم ولاغاية تضمهم ولايخضعون لسلطان ولا يخنعون لعدوان يروق خواطرهم المدح والثناء ويهيج بوادرهم الندم والهجاء يعبدون الأصنام ويستقسمون بالأزلام ويمتازون أيضا عن اليهود بأسواقهم الأدبية حيث يحتكمون إلى ذوى الرأى فيهم وذوى البلاغة منهم فيحكمون للسابق بسبقه وكانت حياتهم الأدبية مكتملة أن لم تكن مكتهلة وجاءهم القرآن بفصاحته وبلاغته وبجدته وطرافته فبهرتهم آياته وقهرتهم بيناته واشتبك معهم في دعوى يؤيدها أو فكرة يفندها أو فضيلة يأمر بها أو رذيلة ينهى عنها واشتدت الخصومة بين القرآن والعرب فتحداهم بالأتيان بقرآن مثله ثم بعشر سور منه ثم بسورة واحدة فلم يجدوا جوابا ولم يردوا خطابا فأفحمهم وألزمهم والذى نريد أن نقوله الآن هو أن حياة العرب الأدبية في الجاهلية كانت قد بلغت ذروتها وقمتها عند ظهور القرآن الكريم وبذلك هيأ الله البيئة العربية تهيئة للقرآن الكريم ففهموه وتدبروه وقدروه وعرفوا حقيقته ومجازه وبلاغته وأعجازه وكنايته وألغازه فكان للقرآن الكريم بذلك تناول خاص يلائم طبيعته وبيئته وظروفه وعقلية أهله ومواهبهم .

وهذا فرق بين تناول القرآن الكريم وتناول التوراة الحاضرة نحتاج إليه عند الكلام على التأليه في التوراة .

---

(١) فكتبوا كثيرا منها كتاب البراهين الجلية في البرهنة على الوحدة في الكتب الألهية وكتاب أقوال الله الحية أو سفر جليل في أسباب الشقة بالتوراة والأنجيل .

الباب الثالث
الفرق اليهودية

تنبت الأفكار وتتوالد كتوالد الأحياء وتتفاعل كتفاعل الكيمياء ويختلف الناتج من هذا التوالد والتفاعل باختلاف الزمان والمكان والمزاج والباعث والغاية .

وقد يفنى بعض هذا الناتج لفساده أو لضعفه أو لعدم الظروف الملائمة لحياته أو لوجود الظروف الموجبة لفنائه .

وقد يبقى البعض الآخر لصلاحيته أو لقوته وحصانته أو لعدم الظروف المقتضية لموته أو لوجود الظروف الداعية لبقائه ونمائه وازهاره وأثماره .

والديانة اليهودية خاضعة لهذا القانون فاعتراها مايعترى الماديات والمعنويات فتشعبت تعاليمها بتشعب أهلها واختلفت آراؤهم فيها وتباينت منازعهم فى تقرير مبادئها وأصولها وتعاليمها لاختلاف الأزمان التى مرت عليهم والبيئات التى اكتنفتهم والعوامل التى أحاطت بهم والنكبات التى لحقتهم فكان من الضرورى أن توجد آراء يتشيع لها البعض ويناهضها البعض ويقف آخرون منها موقف الحياء لا يؤيدها ولا يدحضها . وكتب لبعض هذه الآراء أن تلقى فى زوايا النسيان لسبب من الأسباب المتقدمة وكتب لبعضها أن تحيا إلى يوم الناس ـ هذا لسبب ما كذلك .

ولقد افترق اليهود شيعا وأحزابا يلعن بعضها بعضا ويكفر بعضها بعضا ويضرب بعضها رقاب بعض لاعتبارات أكثرها دينى المنشأ أصلا وفرعا .

وأول انقسام لهم حصل فى زمن موسى عليه السلام حينما أنزلهم منازلهم وجعل لهم سمات تميزهم وجعل لكل قبيلة لواء يلتفون حوله ويفيئون إليه وذلك فى الصحراء .

ثم انقسموا ثانيا فى آخر عهد القضاة وحارب أسباط بنى إسرائيل سبطا بنيامين لاعتدائهم على سرية رجل لاوى اعتداءً غير شريف[1] .

ثم انقسموا ثالثا لأسباب سياسية بعد موت سليمان عليه السلام حينما طالب الشعب رحبام بتخفيف مالحقهم أمام أبيه فاحتقرهم فولوا عليهم يربوعام أخاه وكونوا مملكة تدعى إسرائيل اتخذت شكلا دينيا لحماية سياستها فأقيمت معابد الأوثان وحرم على رعاياها الذهاب إلى بيت المقدس ، وقلدتها مملكة يهوذا ثم انقسموا رابعا : بعد الأسر البابلى اندمج من عاد منهم فى قبيلتى بنيامين ويهوذا ثم لما جاء الاسكندر وأسكن بعض اليهود مدينة الاسكندرية وأبقى

---

(١) قضاة ص١٩ ، ٢٠ ، ٢١ .

بعضهم الآخر فى سوريا نشأ طائفتان يهوديتان مصرية وسورية وزاد هوة الخلاف بينهما أتباع الطائفة السورية للعادات الأغريقية.

ثم انقسموا خامسا فى عهد الأمبراطور جوليان إذ أنشئ محكمتان يهوديتان فى طبرية وبغداد تطورتا إلى بطريركتين قامتا بجمع العهد القديم ومايتبعه من إضافات تحت إسم التلمود.

وكان لكل واحدة تلمودها ونحن هنا لانحاول أن نسهب فى بيان الفرق ونشأتها وآرائها ونتتبع تطوراتها وصلتها ببعضها ولاحصر عددها، بل نلم ألمامة عامة بأشهر الموجود منها وخاصة من لها رأى فى التوراة.

وأشهر الفرق الموجودة الآن:

أولا: السامرة: بعد السبى البابلى حوالى سنة ٧٢٢ ق م هاجر أناس من بابل وغيرها واستوطنوا مدينة ـ شمرون ـ وتسموا بالشومريم ويقيمون الآن فى نابلس من أعمال فلسطين على ثمانية عشر ميلا من بيت المقدس، وبعضهم بمصر.

ويخالفون بقية الفرق اليهودية بما يأتى:

١ ـ لهم توراة خاصة بهم غير هذه التوراة التى فى أيدى اليهود الآن مكتوبة على جلود القرابين ويرجعون تاريخها إلى أربعة وثلاثين قرنا ويقدر العلماء لها عشرة فقط، وتختلف عن التوراة المتداولة فى أربعمائة موضع.

٢ ـ لايقرون بالبعث لأنه لايوجد له ذكر فى التوراة.

٣ ـ لايقدسون التلمود ـ الكتاب الدينى الثانى ـ لذا كان لهم أصول شرعية تبعد عن الأصول الشرعية التى للفرق الأخرى.

٤ ـ لا يحترمون بيت المقدس ولا يستقبلونه فى عبادة.

٥ ـ لهم قبلة وبيت مقدس على جبل جريزيم.
ويقولون: أنه الطور الذى كلم الله عليه موسى عليه السلام ولهم مذبحهم، ويقولون نابلس مدينة القدس.

٦ ـ لايؤمنون بمن جاء بعد يشوع فيكذبون نبوة شمعون، وداود، وسليمان، وأشعيا، واليسع، والياس، وعاموص، وحبقون، وزكريا، وأرميا.

٧ ـ لهم تقشف وتزهد فى الطهارة، وصلاتهم ذات ركوع وسجود ويغتسلون ويتوضأون ويحجون ثلاث مرات فى العام إلى جبل جريزيم.

٨ ـ عِيدُ الفِصْحِ عندهم ستة أيام، وعند غيرهم سبعة أو ثمانية.

٩ ـ لغتهم قريبة من العبرية وليس فيها الألف والهاء والعين والخاء الأحرف التى توجد فى العبرية الحالية.

١٠ ـ يرجعون نسبهم إلى يوسف عليه السلام ويتبرأ منهم الربانون والقراؤن، ويسمونهم كوثيم[١].

ثانياً: الربانون وكانوا يسمون الفريسيين نشأوا أيام الميكابيين وهم جمهور اليهود ولهم تعاليم منها:

---

(١) نسبة إلى كوثة القرية بابلية التى جاءوا منها.

١ ـ أنهم يقدسون التوراة والتلمود ويعتبرونه وحيا شفويا أوحى إلى موسى عليه السلام ويكفرون من لم يعمل به وقد سدوا باب الاجتهاد .

٢ ـ يؤمنون بالبعث ـ من غير دليل عليه فى التوراة ـ ويقولون هو ثابت بالأجماع ، ولاشك أن هذا أمر لايثبت بأجماع بل هو من الأمور السمعية .

٣ ـ وهم أقل تمسكا بالتقاليد العملية .

٤ ـ وصلاتهم تشبه صلاة المسيحيين .

٥ ـ ويعتبرون السامرة ضالين والقرائين دُخَلاء فى الدين .

٦ ـ وتنقسم هذه الفرقة إلى سبع فرق كلها خالفت الغاية المقصودة . ماعدى الفرقة السابعة وهم الفريسيون الحقيقيون [١] .

وهذه الفرقة يبيح لها التلمود التعامل بالربا وحتم عليهم الانفصال التام عن غيرهم وعلمهم نظاما أخلاقيا فاسدا جعلهم خطرا على من يعيشون بينهم حتى ولو كانوا متمتعين بأقصى مايمكن من الحقوق [٢] .

ويهود أوربا أغلبهم من أهل هذه الفرقة .

ثالثاً : القراؤن : ظلت هذه الفرقة هادئة نحو ستمائة سنة ثم ظهرت فى بغداد حوالى القرن الثامن الميلادى فى خلافة مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية وهم :

١ ـ لايقدسون غير التوراة فيوافقون السامريين فى ذلك .

٢ ـ يفسرونها بالعقل فاتحين باب الأجتهاد .

٣ ـ يعتبرون التلمود مجموعة آراء المفكرين اليهود القدماء .

٤ ـ « عزير بن الله » دون سائر اليهود [٣] .

٥ ـ يخالفون الربانيين فى المعاملات والأحوال الشخصية ، والميراث . والمواسم [٤] . والأعياد وهم أقل عددا من اليهود الربانيين وأكثرهم فى شرق تركيا وروسيا الشرقية . ، وقد اندمجت فيها فرقة الأسينيين التى كانت ذات صبغة فلسفية واتصلت تعاليمها بالنصرانية والإسلام ، ومزجتها بالرواقية ، والاشتراكية . وكانوا يقيمون حول البحر الميت هذه أشهر الفرق الباقية بأجمال . والاحظ عليها مايأتى :

١ ـ بينها فروق جوهرية فى ـ أ ـ صلب العقيدة ـ ب ـ العبادات ، وطقوسها ـ جـ ـ والمعاملات .

٢ ـ أنه لايمكن التوفيق بين آرائها .

٣ ـ وهذه الفرق ظهرت متأخرة .

٤ ـ والذى يسترعى انتباهنا هو ذلك الاختلاف فى الكتاب المقدس اختلافا يجعل الباحث فى شك مريب من كتابيها معا . لأنه لايعلم أيها هو الصحيح فتكون الثقة بهما ضعيفة أن لم تكن مستحيلة .

وهذا فرق آخر بين التوراة الحاضرة والقرآن الكريم حيث أنه لايوجد بين المسلمين من يقول بكتاب آخر غير هذا الكتاب الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه ولم يوجد فيه اختلاف مطلقا بين المسلمين قاطبة ، وانعقد أجماعهم على أن الكتاب الذى بيدنا الآن هو الكتاب الذى أنزل لهداية البشر ، وسعادة الأنسانية على سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

---

(١) تاريخ الإسرائيليين ص ١١٨ .
(٢) المعارف الانجليزية أقول والتوراة الحالية تبيح معاملة الأجنبى بالربا تثنية ص ٢٣ : ٢٠ .
(٣) الفصل ج ١ ص ٩٨ .
(٤) عمر عنايت

الباب الرابع

الفصل الأول

كتاب اليهود المقدس

الكتب الدينية السماوية : هي الدستور المقدس الذي يوحيه الله تعالى إلى الرسل الذين اختارهم أسوة لهداية الإنسانية ، وقدوة لتصحح أغلاطها ، وتصويب أخطائها . وهؤلاء الأنبياء بمثابة وحدة أنسانية كاملة تقاس عليها الفضائل وتضبط بها المعاني الروحية السامية وهم نماذج الكمال الخَلْق والخُلُق. ومثلهم العليا لتتم حكمة الله البالغة . وأرادته البليغة في عمارة الحياة الدنيا على أكمل وجه وأتم نظام . وتتسق الحياة الآخرة على خير مايكون الكمال . والجمال ، والجلال .

على أنه سبحانه لم يجعل لبشر الخلد ولم يكتب لأنسان البقاء . لأنه تعالت حكمته وتقدست مشيئته أوجد الحياة الدنيا على ما اقتضته أرادته فانية بطبيعتها ، ولم يجعلها دار حياة أبدية خالدة . بل جعلها ـ سبحانه ـ وسيلة لاغاية . وبداية لانهاية . وسيلة لحياة باقية ، وبداية لنشأة راقية . « وللدار الآخرة خير ، ولنعم دار المتقين » فكان من الضروري أن يوجد بعد « أن يلحق الرسول بربه » مرجع يرجع الناس إليه عند التنازع ويعتمدون عليه في حسم الخلاف ليتبين الرشد من الغي ، « وليحق الله الحق بكلماته » ، ويقطع دابر المكابرين . لأنه لا يبعد من الإنسان وقد خلقه الله خصما جدلا أن يقول : « ربنا لو أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك » ، « لولا أنزلت علينا كتابا نقرؤه . ونتدبره ، ونسمعه ؟ » .

وهكذا كانت حجة الله على الناس بالغة ونعمته سابغة فأرسل الرسل مبشرين ومنذرين . لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل . وأنزل عليهم كتبا يهتدى الناس بهداها ويستضيئون بضياها وخاصة في الفترة التي يحجب فيها نور النبوة ، وضياء الرسالة .

والديانة اليهودية . التي جاء بها موسى عليه السلام مؤسسة على التوراة التي أنزلها الله على موسى عليه السلام لهداية بني إسرائيل . قال تعالى : « وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني إسرائيل » .

ويقول اليهود : أن التوراة هي الأسفار الخمسة الأولى من العهد القديم ـ من الكتاب المقدس ـ وخلاصتها الوصايا . العشر[1] التي بيَّن فيها ما لليهود وما عليهم أجمالا .

ومعنى التوراة بالعبرية الارشاد والهداية . والدلالة ويطلق هذا الأسم حقيقة على الأسفار الخمسة الأولى وهي :

---

(١) خروج ص ٢٠ .

١ ـ سفر التكوين « الخليقة » .
٢ ـ سفر الخروج « خروج الإسرائيليين من مصر » .
٣ ـ اللاويين « الأحبار [illegible] » .
٤ ـ العدد « أحصاء [illegible]ليين » .
٥ ـ التثنية « الإشتراع أو الشريعة » .

وهذه الأسفار عند اليهود أوحى لفظها إلى موسى عليه السلام . ويطلق لفظ التوراة مجازا على بقية أسفار العهد القديم وهى :

٦ ـ يشوع ، ٧ ـ القضاة ، ٨ ـ راعوت ، ٩ ـ صمويل الأول ، ١٠ ـ صمويل الثانى ، ١١ ـ الملوك الأول ، ١٢ ـ الملوك الثانى ، ١٣ ـ أخبار الأيام الأول ، ١٤ ـ أخبار الأيام الثانى ، ١٥ ـ عزرا ، ١٦ ـ نحميا ، ١٧ ـ أيوب ، ١٨ ـ زبور ، ١٩ ـ أمثال ، ٢٠ ـ جامعة ، ٢١ ـ نشيد الأنشاء ، ٢٢ ـ أشعيا ، ٢٣ ـ أرميا ، ٢٤ ـ مراثى ، ٢٥ ـ حذقيا ، ٢٦ ـ دانيال ، ٢٧ ـ هوشع ، ٢٨ ـ يوئيل ، ٢٩ ـ عاموص ، ٣٠ ـ عويديا ، ٣١ ـ يونان ، ٣٢ ـ ميخا ، ٣٣ ـ ناحوم ، ٣٤ ـ حبقوق ، ٣٥ ـ صفونيا ، ٣٦ ـ صبحى ، ٣٧ ـ زكريا ، ٣٨ ـ ملاخيا ، ٣٩ ـ استير .

وأسفار النسخة الرومانية تزيد عما تقدم :

١ ـ طوبيد ، ٢ ـ يهوديت ، ٣ ـ أكيليرياستكس ، ٤ ـ وزدم ، ٥ ـ باروخ ، ٦ ـ قصص يضم إلى دانيال ، ٧ ـ الميقابين الأول ، ٨ ـ الميقابين الثانى .

وهذه النسخة السبينية[١] التى كان مشكوكا فيها وأخيرا صادق عليها مجمع ترنت واعتبرها قانونية ولا وجود لهذه الأسفار فى التوراة الانجيلية لأن الأنجيليين لايعتبرونها قانونية . ويختلفون فيما بينهم[٢] فى قبولها وردها وكان اليهود أيضا يعتبرونها مزيفة لكثرة التحريف والزيادة التى أوقعها فيها النساخ . ولكنها أصبحت مقررة فى مجامعهم[٣] « يحلونه عاما ويحرمونه عاما » .

وتقدم الكلام على النسخة الثالثة وهى النسخة السامرية وأنها تخالف التوراة المتداولة فى أربعمائة موضع .

وهذا الاختلاف فى النسخ واشتمال بعضها على مالم يشتمل عليه البعض الآخر مما يثير الشكوك حولها جميعها . وينتزع الثقة منها .

ونقول : أن هذا فرق آخر بين التوراة الحاضرة والقرآن الكريم حيث لم توجد منه نسخة مشتملة على مالم تشتمل عليه النسخة الأخرى .

وهذا له أهمية فى نظر الباحث .

تقسيم هذه الأسفار :

يقسم جمهور اليهود كتبهم ثلاثة أقسام :

---

(١) ترجمت فى عهد بطليموس الثانى سنة ٢٨٥ ـ سنة ٢٤٧ق م . ترجمها أثنان وسبعون عالما فى اثنين وسبعين يوما إلى اللغة الأغريقية .
(٢) البروتستانت والرومان الكاثوليك .
(٣) تاريخ الإسرائيليين ص ٣٧ .

أولا : أسفار موسى عليه السلام وهى الأسفار الخمسة الأولى من العهد القديم

ثانياً : الأنبياء وهم يوشع ، والقضاة ، وصمويل الأول ، والثانى ، والملوك الأول والثانى ، وأشعياء ، وأرمياء ، وحزقيل ، ويونيل ، ويونال ، وعاموص ، وهوشع ، وميخا ، وناحوم ، وصفونيا ، وحبقوق ، وعوبيديا ، وحجى ، وزكريا ، وملاخيا .

ثالثا : الكتب المقدسة :

(أ) المزامير ، والأمثال ، وأيوب .

(ب) راعوث ، وأكليثر ياستكس ، واستير ، ونشيد الأنشاد .

(جـ) دانيال وعذرا ، ونحميا ، والأيام الأول والثانى .

وهذه الكتب كتبت بالعبرية إلا الكتب الغير قانونية فكتبت باللغة اللاتينية واللغة الأغريقية .

وشراح هذه الكتب يقسمونها تقسيما آخر :

١ ـ أسفار موسى عليه السلام .

٢ ـ الكتب التاريخية من يشوع إلى استير .

٣ ـ الكتب الأدبية « الشعرية » وهى أيوب ، والمزامير ، والأمثال ، والحكم ، كليترياستكس ، ونشيد الأنشاد .

٤ ـ أسفار الأنبياء الأعاظم وهم : أشعياء ، وأرمياء ، وحزقيل ، ودانيال ، والاثنا عشر نبيا الأخرون : وهم يوئيل ، ويونان ، وعاموص ، وهوشع ، وميخا ، وناحوم ، وصفونيا ، وحبقون . وهؤلاء قبل الأسر البابلى ، وعبوبيديا ، وحجى ، وزكريا ، وملاخيا .

أما تقسيم الكتاب المقدس إلى أصحاحات وأقسام فيقولون أنه يرجع إلى زمن قديم ويقولون : أن التقسيم الحالى حديث بالنسبة إلى الأول .

ويقولون : يقال : أن التقسيم الحديث أساسه التقسيم الماسوريتى[١] فى العصور المتوسطة[٢] .

وكتبت التوراة مع الأسفار لأول مرة فى عهد الكنيسة الكبرى وهو عهد الفرقة الثالثة من فرق تلقى العهد القديم عند اليهود حوالى سنة ٥٣٧ق م بعد العودة من بابل[٣] .

وهناك وريقات من البردى كتب عليها بعض التوراة يرجع تاريخها إلى ماقبل الميلاد المسيحى بقرنين وجدت فى كومة من أكوام القاذورات فى مدينة القاهرة سنة ١٩١٧م عثر عليها أحد علماء الآثار الانجليز وهى الآن فى دار الكتب بمنشستر بانجلترا وهى أقدم المخطوطات الدينية[٤] .

أما أقدم نسخة عبرية للتوراة موجودة فلا تعدو سبعة أو ثمانية من القرون وتوجد نسخة بالفاتيكان[٥] يظن أنها كتبت منذ تسعمائة سنة أما الترقيم فنتيجة لمجهودات العلماء المحدثين[٦] .

---

(١) ماسوريت عالم يهودى رأس جماعة قامت بشكل ونقط وتقسيم الكتاب المقدس فى العصور المتوسطة « اكسفورد ص ٧٠٤ » .

(٢) المعارف الانجليزية .

(٣) مذكرات خطية للأستاذ الخولى .

(٤) أهرام ١٩٣٦/٩/١٩م .

(٥ ، ٦) دائرة المعارف الانجليزية .

الفصل الثاني

آراء العلماء في التوراة

للعلماء أبحاث في التوراة من حيث معرفة شخصية كاتبها وزمانه ومكانه وغايته من كتابتها وسنورد هنا طرفا من أبحاثهم فيما يلي.

من كاتب التوراة ؟

يقول البعض : أن موسى كتب التوراة الحالية وسلمها للكهنة وأمرهم بقراءتها على جميع الشعب كل سبع سنين مرة بدليل ماجاء في التثنية ص ٣١ : ٩ وكتب موسى التوراة وسلمها للكهنة بني لاوى حاملي تابوت عهد الرب ولجميع شيوخ بني إسرائيل ١٠ وأمرهم موسى قائلا في نهاية السبع سنين في ميعاد سنة الأبراء في عيد المظال ١١ حينما يجيئها بنو إسرائيل لكي يظهروا أمام الرب إلهك في المكان الذي يختاره تقرأ هذه التوراة أمام كل بني إسرائيل في مسامعهم ١٢ اجمع الشعب الرجال والنساء والأطفال والغريب الذي في بابك لكي يسمعوا ويتعلموا أن يتقوا الرب إلهكم ويحرصوا أن يعملوا بجميع كلمات هذه التوراة . ١٣ وأولادهم الذين لم يعرفوا يسمعون ويتعلمون أن يتقوا الرب ألهكم .... ٢٤ فعندما كمل موسى كتابة كلمات هذه التوراة في كتاب إلى تمامها ٢٥ وأمر موسى اللاويين حاملي تابوت عهد الرب قائلا : ٢٦ خذوا كتاب التوراة هذا وضعوه بجانب تابوت عهد الرب ليكون هناك شاهدا عليكم ٢٧ لأني عارف تمردكم ورقابكم الصلبة .

ومن هذا قالوا : أن موسى هو كاتب التوراة وأنه أمر بوضعها بجانب تابوت عهد الرب وبعد بناء الهيكل وضعها سليمان فيه .

ونحن نقول من جانبنا :

نعم أن موسى كتب توراة غير هذه التي بأيدينا للأدلة الآتية :

وجود فقر وعبارات فيها تدل على أن موسى عليه السلام لم يكتبها بل تدل على أن شخصا آخر غيره هو الذي كتبها .

١ ــ ورد في سفر التثنية ص ٣٤ : ٥ ــ ١٢ ذكر وفاة موسى عليه السلام ودفنه وعدد أيام مناحته ثم ذكر من قام بعده على بني إسرائيل ونصه « ٥ » فمات هناك موسى بن مائة وعشرين سنة حين مات ولم تكل عينه ولا ذهبت نضارته ... ٨ فبكى بنو إسرائيل موسى في عربات موآب ثلاثين يوما فكملت أيام بكاء مناحة موسى ٩ ــ ويشوع بن نون كان قد امتلأ روح حكمة أذ وضع موسى عليه السلام يديه فسمع له بنو إسرائيل وعملوا كما أوصى الرب موسى ١٠ ولم يقم بعد نبيٌ في بني إسرائيل مثل موسى الذي عرفه الرب وجها لوجه وقد أورد هذه الملاحظة صاحب كتاب الفصل ج ١ ص ١٨٦ .

وساقها صاحب كتاب أظهار الحق ج ١ ص ١٣٨ ــ ١٣٩ فقال : الشاهد الرابع عشر . الباب الرابع والثلاثون ليس من كلام موسى عليه السلام قال آدم إكلارك في المجلد الأول من تفسيره تمَّ كلام موسى على الباب السابق

وهذا الباب ليس من كلامه . ولايجوز أن يقال : أن موسى عليه السلام كتب هذا الباب أيضاً بالالهام . لأن هذا الاحتمال بعيد من الصدق والحسن ويجعل المطلب كله لغوا لأن روح القدس إذا ألهم [illegible] الشخص[1] يلهم هذا الباب أيضا لهذا الشخص[2] وأنى أجزم : بأنَّ هذا الباب كان باباً أول لكتاب يشوع عليه السلام والحاشية التي كتبها بعض الأذكياء من أحبار اليهود مرضية قابلة للقبول . قال : إن أكثر المفسرين قالوا : أن سفر الاستثناء تم على الدعاء الألهامى الذى دعا به موسى عليه السلام الأثنى عشر سبطاً على هذه الفقرة : فطوباك يانسل بنى إسرائيل ليس مثلك شعبا مغاث بالله ..... ألخ .

وأن هذا الباب كتبه المشايخ السبعون بعد مدة من موت موسى وكان هذا الباب أول أبواب كتاب يشوع لكنه انتقل من ذلك الموضع إلى هذا الموضع أ هـ .

فاليهود والمسيحيون متفقون على أن هذا الباب ليس من كلام موسى عليه السلام بل هو ألحاقيّ وماقال : أنى أجزم بأن هذا الباب كان أول كتاب يشوع وكذا مانقل عن اليهود من أن هذا الباب كتبه المشايخ السبعون ... ألخ بلا دليل ولا سند . لذلك قال جامعو تفسير هنرى وأسكات « تمّ كلام موسى على الباب السابق وهذا الباب من الملحقات والْملْحِقُ أما يشوع أو صموئيل أو عذرى أو نبى آخر من الأنبياء بعدهم لايعلموا بالجزم .

ولعل الآيات الأخيرة ألحقت بعد زمان أطلقت فيه بنو إسرائيل من أسر بابل أ هـ » .

ومثله فى تفسير دوالى ورُوَجْر ديمنت .

فانظر إلى قول هؤلاء « أعنى الملحق أما يشوع ... ألخ » كيف يشكون ولايجزمون وأين قولهم من قول اليهود ـ وقولهم أو نبى آخر من الأنبياء بعدهم بلا دليل أيضاً .

ثم قال صاحب كتاب أظهار الحق ـ : « فهذه الآيات دلائل على أن هذه الكتب ليست من تصنيف[3] موسى ونسبتها إليه غلط » أ هـ .

أقول : وملاحظات الأسلاميين جديرة بالاعتبار لأنه لايعرف كاتب هذه الفقرة ولازمانه ولامكانه . ويكفى أن اليهود والمسيحيين اعترفوا بالألحاق . وهو وحده كاف فى أثبات أن موسى لم يكتبها وهم متفقون على ذلك .

على أن الفقرة القائلة : بأنه لم يقم بعد نبى فى بنى إسرائيل أكبر دليل على أن هذه الفقرة كتبت بعد موسى بمدة .

(أ) فى سفر التكوين ص ١٤ : ١٥ فلما سمع إبراهيم أن أخاه سبى جر غلمانه المتمرنين « ولدان بنيه » ثلثمائة وثمانية عشر وتبعهم إلى دان .

فلفظ دان ليس من كلام موسى لأنه إسم بلدة عُمِّرَتْ أيام القضاة لأن بنى إسرائيل بعد موت يشوع فى عهد القضاة فتحوا بلدة لابش وقتلوا أهلها وحرقوها وعمروا بعدها بلدة جديدة أسموها دان كما فى سفر القضاة ص ١٨ : ٢٧ ـ ٣٠ وأما هم « بنودان » .

فأخذوا ماصنع ميخا والكاهن الذى له وجاءوا إلى لابش إلى شعب مستريح مطمئن وضربوهم بحدِّ السيف

(١ ، ٢) هكذا ورد بالأصل .
(٣) لعله يقصد أنها ليست مما أوحى إلى موسى عليه السلام .

واحرقوا المد[illegible] ولم يكن من ينقذ لأنها بعيدة عن صيدون ولم يكن لهم أمر مع أنسان وهى فى الوادى الذى لبيت أرح[illegible] سكنو[illegible] ٢٩ ودعوا اسم المدينة دان باسم دان أبيهم الذى ولد لإسرائيل .

فهذه الفقرة [illegible] من تاريخ هذه القرية بناؤها بعد أقامة بنى إسرائيل فى كنعان فى عهد القضاة .

فالفقرة الأولى ليست من [illegible] موسى عليه السلام[1] .

وص ٣٦ [illegible] ٣١ وهؤلاء الملوك الذين ملكوا فى أرض أدوم قبل أن يملك لبنى إسرائيل .

وهذه الفقرة لا يمكن أن تكون من كلام موسى عليه السلام لأنها تدل على أن كاتبها بعد سلطنة بنى إسرائيل وأول ملوكهم شاول وهو بعد موسى بثلاثمائة وخمسين سنة .

وقال آدم اكلارك فى المجلد الأول فى ذيل تفسير هذه الفقرة غالب ظنى أن موسى عليه السلام كاتب هذه الآيات والتى بعدها إلى التاسعة والثلاثين . بل هذه الآيات آيات الباب الأول من سفر أخبار الأيام الأوّل[٢] .

وص ٣٧ : ١٤ فأرسله من وطاء حبرون .

لفظ حبرون اسم قرية كان اسمها قديما قرية أربع وبعد مافتح بنو إسرائيل فلسطين فى عهد يشوع غيروا هذا الأسم إلى حبرون كما فى سفر يشوع ص ١٤ : ١٥ واسم حبرون قبلاً قرية أربُع الرجل الأعظم فى العناقين .

فلفظ حبرون فى سفر التكوين ليس من كلام موسى عليه السلام بل من كلام شخص بعد الفتح والتغيير[٢] .

وص ٤٢ : ١٤ كما يقال فى هذا اليوم فى جبل الله يجب أن يترادى الناس .

لم يطلق على هذا الجبل جبل الله إلا بعد بناء هيكل سليمان عليه وبينه وبين موسى أربعمائة وخمسون سنة .

وقال آدم أكلارك بألحاقية هذه الجملة فى ديباجة تفسير عزرا ثم قال : هذا الجبل لم يطلق عليه ذلك الأسم إلا بعد بناء الهيكل عليه[٢] .

(ب) وفى سفر الخروج ص ١٦ : ٣٥ وبنو إسرائيل أكلوا المن أربعين سنة حتى أتوا إلى الأرض العامرة كانوا يأكلون هذا القوت إلى مَادَنُوا من تخوم أرض كنعان .

هذه الفقرة ليست من كلام موسى عليه السلام لأن الله لم يمسك المن عن بنى إسرائيل مدة حياة موسى ومادخلوا أرض كنعان إلى هذه المدة .

قال آدم اكلارك فى المجلد الأول من تفسيرة ص ٣٩٩ ظن الناس من هذه الآية أن سفر الخروج كتب بعد ما أمسك الله المن من بنى إسرائيل لكنه يمكن أن يكون عزرا ألْحَقَ هذه الألفاظ[٣] .

أقول أنا وهذا الأمكان لا دليل عليه وعلى كل موسى لم يكتب هذه الفقرة وهو مؤيد ذلك .

(جـ) وفى سفر العدد ص ٢١ : ٣ فسمع الله دعاء آل إسرائيل وسَلَّمَ فى أيديهم الكنعانيين فجعلوهم وقراهم صوافى وسُمِّى ذلك الموضع حرما . قال آدم اكلارك فى المجلد الأول من تفسيرة ص ٦٩٧ : أنى أعلم أن هذه الآية

---

(١) إظهار الحق ج ١ .

(٢) الأيام الأوّل ص ١ : ٤١ نقلا عن أظهار الحق ج ١ .

(٣) إظهار الحق ج ١ .

ألحقت بعد موت يشوع لأن جميع الكنعانيين لم يهلكوا إلى عهد موسى بل بعد

(د) وفى سفر التثنية ص ٣ : ١٤ يائير بن مِنَسَّا أخذ كل كورة أرجوب إلى تخم [illegible]ين ودَعَاهَا على اسم باشان حَوُّدتْ يائير إلى هذا اليوم .

هذه الفقرة ليست من كلام موسى عليه السلام لأن المتكلم بها لابد أن يكون متأخرا عن يائير تأخرا كثيرا .

قال هورن فى المجلد الأول من تفسيره : لايمكن أن تكون من كلام موسى ـ عليه السلام ـ [illegible] الدالة على أن مصنفها وُجِدَ بعد أقامة اليهود فى فلسطين . وهى ثِقْلٌ على متن الكتاب المقدس . لأن مص[illegible]وسى كان أو غيره لايقول لفظ ـ إلى هذا اليوم ـ[٢] .

٢ ـ رسم الكتابة العبرية : لم يكن رسم الكتابة العبرية معروفا على عهد موسى عليه السلام .

وجاء فى مذكرات دار العلوم للأستاذ حسن مراد ص ٣٧ أن اليهود ابتدؤوا يكتبون حوالى القرن السابع ق م حينما أخذوا الحروف عن التجار الفينيقيين وكتبوا على أوراق البردى .

وقال القسيس[٢] تُورْتُنْ : أنه لم يكن رسم الكتابة فى عهد موسى عليه السلام .

وإذا كان رسم الكتابة غير معروف على عهد موسى فلا يكون هو الكاتب للتوراة ولا كتبت فى عهده .

٣ ـ ماجاء فى هذه الأسفار بخصوص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مما يُخلَ بمراتب النبوة فرمت :

أولاً : آدم عليه السلام بالمعصية ولم تقل أنه تاب منها[٣] .

ثانياً : نوحا بالسكر والظلم بالدعاء على ابنه[٤] .

ثالثاً : إبراهيم عليه السلام بالاتفاق على الكذب مع زوجته من غير داعية إليه طلبا للمنفعة وبدخوله بلدا لم يؤمن على العرض فيه بلا أذن منه تعالى وكذلك قصة ملك جرار[٥] .

رابعاً : لوطا عليه السلام بالزنا بابنتيه على ليلتين متتاليتين وهو سكران[٦] .

خامساً : إسحاق عليه السلام بتعريض زوجته للفجرة وبالكذب والخداع لأبيه وأثّر هذا الخداع عند الله أيضا ـ تعالى الله ـ وبدخوله على غير زوجته وبحبه راحيل وضعف الأخلاق ومعاشرة الوثنيين ولم ينكر عليهم[٧] .

سادساً : ونسبت إلى أسرة يعقوب فوضى خلقية : زنى رؤابين بزوجة أبيه ويهوذا بزوجة ابنه ودينه أحبت ملك شليم حبا غير شريف ولم ينهم يعقوب أولم يفارقهم أن كان مغلوبا على أمره[٨] .

سابعا وثامنا : موسى وهرون : صنع هرون العجل وهو نبى « خروج ص ٢٧ » وموسى قتل المصرى عمدا ولم

---

(١) إظهار الحق ج ١ .
(٢) إظهار الحق .
(٣) تك ص ٣ .
(٤) تك ص ٩ : ٢٠ ـ ٢٥ .
(٥) تك ص ١٢ : ١١ ـ ١٦ ، ص ٢٠ : ١ ـ ١٦ .
(٦) تك ص ١٩ : ٣٠ ـ ٣٧ .
(٧) تك ص ٢٦ : ٦ ، ٧ ، ص ٢٧ ، ٢٩ ، ٣١ : ١٩ ـ ٣٥ ، ص ٣٤ : ١ ـ ٢٨ ، ص ٣٥ ، ٣٨ .
(٨) سفر التكوين .

يتب وعصى [illegible] الله وغضب الله عليه وتكسير موسى الألواح وعصيانهما معا[1] .

هذا موقف [illegible]ئها و[illegible] وساداتها وقادتها وهداتها ودعاتها وخاصة موقفها من مؤسسيها « موسى وهرون » عليهما السلام .

وهذا برهان على أن موسى لم يكتب التوراة لأن هذه المخازى لاتليق بأحط الناس أخلاقا فضلا عن مقام النبيين والمرسلين ص[illegible] الله وسلامه عليهم أجمعين .

ونسبة هذه الأمور إليهم عليهم السلام ينفيها العقل .

١ ـ لأنه يوجب لهم عليهم الصلاة والسلام العصمة أى الحفظ ظاهرا وباطنا عن كل مايخل بالنبوة والرسالة لأنهم بحكم اختيارهم واصطفائهم قادة للنفوس وهداة إلى الخير فلا يصدر عنهم مايخالف قانون الفضيلة ولايليق بالقائد أن يهرب من الميدان حينما يأمر الجندى بالكفاح والثبات .

٢ ـ وتقدم أنهم لو فعلوا المنهيات لوجب علينا اتباعهم لأننا مأمورون بالاقتداء بهم فى أقوالهم وأفعالهم ولو اتبعناهم فى هذه المنكرات لتهدم نظام العالم الاجتماعى فى ساعة من نهار .

٣ ـ الأنبياء لايفعلون إلا ما أمرهم الله به فلو فعلوا المنكرات لكان الله تعالى آمرا بها والله تعالى لايأمر بالفحشاء بل يأمر بما فيه الخير والسعادة والفضيلة للأنسانية جمعاء .

٤ ـ وكذلك قوانين الحياة العادية تأبى اتصافهم عليهم الصلاة والسلام بهذه الدنايا لأننا نجد الرجل صاحب المبدأ ـ ولو فاسدا ـ يتعصب له تعصبا أعمى ويؤيده بشتى الوسائل بقوله وعمله وحركاته وسكناته ويجتهد أن لايصدر عنه مايناقض مبدأه ويخالف رأيه ويخشى أن يقول الناس عنه : أنه رجل حُوَّلٌ قُلَّبٌ منافق يقول مالايفعل ويأمر ولا يأتمر ويزدجر ولاينزجر . أنه رجل متناقض ليس بعاقل لان الرجل العاقل لايناقض نفسه ولايكون متحولاً متقلباً . وأن الموت على الحر لأهون من نقض ماأبرم .

هذا قانون الحياة المادى فكيف بالحياة الروحية العليا التى اختار الله تعالى لها الأنبياء عليهم السلام لتصحيح أغلاط الحياة المادية وتطهيرها من أوضارها وأوزارها .

والنقل الصحيح الثابت إلى المعصوم ـ صلى الله عليه وسلم ـ لايقر هذه السفاسف . وأليك ثناء الله تعالى عليهم وامتداحه لهم .

قال الله تعالى فى حق آدم عليه السلام : « ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى » .

وقال فى حق بقية الأنبياء عليهم السلام : « وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء أن ربك حكيم عليم . ووهبنا له إسحق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزى المحسنين وزكريا ويحيى وعيسى وألياس . كل من الصالحين . وإسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين . ومن آبائهم وذرياتهم وأخوانهم واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم .. أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة ... أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده » .

---

(١) سفر الخروج صنع العجل ص ٣٢ وعصيان موسى وهرون خروج ص ١٢ : ١١ ـ ١٢ ـ ص ٤ : ١٣ والعدد ص ٢٠ : ٢ ، ص ٣٢ : ٤٨ ـ ٥٢ .

فوصفهم بالاصطفاء والاجتباء وأمر بالاقتداء بهم عليهم السلام وهذا هو المبدأ الإسلامي [illegible] إلى النبوة وأهلها وهو مبدأ يقره العقل ويؤيده قانون الحياة كما تقدم .

٤ ـ أهمال ذكر الآخرة بتاتا فلم يرد فى جميع الأسفار الخمسة الأولى مايدل عليها أو [illegible] أو يتحدث عنها ولاحظ ذلك المسلمون قديما وحديثا .

قديما لحظها العلامة ابن حزم فقال :

وأما التوراة التى بأيدى اليهود فليس[1] فيها ذكر لنعيم الآخرة أصلا ولا لجزاء بعد [illegible] اهـ[2] .

وحديثا ينبه إليها الدكتور محمد صدقى فى كتابه نظرة فى العهد الجديد وعقائد النصرانية ص ١٦٤ ـ ١٦٥ فقال :

ونجد أسفار العهد القديم خالية من التصريح بهذه العقيدة ـ البعث ـ وفى الوقت الحاضر تنبه إليها أيضا الأستاذ أمين الخولى فى كتابه ـ تاريخ الملل ـ وفنّد ماتَّعلَّل به سَعْدِيَا الفيومى من عدم ذكر الآخرة فى التوراة فقال فى كتابه « تاريخ الملل والنحل » ج ٢ ص ٢٦ ـ والحق أن خُلُوَّ التوراة من ذلك ـ ذكر الآخرة ـ يثير دهشة الباحث الدينى وليس الباحث العلمى بأقل من ذلك دَهَشاً فلا يظهر له كيف أن الشعب الذى اتصل بالمصريين وهم من عرفنا فى الاهتمام الشديد بالبعث والحياة الثانية . ثم قال : ويبدو لى أن الأسلوب العلمى لايبقى على مثل هذه التأويلات ـ تأويلات سعديا الفيومى وغيره من القائلين بأن التوراة أهملت ذكر الآخرة لوضوح هذه العقيدة[3] ـ .

ولعل الأقرب أن يقال : أن التوراة التى بين أيدينا قد أهملت الثواب الأخروى والبعث أهمالا واضحا . فأما أن يكون قد سقط منها شيء كان فيه ذكر ذلك وهذا مع جوازه فيه شيء من البعد لأن الحديث عن العالم الثانى التى اختصت الأديان بالتحدث عنه مما يكثر دورانه فى ثنايا النصوص الدينية فلا يرد فيه عبارة واحدة أو عبارات قليلة تسقُط كلُّها .

وأما أن يكون كاتبو هذه التوراة قد تركوا ذكر الآخرة لعدم عنايتهم أو لأنكارهم لها أو كتبت فى جو ينكر البعث[3] .

وفى الجانب اليهودى من ينكر الآخرة فيوافق على ملاحظة المسلمين وقد تقدم الكلام على ذلك فى الفرق حيث أنكر بعضهم البعث حيث لا دليل عليه فى التوراة . هذا قديما .

وحديثا وافق عليه يهودى مُحْدَث ـ الدكتور شمعون مويال ـ فى كتابه ـ التلمود وشرحه ـ مانصه : التوراة لم تفصح عن المعاد أفصاح التلمود بين فترى فى التوراة الثواب والعقاب ماديين فهى تقول مثلا :

أكرم أباك وأمك لكى تطول أيامك على الأرض[4] .

أقول هذه الملاحظة لاتحتاج إلى تأييد كبير وما على الباحث إلا أن يتناول التوراة ويتصفحها وسيخرج بالنتيجة الضرورية وهى :

---

(١) والتصويب عن تاريخ الملل والنحل للأستاذ الخولى .

(٢) الفصل ج ٢ ص ١٠٩ .

(٣) تاريخ الملل ج ٢ ص ٢٦ للخولى .

(٤) تاريخ الملل والنحل ج ٢ ص ٢٦ .

أن التوراة لاتشير إلى الآخرة أصلا بل لاتشير إلى ثواب معنوى مطلقا حتى فى الدنيا .

٥ ـ وجود التحريف فى نسخ التوراة :

(أ) بالزيادة . وقد تقدم فى الأمثلة السابقة .

(ب) بالنقص . سفر٢الخروج ص٦ : ٢٠ فولدت له هرون وموسى « هذا فى النسخة التى بين أيدينا » .

وفى النسخة السامرية واليونانية فولدت له هرون وموسى ومريم أختهما . فلفظ مريم أختها ساقط من النسخة العبرانية .

قال آدم اكلارك بعد أن نقل عبارة النسخة السامرية واليونانية ظن البعض من أجلة المحققين أن هذا اللفظ كان فى المتن العبرى .

(جـ) بالتبديل :

أولاً : اختلاف النسخ فى تقدير الأسنان بين آدم ونوح عليهما السلام فالنسخة العبرانية تقدر المدة بينهما بألف وستمائة وخمسين وست . والنسخة السامرية تقدرها بألف وثلثمائة وسبع .

والنسخة اليونانية تقدرها بألفين ومائتين وستين واثنتين .

فأحدى النسخ صحيحة لامحالة والاثنتان باطلتان أو كلها باطلة .

ثانياً : وكذلك تختلف فى تقديرها بين نوح وإبراهيم عليهما السلام .

فالعبرانية تقدرها بمائتين وتسعين واثنتين و السامرية تقدرها بتسعمائة وأربعين واثنتين .

واليونانية تقدرها بألف وسبعين واثنتين .

ثالثاً : بينها خلاف فى تعيين مكان الهيكل .

فالسامرية تجعله فى جبل جريزيم .

والعبرانية تجعله فى جبل عيبال . وهما جبلان متقابلان . وبين فرق اليهود نزاع فى ذلك قديما وحديثا .

فالمحقق كنكات يدّعى صحة السامرية .

والمحقق بارى ، درشيور يدعيان صحة العبرانية .

لكن كثيرا من الناس يفهمون أن أدلة كنكات لاجواب لها ويجزمون بأن اليهود حرفوا لأجل عداوة السامريين وهذا الأمر مسلم عند الكل أن جريزيم ذو عيون وحدائق ونباتات كثيرة وعيبال جبل يابس لاشىء عليه من هذه الأشياء . فإذا كان الأمر كذلك كان الجبل الأول مناسبا لاسماع البركة والثانى للعن اهـ .

وعلم منه أن المختار قول كنكات وكثير من الناس وأن التحريف وقع فى العبرانية وأن أدلة كنكات قوية اهـ[1] .

٦ ـ التعبير عن موسى بصيغة الغائب فى هذه الأسفار فلو كان موسى هو الذى كتبها لعبر عن نفسه بصيغة المتكلم .

---

(١) أظهار الحق ج١ ص ١٢٥ .

٧ـ ما فى هذه الأسفار بخصوص التأليه من تشبيه وتجسيم وسيأتى الكلام على ذلك أن شاء الله تعالى .

٨ ـ أقوال العلماء الذين قالوا : أن موسى لن يكتب هذه التوراة .

أولاً : أن الدكتور اسكندر كيرس من علماء المسيحية قال : فى ديباجة العهد الجديد ثلاثة أمور :

١ ـ التوراة ليست من تصنيف موسى .

٢ ـ أنها كتبت فى كنعان أو فى أورشليم والكاتب مجهول .

٣ـ نسب تأليفها إلى زمن سليمان عليه السلام فى عصر هوميروس(١) قبل المسيح بألف عام تقريبا(٢) .

ثانياً : يقول الدكتور هورن فى المجلد الثانى بأن المستر اكهارن وهو ألمانى الجنس من علماء المسيحية لا يعتقد أن موسى هو الكاتب للتوراة .

ثالثاً : قرر العالم اليهودى ـ موسى بن (٣)ميمون ـ كذب نسبة الأسفار الخمسة الحالية إلى موسى ووافقه العالم المؤرخ الإسرائيلى الصميم أكوليان ابرام .

رابعاً : يقول جورج بوست صاحب قاموس الكتاب المقدس ج ١ ص ٤٣٢ : أنه لمن المؤكد أن موسى عليه السلام لم يكن يعرف دان ولا جيروم بهذين الاسمين لأنهما جَدًّا (ظهرا) بعد موسى فوجودهما فى هذه الأسفار دليل على أن كاتبا آخر غير موسى هو الذى كتب هذه الأسفار(٤) .

خامساً : وقال جان ملزكاتولك ـ هكذا ـ فى ص ١٥ من كتابه المطبوع فى بلدة دربى سنة ١٨٤٣م اتفق أهل العلم على أن نسخة التوراة الأصلية وكذا نسخ كتب العهد العتيق ضاعت من أيدى عسكر بختنصر(٥) .

سادساً : دائرة المعارف الانجليزية تقول : وعند سقوط بيت المقدس انعدمت النسخ الخطية للتوراة .

٩ ـ أقوال العلماء بأن هذه التوراة من تأليف عزرا وسيأتى الكلام عليها بعونه تعالى .

فهذه الأدلة تثبت أن موسى عليه السلام لم يكتب التوراة الحالية . وهذا فرق آخر بين التوراة الحاضرة والقرآن الكريم لأن النبى محمدا صلى الله عليه وسلم كان يعرض القرآن على جبريل عليه السلام كل عام مرة فى رمضان وفى العام الذى لحق فيه بالرفيق الأعلى عرضه على جبريل مرتين .

---

(١) هوميروس شاعر أغريق وشخصية مختلف فيها وآخر رأى أنها شخصية خرافية وعلى كل فلهذه الشخصية أثر فى الأدب اليونانى وتاريخه حوالى القرن العاشر أو التاسع ق م وأخلد آثارها قصيدتا الألياذة والأودسا .
وفى الألياذة أخبار الحروب اليونانية مع أهل تروادة فى آسيا الصغرى وفى الأودسا أخبار القائد اليونانى أودسيوس بعد حروب تروادة وأخبار عودته إلى بلاده ودونتا فى عهد صولون المشرع الأثينى سنة ٦٣٩ق م « قادة الفكر ص ١٨ ـ ١٩ ـ تاريخ العالم القديم ص ١١٢ » .

(٢) الأقوال الجلية ص ٤٤ ومابعدها .

(٣) أظهار الحق ج ١ ص ٢٩ .

(٤) موسى بن ميمون القرطبى الأندلسى الإسرائيلى ولد فى ٣٠ مارس سنة ١١٣٥م وكان ابوه قاضيا فى المحاكم الكنيسية درس الدين على أبيه والعربية على المسلمين نزح من قرطبة وقام بفاس قليلا ثم ذهب إلى عكا بفلسطين سنة ١١٦٥م ثم إلى بيت المقدس ثم إلى مصر واشتهر بالطب وله مؤلفات بالعربية منها دلالة الحائرين فى التوفيق بين اليهودية وإلهيات أرسطو وشرح التشريع اليهودى (المشنا) وتوفى فى ١٣ ديسمبر سنة ١٢٠٣م وقبره الآن بطبرية بفلسطين اهـ دائرة المعارف الإسلامية م ١ ص ٢٨٥ ـ ٢٨٨ .

(٥) مادة بابيل .

فى الصحيح أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يعرض القرآن على جبريل مرة فى كل عام فى رمضان وفى العام الذى توفى فيه عرضه عليه مرتين.

وكان صلى الله عليه وسلم إذا نزلت آية يعلمها أصحابه ويأمرهم بكتابتها فى مكان يعينه[1] لهم وجمع القرآن على عهده صلى الله عليه وسلم وفى الصحيحين عن أنس رضى الله عنه أنه قال : جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة كلهم من الأنصار : أبى بن كعب ومعاذ بن جبل وأبو زيد وزيد ـ يعنى ابن ثابت ـ قلت لأنس : من أبو زيد ؟ فقال أحد عمومتى اهـ

فقد جمع القرآن فى عهده صلى الله عليه وسلم من أول كلمة إلى آخرها وبلغه رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه وهم بلغوا من بعدهم وهكذا .

وفى عهد أبى بكر قتل بعض الحفاظ فطلب عمر من أبى بكر أن يكتب مصحفا ليزيد فى وسائل الحفظ فأبى أولا ثم فعل ذلك فكتبه على الهيئة التى جمع عليها فى عهده صلى الله عليه وسلم .

ولما جاء عثمان جمع الناس على مصحف واحد طبق الأصل الذى كُتِبَ فى عهده صلى الله عليه وسلم وبعث منه نسخا إلى الأمصار وعلى هذا أجمع المسلمون على أن القرآن الكريم قد تواتر عنه صلى الله عليه وسلم ولم يتبدل منه حرف إلى يومنا هذا .

وأما قول اليهود : أن سليمان عليه السلام بعد بناء الهيكل وضع التوراة فيه فلا دليل عليه . لأن سليمان لم يضع فيه إلا التابوت وداخله لَوْحا الحجر فقط كما فى سفر الملوك الأول ص ٨ : ٩ لم يكن فى التابوت إلا لوحا الحجر اللذان وضعهما موسى هناك فى حوريب . وفى سفر الأيام الثانى ص ٥ : ١٠ لم يكن فى التابوت إلا اللوحان اللذان وضعهما موسى فى حوريب .

وما ورد فى سفر الأيام الثانى ص ٣٤ : ١٤ وجد حلقيا الكاهن سفر شريعة الرب بيد موسى . وقال لشافان الكاتب : قد وجدت سفر شريعة الرب وسَلَّمَ حلقيا السفر إلى شافان ١٦ فسلمه شافان إلى الملك يوشيا فلما سمع الملك كلام الشريعة شق ثيابه ٣٠ وصعد الملك إلى بيت الرب مع كل رجال يهوذا وسكان أورشليم والكهنة اللاويين وكل الشعب من الكبير إلى الصغير وقرأ فى آذانهم كل كلام سفر العهد الذى وجد فى بيت الرب .

فهو خبر آحاد فلا يعمل به لأنها لاتفيد يقينا على أنهم معترفون أن النسخ الخطية انعدمت عند سقوط بيت المقدس .

والنتيجة النهائية أن موسى لم يكتب التوراة الحالية لما تقدم .

الفصل الثالث

عزرا والتوراة

ويقول البعض أن عزرا هو الذى كتب التوراة واعتمدوا على ماجاء فى نحميا ص ٨ : ١ ـ ١٧ اجتمع الشعب وقالوا لعزرا الكاتب أن يأتى بسفر شريعة موسى فأتى عزرا الكاتب بالشريعة أمام الجماعة وقرأ فيها على المنبر وعمل الإسرائيليون عيد المظال بعد أن ظل منسيا من عهد يشوع .

(١) الأتقان فى علوم القرآن ص ٦٠ الطبعة الثانية المطبعة الأزهرية سنة ١٣٤٣هـ .

وقال أكليمنص اسكندر يانوس : أن الكتب السماوية ضاعت فأُلِهمَ عزرا أن يكتبها مرة أخرى .
وقال ترتولين : المشهور أن عزرا كتب مجموع الكتب بعدما أغار أهل بابل يروشالم .
وقال تهيوفلكت : أن الكتب المقدسة انعدمت رأسا فأوجدها عزرا مرة أخرى بالهام .

ونحن نقول ردا على هذا الرأى :

أولاً : لم يسوقوا دليلا واحدا غير الاعتماد على ماورد فى نحميا وهى رواية آحاد .

ثانياً : أقوال العلماء المتقدمة أن موسى هو كاتب التوراة .

ثالثاً : اتفق أهل الكتاب على أن عزرا كتب سفر الأيام الأول والثانى بمعونة زكريا وحجى الرسولين وهذان السفران بالحقيقة من تصنيفهم وتناقض كلامهم فى أسماء وعدد أولاد بنيامين .

فقد جاء فى سفر الأيام الأولى ص ٧ : ٦ لبنيامين بالع وباكر وبديعيئيل ثلاثة وفى ص ٨ : ١ وبنيامين وَلَدَ بالع بكره وأشبيل الثانى وأخرخ الثالث ونواحة الرابع ورافا الخامس .

ومع هذا فقد خالفوا مافى التوراة أيضا فقد جاء فى التكوين ص ٤٦ : ٢١ وبنو بنيامين بالع وباكر وأشبيل وجيرا نعمان وأيحى وروش ومفيم وخفّيم وأردو ـ عشرة ـ .

ففى الأول ثلاثة وفى الثانى خمسة وفى الثالث عشرة مع اختلاف الأسماء أيضا .

فلو كانت التوراة الحالية من تصنيف عزرا لما خالفها ولما تناقض معها لكنه خالفها وناقضها . فليست هذه التوراة من كتابة عزرا ولا كانت فى عهده .

ولقد تحير مفسروا الكتاب المقدس من اليهود والمسيحيين وأقروا :

أن ماكتبه عزرا غلط ولم يميز فيه بين الأبناء وأبناء الأبناء ولاعتماده على أوراق نسب اليهود الناقصة .

أقول مادام فى رأيهم أن الأنبياء يجوز عليهم الغلط فى تبليغ كتبهم المقدسة فلا يؤمن عليهم الخطأ والخلط وإذاً ترتفع الثقة عنهم ولابأس من أنكار ماجاء فيها وخاصة ماخالف العقل مما ينسب إليه تعالى وإلى أنبيائه عليهم السلام .

رابعاً : على فرض أن عزرا كتب التوراة الحالية فإن ماكتبه أحرق فى حادثة انطيوكس فقد قال جان ملز كاثالك ص ١١٥ من كتابه المطبوع فى بلدة دربى سنة ١٨٤٣م : اتفق أهل العلم على أن نسخة التوراة الأصلية وكذا نسخ العهد العتيق ضاعت من أيدى عسكر بختنصر ولما ظهرت نقولها الصحيحة على يد عزرا ضاعت تلك النقول أيضا فى حادثة انطيوكس .

خامساً : وجاء فى الميكابين الأول لما فتح انطيوكس ملك ملوك الفرنج أورشليم أحرق جميع نسخ كتب العهد العتيق التى حصلت له من أى مكان بعد قطعها وأمر أن من يوجد عنده نسخة من نسخ كتب العهد العتيق أو يؤدى رسم الشريفة يقتل وتعدم تلك النسخة وكان ذلك حوالى سنة ١٦١ ق م .

سادساً : ومع هذا وذاك فقد أحرق اليهود أنفسهم نسخا كثيرة من كتب العهد العتيق لمخالفتها النسخ التى عندهم لتصير النسخ اليونانية التى بأيدى المسيحيين غير معتبرة .

---

(١) هكذا فى كتاب أظهار الحق ج ١ ولعلها بأورشليم .

وقال كريزستم فى تفسيره التاسع على متّى : انمحى كثير من كتب الأنبياء لأن اليهود ضيعوا كتبا لأجل غفلتهم بل لأجل عدم ديانتهم ومزقوا بعضها وأحرقوا بعضها .

وجستن يقول فى المناظرة لطريفون : اليهود أحرقوا كتبا كثيرة من العهد العتيق ليظهر أن العهد الجديد ليس له موافقة تامة بالعهد العتيق ويعلم من هذا أن الكتب الكثيرة انمحت(١) .

وإذاً ما كتبه عزرا فقد ضاع فى حادثة انطيوكس وعلى أيدى اليهود أنفسهم وأصبحت هذه الكتب مجهولة النسبة حيث لم يكتبها موسى ولم يكتبها عزرا وكاتبها مجهول وغير معصوم حيث جمع فيها مايناقص العقل وأنقص منها ماتتحدث عنه الأديان ـ الآخرة ـ ولم يعلم زمان هذا الكاتب ضبطا ولامكانه .

ويؤيدنا فى ذلك ماجاء فى دائرة معارف الكتب المقدسة أن الدكتور اسكندر كيدس من علماء المسيحية قال فى ديباجة العهد الجديد ثلاثة أمور :

١ ـ أن التوراة ليست من تصنيف موسى عليه السلام .
٢ ـ أنها كتبت فى كنعان أو فى أورشليم والكاتب مجهول .
٣ ـ نُسِبَ زمن تأليفها إلى زمن سليمان عليه السلام فى عصر هومرِ ق م بألف سنة تقريبا ـ وقد تقدم ذلك ـ .

الفصل الرابع

تأثر التوراة بالديانة المصرية

لما كانت التوراة كما ذكرنا فيما تقدم من جهالة كاتبها وزمانه ومكانه بدرجة واضحة قوية قال بعض النقاد : أنها مشتقة من الديانة المصرية لأن مصر هى أول مهد للديانة اليهودية التى جاء بها موسى عليه السلام الذى تربى فى مصر وعرف علوم مصر بمقتضى مايلحظونه من شبه بين محتويات التوراة الحاضرة والديانة المصرية القديمة .

ولظهور تأثر اليهود بالديانة المصرية حتى بعد خروجهم حيث عبدوا العجل وتمنوا الرجوع إلى مصر وحاولوا ذلك وأحبوا خدمة المصريين على الحياة الحرة أو يعيشوا سادة فى فلسطين وحتى بعد استقرارهم فى فلسطين مالبثوا أن عبدوا العجل ثانية وتعاقدوا مع مصر فى السلم والحرب .

وبالجملة لاتصالهم المستمر ، ولأثر هذا الاتصال فى نفسيتهم ، ودينيتهم ، وخلقيتهم ، واجتماعيتهم ،

وهنا نقول كلمة موجزة عن الديانة المصرية القديمة ليتمكن للناظر أن يعرف صورة عامة عنها ويستطيع أدراك نواحى الاتصال بين اليهودية والمصرية .

يجد الباحث فى الديانة المصرية القديمة شتيتا من الآراء ونثيرا من الأفكار والمعلومات فبينما يقول بعض المؤرخين

(١) أظهار الحق ج ١ .

أنه كانت فى مصر ديانات متكثرة ويقسمها أربعة أقسام :

١ ـ ديانة رمزية مثل ديانة هورس ـ أى الصخرة ـ .

٢ ـ ديانة عنصرية أو رمزية مثل ديانة ـ رع ـ « الشمس » ومثل ديانة نون « البحر » ومثل ديانة جابو « الأرض » وكانت كلها مبعثرة فى القطر المصرى .

٣ ـ ديانة أنسانية قوامها شخصيات آدمية مثل أيزيس ، أوزوريس .

٤ ـ ديانة فكرية مبنية على مجرد أفكار مثل ديانة معان « الحق والعدل » .

وبوجه عام كانت جميع الديانات المصرية فى العصور السحيقة التى سبقت عصر ماقبل الأسر . ديانات رمزية ثم تحولت إلى أشكال رمزية آدمية ولم يبق منها إلا رءوسها وهذا هو التفسير لبعض التماثيل المصرية التى هى عبارة عن جسم أنسان برأس صقر أو برأس بقرة .

وأول الديانات التى شاعت هى ديانة ـ رع ـ أى الشمس ثم ديانة ـ منتو ـ وهى ديانة قائمة على الشمس أيضا وكان مركزها فى الجنوب ـ فى أرمنت ـ ثم ديانة أمون التى سادت زمنا طويلا .

ويرجع هذا التعدد الدينى فى مصر فى عصورها الأولى لتعدد القبائل المصرية إذ ذاك ثم أخذت الديانات المصرية تندمج فى الديانة التى سادت فى معظم الأيام وهى ديانة ـ أمون ـ .

وفى أيام الدولة الحديثة ظهرت فكرة توحيد الأديان وجعل دين مصر محتويا على عناصر أديان جميع أجزاء المملكة المصرية وحصل انقلاب عنيف لما قام أمينوفيس الرابع وهو اخناتون بدعوة إلى عبادة أتون . وانتصرت هذه الفكرة حينا ثم انهزمت بموت اخناتون وقامت على أطلالها ديانة أمون مما قوى نفوذ كهنة هذه الديانة حتى استقلوا بالملك بعد .

ويُعلَّل وجود عبادة قرص الشمس ـ الديانة الاخناتونية ـ بوجود الهكسوس فى مصر[1] .

وبجانب هذا نجد من يقول : أن الديانة المصرية القديمة لم يعلم إلى الآن مبدؤها ولا كيف نشأت وهل نشأت فى مصر أوجاءتها من بلاد أخرى وغاية ماتصوره المؤرخون أنها أخذت عن ديانة قديمة جدا . وهى ديانة سيدنا نوح عليه السلام ، ومما لاشك فيه الآن أن المصريين كانوا يعتقدون وجود إله واحد يرى ولا يُرىَ ومعبودٍ صمدى قديم لأول له ولا آخر وكانوا يتقربون إليه ويقدسونه بأجلال . وقد ورد فى آثارهم مايثبت اعتقادهم وحدانيته وقدرته وأفعاله . وهاك طرفا من أقوالهم التى وجدت على آثارهم :

كُلُّ شيء خلقه الله العظيم بنفسه ـ الله معبود باسمه الأزلى ـ تمضى الدهور وهو باق دائما لاتدركه الأبصار هو خالق الكائنات والأشياء الذى لم يُخلَق فاطر السموات والأرض خالق الأرواح فى الأشباح ذو الأزلية الذى لاحَدَّ له سميع لمن يتضرع إليه مجيب الدعاء .

غير أن معبوداتهم التى أظهرتها الاستكشافات لاتعد ولا تحصى وهم يعتبرونها مظاهر متنوعة لذات واحدة .

فعبدوا النيل . لأنه قوة من الإله الواحد والشمس لأن حرارتها قوة من قوى الإله الواحد ... ثم عمدوا إلى التماثيل ليتقربوا بها إلى إلههم الواحد وبلغ من حبهم لها أن العامة عكفوا على عبادتها من دون الله .

---

(١) مذكرات خطية للدكتور زيادة .

غير الكهنة وغيرهم ممن [illegible] على حقيقة الديانة القديمة يقولون : أنها رموز لأفعال الله . ثم لما اشتدت سلطة الملوك [illegible] الشعب[1]

وجاء فى كتاب معتقدات قدماء المصريين ص ٧ ، ٨ ، ١٠ ، ٥٦ أن قدماءنا كانوا يعتقدون اعتقادا راسخا بوجود إله واحد قادر مطلع على كل [illegible] وكانت هناك أنشودة توحيدية يرتلونها كل صباح فى جميع المعابد وهى :

لا إله إلا هو واحد لا شريك له . الله مفرد وصمد صانع جميع الموجودات . الله روح مخبوءة عن أعين الإنسان الله إله من الأزل فقبل وجود أى شىء كان إلها . هو رب الحياة أب الكل . إله الأبدية هو الباقى الدائم الخالد الغير متناهى. كان موجودا من أوقات لا نهائية وباق الآن وسيبقى إلى الأبد الله مخبوء ولم يوجد إنسان فى شكله ومنظره ... ألخ .

ثم لما انحطت الأفكار عبدوا آلهة كثيرة ويزعمون أنها تزورهم تفقدا لأعمالهم .

ويقول بعض العلماء : أنهم يردون هذا التعدد إلى التوحيد[2] وهناك من يقول : « أنهم كانوا متشددين فى التوحيد والذى دعا إلى هذا الخلط هو أن لغتهم رمزية فأخطأ الباحثون فى فهمها ، وحسبوا هذه الرموز آلهة بذاتها[3] .

هذه الآراء فيما يختص بعقيدة التأليه . ونستطيع أن نقول أجمالا : أنهم كانوا فى أدوار مختلفة فعرفوا التوحيد كما عرفوا التعدد . والذى يهمنا هو أنهم عرفوا يوماً ما التوحيد الخالص قبل وجود اليهود فى مصر . وما يمكن أن يكون وجه شبه بين المصرية واليهودية فهو :

أولاً : القصص : تكلمت الديانة المصرية عن : بدء الخلق وكيف دبت الحياة فقالت : « فى الأزل لم يكن أرض ولا سماء ولا يابس ولاماء ، وفى هذا الفراغ جسم يقرب شكله من شكل الماء وفيه روح الخالق الأعظم بلاهيئة ولاصورة ولم يكن بهذا السائل حياة ولاشىء .

وذات يوم فاهت هذه الروح باسمها فتحولت إلى شكل فريد لايمكن تصوره . وذلك هو شكل الاله الخالق لجميع الآلهة ، وجميع الكائنات ، واسمه خفرع (نور وحياة الكائنات) ويعيش هذا الاله مثقلا بالأفكار ثم خلق إلهين يساعدانه فى أدارة هذا الكون ثم خلقت الشمس والقمر وأخيرا بكى هذا الخالق الأكبر فتحدرت دموعه على الأرض فاستحالت بشرا سويا . رجلا وأنثى . ثم استراح من عمله .

ويُلمح هذا المعنى إجمالا فى سفر التكوين ص ١ ، ٢ ، ٣

فى البدء خلق الله السموات والأرض ... وروح الله يرف على وجه الحياة ... وفرغ الله فى اليوم السابع من عمله الذى عمل فاستراح فى اليوم السابع ... ألخ .

ثانياً : كان المصريون فى أول أمرهم موحِّدين ، ولما انحطت أفكارهم عبدوا مظاهر الكون على أنها قوى الخالق الأكبر فانتقلوا من التوحيد إلى التعدد وخاصة العامة الذين اختلط بهم العبرانيون ، وكانوا يعتقدون أن هناك آلهة

---

(١) مجلة طنطا الثانوية ج ا مايو سنة ١٩١٥م .

(٢) كناش فى الفلسفة ج ١ فى الكلام على الفلسفة المصرية .

(٣) الصرخة السنة الثانية ع ٦ . ص٦ – نوفمبر سنة ١٩٣٤م .

تزور الأرض لترى مايحصل عليها وتراقب الناس فى أعمالها .

فتأثرت اليهودية الحاضرة بذلك فخلطت فى عقيدتها فى التوراة ف[illegible] الا[illegible] يحى [illegible] يرونه عينا لعين حتى رأوا رجليه وتحتها شبه صنعة من العقيق الأزرق الشفاف [illegible] ولكنه لم [illegible] يده إلى أشراف إسرائيل .

ثالثاً : الكهنة ونظام الكهنوت :

كان فى الديانة المصرية القديمة طبقة تسمت برجال الدين وهم الكهنة ويسامون الأشراف فى امتيازاتهم بل يفضلونهم وكانوا أعز شأنا وأرفع سلطانا لأنهم علماء الدولة . وخزان أسرارها وبيد الكاهن الأكبر كل الكتب خاصة الدينية والتاريخية ، ولايستطيع أنسان الوقوف فى وجه الكاهن الأكبر إلا الملك وحده .

وكذلك اليهودية لها طبقة كهنوتية ولهم شعائرهم وسماتهم وامتيازاتهم ، وبيدهم الكتب الدينية .

(د) لاحترام الكهنة المصرية أيام الأسرة الخامسة تسموا أبناء رع « أبناء الله » وكذلك اليهود جميعا تسموا بشعب الله المختار وأنهم أبناؤه . الرب تكافئون بهذا ياشعبا غبيا غير حكيم أليس هو أباك[1] .

(هـ) بعض الشعائر العبادية : المعبد وأدواته وأطيابه وخبزه المقدس للآلهة والنهى عن سرقة القرابين المقدسة والخيانة فيها وفى الحقول المقدسة والمياه المقدسة والمحافظة على العيد مما يرى مثله فى التوراة فى سفر اللاويين بدرجة تسترعى الانتباه .

(و) هذا غير مافى المصرية من قناعة راضية مما يشبه تعاليم اليهود جملة فى قناعتها كأنها تريد أقرار الحياة على ماهى عليه إذ أنَّ معظم تكاليفها سلبية لا تسرق لا تزن لا تقتل لاتشته امرأة قريبك لاتتبع آلهة أخرى لاتكذب لاتخسر الميزان لا تنقل تخم جارك .

هذه بعض مايمكن أن يكون وجه شبه عام بين اليهودية والمصرية .

الفصل الخامس

تأثر التوراة بالديانة البابلية

بينما يرى البعض أن هناك صلة قوية بين اليهودية الأولى والديانة المصرية . إذ يرى البعض الآخر أنها تتصل اتصالا وثيقا بالبابلية والأشورية .

لأن بابل منبت الساميين آباء اليهود الأولين ومباءتهم فى الأسر وقد ظل اتصالهم ببابل وآشور وخاصة إذا لوحظ أن هذه الأسفار لم تكتب إلا بعد العودة من بابل بَيدٍ تَرَبَّتْ فى البلاد البابلية التى مرت عليها عصور طويلة وهى

---

(١) تثنية ص ٣٢ : ٦ .

حالة [illegible] الدينية فى العصور المبكرة ونقول كلمة مجملة عن الديانة البابلية والأشورية فيما يلى :

خلال سنة ٣٠٠٠ ق م [illegible] سنة [illegible] ٥٠٠ ق م قامت بين دجلة والفرات فى سهل شنعار حضارة ومدنية عظيمتان أنشأها قوم خليط من الآريين والساميين تنازعوا الملك فيما بينهم وكان لكل منهم طابع تفكير خاص يختلف فى جوهره عن الآخر.

فالآريون يقولون : بفكرة وحدة الوجود ولذلك ألهوا كثيرا من مظاهر الحياة والكون .

والساميون يقولون : بفكرة تعدد الوجود فكان هناك اختلاف كبير فى وجهات النظر الدينية وظهرت سلسلة من الآلهة لايعرف مبدؤها ولامنتهاها غير أن بعضها كان يظهر فى عصور القوة للقبيلة أو المدينة التى كانت تعبده فنسمع عن ذكر إله يسمَّى آنو وقد ذكر فى جميع القصص كأول إله وكقائد لجميع الآلهة الذين جاءوا بعده . وَأَيَا الذى ظهر من البحر واعتبر خليفة لآنو .

وبعد ذلك كان إله كل مدينة فى آشور يعتبر أخا لآنو وأيا لاستمداده قوته منهما .

ولما أصبحت بابل أقوى مدن الأمبراطورية ظهر مردوخ كأكبر الآلهة وأقواهم .

ولما تغلبت آشور عبدوا إلههم آشور الخاص بهم ولم ينكروا على مردوخ درجته كخالق .

وهناك مجموعة تفرعت من آبسو والد الآلهة الأقدم وأيتامات أم الآلهة الأولى . وأيضا هناك إله آخر يسمى إله الحكمة وقد تكلمت عنه العصور القديمة ومن الموثوق به أنه كان إله الكتابة .

وترى فى الديانة البابلية إلها يسمى شاماش « الشمس » وهو إله العدل وكان على كل أنسان أن يعمل الخير ليكافئه الإله شاماس على الأرض ولم يتعد تفكيرهم حدود المنفعة المادية .

ويمكن استخلاص هذا الشتات فيما يأتى :

١ ـ فكرة تعدد الآلهة .
٢ ـ القول بتناسل الآلهة .
٣ ـ المنفعة المادية والثواب المادى .
٤ ـ أهمال ذكر الآخرة ولذلك لم يهتموا بموتاهم فدفنوهم طورا فى الحفر وطورا تركوهم للسباع والطير .
٥ ـ سيطرت عليهم روح السحر والشعوذة لاعتقادهم أن فى كل شىء روحا خفية .

وهناك نواح يمكن أن تكون وجه شبه بين هذه الديانة واليهودية التى فى التوراة هى :

١ ـ القصص : قصة التكوين وتعتبر هذه القصة أهم ماعثر عليه فى الديانة البابلية ويعتبرها العلماء نموذج الاعتقاد الدينى الذى تدرج فى التقدم وهذه القصة تسمى ـ فى الأعالى ـ وهى مكتوبة على سبعة أقراص بعضها فى البابلية وبعضها فى الأشورية .

وبين هذه القصة ـ فى الأعالى ـ وسفر التكوين علاقة قوية إذ تتحدث عن بدء الخلق وكيف نشأت الحياة وعلى نحو مافى سفر التكوين .

وهناك قصص دينية أخرى تشابه قصة خلق آدم فى بعض النواحى مكتوبة فى أربعة أقراص : ثلاثة من مكتبة آشور وواحد من تل العمارنة بمصر .

غير أن هذه الأقراص لاتعطى صورة واضحة محدودة لانمحاء بعض أجزائها

٢ ـ التشريع : قانون حمورابى[١] سنة ٢١٢٥ ـ سنة ٢٠٨١ق م يعتبر أول تشريع معروف فى العالم مرتبا فى مواد عددها مائتان وثمانون واثنتين مادة ، وقد حُفِرَ هذا القانون على تمثال من الحجر الأسود ارتفاعه ثمانية أقدام وقد كشف هذا الحجر سنة ١٩٠١ على يد أحد الغزاة فى أحدى مدن الجبال الفارسية وتبتدئ وتنتهى بتوسلات وأدعية للآلهة .

وكان الناس ينظرون إلى هذا القانون كشريعة مقدسة يتعبدون بها ولقد كان القاضى الذى يتلاعب بالقانون فى قضية ينظرها يطرد من القضاء إلى الأبد ويغرم غرامة باهظة وكان يقتل شاهد الزور وأما الجرائم الأخرى فكان يعاقب عليها بالقتل مثلا لو بَنَى أحدهم بيتا فسقط هذا البيت على مالكه فقتله فأن البنَّاء يقتل[٢] .

وإذا قتل ابن المالك فأن ابن البناء يقتل .

ومن هنا يمكن معرفة من أين جاء العبرانيون بقانونهم العين بالعين ألخ .

والوصايا العشرة يلمح فى كتابتها التفكير البابلى حيث جاءت على شكل مواد القانون الحمورابى .

٣ ـ نظرية الثواب والعقاب فى البابلية أنه على كل أنسان أن يعمل ليكافئه الآله شاماس على الأرض . وفى التوراة : « أكرم أباك وأمك لكى تطول أيامك على الأرض » .

٤ ـ عدم ذكر الآخرة وعدم الإيمان به فى البابلية واليهودية ولهذا كانت الأجزية مادية دنيوية عاجلة فى الديانتين .

٥ ـ بعض طقوس العبادة وخاصة التضحية البشرية فى بقية أسفار العهد القديم مما يشبه البابلية تماما .

جاء فى سفر القضاة ص ١١ أن يفتاح أحد قضاتهم وهو ابن امرأة زانية هرب من وجه أخوته ثم أختير رئيسا على اليهود ليحارب العمونيين وهو نبى فى أسفارهم وكان روح الله على يفتاح مع أنه لايدخل ابن الزنى فى جماعة الرب وتثنية ص ٢٣ : ٢ ثم نذر أن ظفر بعدوه ليضحى بأول من يلقاه خارجا من أبواب بيته فظفر ورجع فكانت ابنته الوحيدة أول من لاقاه فضحى بها كما نذر .

مع أن هذه الوثنية تخالف توراتهم الحالية لأن النذر ليس بأكثر من حق البكورية قداسة وافتراضا وقد جاء فى سفر الخروج ص ١٣ : ١٣ وكل أنسان من أولادك تفديه : فأمرت بافتداء البكر الإنسانى من حق البكورية ولوكانت أراقة دم الإنسان قربانا سائغا جائزا لماكانت تأمر بافتدائه لأن حق الله تعالى تعلق بعين البكر فى هذه الحالة . ونحن من جانبنا لاننكر أثر الديانتين المصرية والبابلية فى التوراة الحاضرة لما قدمنا غير أننا نميل إلى أنها تشبعت بالبابلية حتى ظهرت فيها ظهورا واضحا قويا لانستطيع أنكاره أو تقليل أهميته . وسيطرة المادية عليها وأهمالها ذكر الآخرة يقرب وجه الشبه جدا بين البابلية واليهودية .

ويؤيدنا فى هذا الرأى ماجاء فى كتاب ـ سِرّ تطوُّر الأمم ـ لجوستاف لبون ص ٨٤ : والديانة الموسوية مشتقة مباشرة من ديانة الكلدان .

وجاء فى كتاب كُتُب الشرق المقدسة وآدابه ج ١ ص ١ : المعتقدات اليهودية والمسيحية تأسست على التفكير

---

(١) يوجد بمتحف اللوفر بباريس وله أثر آخر خمسة وخمسون لوحة من اللبن بالمتحف البريطانى .

(٢) مجلة الهلال السنة ١٣ ج ٤ ، ٥ فى سنة ١٩٠٠ شريعة حمورابى واليهودية .

والعلم البابلى ومعتقداتنا « اعتقاد مؤلفى الكتاب » الحديثة لاتزال مرتبطة بخيوط يمكن تتبعها إلى الأصل البابلى. وساعدهم على هذا الرأى باكتشاف مكتبة آشور بنيبال[1].

وجاء فى كتاب بنى إسرائيل ص ١٨ : أن علماء الأساطير والخرافات ـ بالنسبة للتوراة ـ قسمان :
١ ـ يجعل التوراة من أولها إلى سليمان خرافات بابلية.
٢ ـ يجعل أغلب شخصيات التوراة خرافية اهـ.

ولاننكر أثر المصرية أيضا أننا نجده بصورة مخففة جدا حيث لانلمح أثر الروحية ولانسمع ذكر الآخرة الأمرين اللذين سيطرا على الديانة المصرية واتخذا شكلا عمليا واقعيا فحنطوا الأجسام خوف البلى وليسهل على الروح معرفة جسدها عند البعث وليبقى كاملا كما كان فى الدنيا. وبنوا المقابر حصينة لتحفظ الجثة ومايودع معها من النفائس والأدوات التى كان يستعملها الميت فى حياته ليستعملها فى حياته الأخرى. وآمنوا بالجنة والنار والحساب والميزان ... ألخ.

وأن من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره.

ويؤيدنا فى هذا الرأى مايقوله جوستاف لبون من أن اليهود إنما أخذوا عن المصريين بعض صُوَر المدينة المادية ـ وقد تقدم ذلك ـ.

وجاء فى دائرة المعارف الانجليزية أن تشريع موسى يلمح فيه بعض المظاهر المصرية اهـ.

١ ـ لو أنها أخذت عنها بعض التعاليم الصالحة لأسعاد الإنسانية ماكان فى ذلك ضرر أبدا لأننا كنا نقول : استبقت نافعا واقتبستْ صالحا لخير الناس وهناءتها ولاضير أن يأخذ دين سماوى عن دين قد يكون سماويا بعض تعاليمه لأن الديانات القديمة لايعرف مبدؤها علميا الآن والعلماء يقررون جهالة مبدئها ولامانع من أن يكون أصلها سماويا أو بعضها ذا أصل سماوى.

فلو كانت اليهودية أخذت ذلك المأخذ النافع لما كان عليها لكنها أخذت طالحًا وتركت صالحا فأخذت عن البابلية ماديتها التى أنستها ذكر الآخرة وألهتها عن المعنويات جملة الأمر الذى اتفقت عليه الأديان السماوية وتركت ماشغل الأذهان المصرية من هذه المعنويات الراقية.

٢ ـ مادامت التوراة الحالية مجهولة الأصل ولم يعرف كاتبها ولا زمانه ولامكانه فلا ضير من القول بأنها كتبت فى عصر انجلت فيه الروحية وتجلت فيه المادية.

وعلى ذلك فهى تمثل عصرا من عصور التفكير الإنسانى عند هذا الشعب ـ اليهودى ـ الذى اعتمدت حياته على الأمم التى خالطها فدخلت عناصر تفكيرها فى عقلية هذا الشعب ولم يستطع التخلص منها.

وقد سبق أنهم ابتدءوا يكتبون حوالى القرن السابع ق م وأنهم كتبوا أسفارهم بعد العودة من بابل وبعد أن سادت روح عصر هوميروس الشاعر فانتشرت الأساطير والأقاصيص مما نجد ظله فى أسفار العهد القديم.

---

(١) أشور بنيبال حوالى سنة ٦٦٩ ـ سنة ٦٢٩ ق م ملك آشور أحب العلم واشتغل به وأسس مملكة عظيمة فى عاصمة ملكه نينوى وعثر على عشرين ألفا من أقراص هذه المكتبة.

ما الغاية من كتابة هذه الأسفار؟

سبق أن قلنا أن الكتب الدينية السماوية شأنها أن ترسم طرق الفضيلة وأن تمحو معالم الرذيلة وتعمل على رفع مستوى النفس الإنسانية الحيوانية إلى النفس الإنسانية العاقلة الفاضلة وترشد إلى سعادة الحياتين وكرامة الدارين بالترغيب والترهيب وغير ذلك .

ولكننا فى التوراة الحاضرة لانستبين هذه الثانية واضحة خالية من لوثة المادية والنفعية وضراوة الميول الجنسية التى سيطرت على هذه الأسْفار وأخذت فى التحدث عنها تحدثا طويلا فى بذاءة خارجة عن حدود اللياقة فى غير لباقة مما وصفت به الأنبياء عليهم السلام مما يثير فى النفس الإنسانية نوازع الشر ويميت الميول إلى الخير فلم تشتمل على عظة نافعة أو تذكرة ناجعة أو حكمة بالغة أو بيان لنعمة سابغة أو توجيه إلى رأى حُرٍّ طليق أو تحرير لفكر عان وثيق .

الفصـــل الســـادس

القرآن الكريم والتوراة الحاضرة

يقرر القرآن الكريم فى التوراة الحاضرة ماقرره العلماء الباحثون من وقوع التحريف فيها والاختلاف فى محتوياتها فيقول : « ولقد آتينا موسى الكتاب ــ التوراة ــ فاختلف فيه » . أعم من أن يكون اختلافا فى جوهرها أم فى فهمها . ثم قال « إن هذا القرآن يقص على بنى إسرائيل أكثر الذى هم فيه يختلفون » أى أنه اعترف بوقوع اختلاف بنى إسرائيل وأن هذا القرآن يقص عليهم صواب أكثر ماختلفوا فيه سواء فى العقيدة أو فى التعاليم .

ثم قال : إن فريقا منهم حرفوا التوراة عمدا فقال تعالى :

« فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا » وقال فى موضع آخر : « أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون » .

ومعنى هذه الآية الكريمة : لاتطمعوا أن يؤمن هؤلاء اليهود بواسطتكم ويستجيبوا لكم والحال أن أسلافهم الموافقين لهم فى خلال السوء كانوا يسمعون كلام الله ــ أما بواسطة الرسول ، وأما بلا واسطة ــ ثم يحرفونه بالزيادة عليه أو بالنقص أو التبديل من بعد ماعلموه يقينا ولم يستجيبوا له هيهات ! ! ! ... أو هم يعلمون أنهم كاذبون ومفترون (١) .

وبالضرورة عرف ذلك الاختلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه هو الذى أنزل عليه الكتاب ليبينه للناس وقد جاء عنه صلى الله عليه وسلم أن عمر الفاروق رضى الله عنه قال للنبى صلى الله عليه وسلم : إنا نسمع أحاديث من يهود تعجبنا أفترى أن نكتب بعضها ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : (أمتهوكون أنتم كما تهوكت اليهود والنصارى ؟ لقد جئتكم بها بيضاء نقية ولو كان موسى حيا لَمَا وسعه إلا اتباعى (٢) .

(١) تفسير العلامة أبى السعود ج ١ ص ٩٢ بتعديل واختصار .

(٢) حجة الله البالغة للدهلوى ج ١ ص ١٦٨ طبع بولاق سنة ١٢٩٤هـ .

بقوله صلى الله عليه وسلم أمتهوكون أنتم ؟ أى أمتحيرون ومضطربون ؟ ومختلفون فى فهم ماجئتكم به فَرَدَّدْتم بعضه وحرفتم بعضه كما تهوكت وتحيرت اليهود والنصارى فى كتبهم فكان لكل جماعة كتاب ولكل فرقة أصحاب . والله لقد جئتكم بها بالملة القيمة والطريقة المستقيمة والشريعة القويمة بيضاء خالية من التحريف والتزييف يسهل فهمها وأدراكها لبساطتها وقربها من الفطرة وخلوها من التخليط والتغليط للاحتياط فى حفظها وتعليمها نقية من الأدران التى لحقت اليهود والنصارى فخلطت الأولى والثانية وكلاهما جانبت القصد وتجاوزت الحد .

والله لو كان موسى حيا وأدرك ماجئتكم به من الهدى والخير والحق والصدق لما وسعه إلا اتباع تعاليمى واعتناق شريعتى لأنه فى هذه الحالة يدرك مالحق اليهودية بعده ويجد ماجاء به صلى الله عليه وسلم صحيحا خالصا من كل لبس نقيا من كل تحريف أو تبديل فيتبع ذلك الصحيح ويدع ذلك الباطل فقوله عليه الصلاة والسلام ذلك دليل على معرفة مالَحِقَ اليهودية . والمراد نهيهم عن الاختلاف كما اختلف اليهود والنصارى .

ومن هذا الحديث نجد أن الرسول محمدا صلى الله عليه وسلم أدرك أن فى التوراة دخلا وزيفا وبالتالى عرفه أصحابه صلى الله عليه وسلم ـ فقد صَحَّ[١] عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال :

كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذى أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم أَحْدَثُ [٢] تقرؤونه محضا[٣] لم يُشَب[٤] . أن أهل الكتاب بدلوا وحرفوا كتاب الله وغيروه . وكتبوا بأيديهم الكتاب وقالوا هو من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا . ألا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم ؟ لا والله ما رأينا منهم رجلا ليسألكم عن الذى أنزل عليكم[٥] .

وفى عهد عثمان ظل قوى لهذه الفكرة فقد روى البخارى أن حذيفة بن اليمان قال لعثمان : يا أمر المؤمنين تدارك المسلمين قبل أن يقع الاختلاف بينهم فى القرآن كما اختلف من قبلهم اليهود والنصارى فى كتبهم .

ونسمع الشافعى[٦] يقول بعثه والناس صنفان : أحدهما أهل كتاب بدلوا من أحكامه وكفروا بالله فافتعلوا كذبا صاغوه بألسنتهم فخلطوه بحق الله الذى أنزل إليهم فذكر تبارك وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم من كفرهم فقال : « وإن منهم لفريقان يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وماهو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون » :

ثم قال : « فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون[٧] » .

ثم تلا ذلك عصر التأليف فى الأديان والنحل فأثبتوا وجود التحريف فى هذه الكتب وقرأ المسلمون هذه الكتب فازداد انتشار فكرة وجود التحريف فى هذه الأسفار .

---

(١) البخارى ج ٩ ص ١١١ .
(٢) زمن نزوله قريب منكم .
(٣) خالصا صافيا .
(٤) لم يختلط بغيره كما اختلطت اليهودية بغيرها .
(٥) تعصبا وعنادا واستكبارا .
(٦) هو الأمام محمد بن أدريس الشافعى القرشى المولود بغزة سنة ١٥٠ هـ والمتوفى سنة ٢٠٤هـ صاحب المذهب المنتشر فى مصر والحجاز وفلسطين وبلاد الأكراد واليمن وجزائر الفيلبين .
( ) الرسالة ع ١٤٦ ص ٦٥٦ .

وماورد فى القرآن الكريم مدحا للتوراة وطلبا للإيمان بها فأنما هو فى حق التوراة التى نزلت على موسى من السماء .

ولايعقل أن تكون هى هذه التوراة لاشتمالها على ما يناقض ماجاء به القرآن الكريم من تقديس لله تعالى وتكريم لرسله عليهم السلام وتعاليم تعود على الإنسانية بالخير العاجل والآجل .

ولو كانت هذه التوراة هى المقصودة بمدح القرآن لكان القرآن متناقضا فيقول : آمنوا بتنزيه الله تعالى الذى جئتكم به وآمنوا بالتوراة التى تقول : أن الله خلق الإنسان على صورته وشبهه ولكان القرآن يقول : آمنوا باهتداء الرسل واجتبائهم وآمنوا بالتوراة التى ألصقت بهم مايخجل من ذكره العقلاء ـ وحاشا لله ـ أن يتناقض القرآن أو يكذب بعضه بعضا[1] .

وأذاً فالتوراة التى مدحها القرآن وطلب الإيمان بها هى التوراة الحقيقية الصحيحة التى لاتنافى تعاليم القرآن الكريم وهى التى لاينكرها المسلمون وهى المقصودة بقوله تعالى : « وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبنى إسرائيل » : « إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور » .

(١) أدلة اليقين ص ٧٧ ، ٢٩٤ .

الباب الخامس

الفصل الأول

التأليه في التوراة

كيف تفهم التوراة ؟؟؟

رأينا فيما سبق من عرض لحالة الأمة اليهودية فى عصورها المتداولة وأدوارها المتطاولة من نشأتها إلى الوقت الحاضر أنها :

لم تكن متدينة فى حياتها الواقعية المادية وأنها كانت فى درجة اجتماعية بدائية لاتساعد على ترقية الحياة الأدبية والفكرية .

ورأينا فى الفرق من ينكر هذه التوراة المعروفة ويتمسك بتوراة خاصة وله تعاليمه وآراؤه فى الأصول والفروع وأنه بسبب ذلك الاختلاف هدمت صوامع وبيع .

فضلا عما عرفنا من اختلاف بين نسخ التوراة المشهورة وقبول بعض الأسفار ورد البعض الآخر .

وأن هذه التوراة فى حاجة إلى معرفة شخصية كاتبها وزمانه ومكانه وغايته من كتابتها . ونتج عن تلك الجهالة أن اختلف الباحثون فيها فنسبها البعض إلى المصرية ونسبها البعض إلى البابلية وأوردنا مايمكن أن يكون وجه شبه بينها جميعا .

هذا فوق ما احتوته من الأمور المخالفة للعقل والبديهة وما أصابها على أيدى الملوك الغزاة وما أصابها على أيدى اليهود أنفسهم من أحراق وتمزيق .

ونريد الآن أن نعرف القانون الذى يمكننا به فهم حقائق التوراة فهما نأمن به من الخطأ فى حدود ماترسم التوراة لنفسها وماسلكته فى نشر تعاليمها فنقول :

(أ) التوراة والعقل :

التوراة الحالية لم تحكم العقل فى عقائدها ولافى تعاليمها ولا فى نفسها ولم تشر إليه ولم تتحدث عنه . ونتجوز فنقول :

قَلَّ جدا أن يظفر الباحث بحديث عن العقل أو بكلام عن الفكر أو توجيه إلى رأى أو عظة أو تبصرة أو عبرة أو تذكرة وقرنت عقائدها التلقينية الألزامية بالوعيد والتهديد الشديد وكأنها أرادت أن تسوق طفولة اليهود بيد من حديد .

تصورت إلههم بصورة مزعجة مخيفة يبغضها الحس وتمقتها النفس ويزدريها العقل مما كان ذا أثر واضح فى نفسية اليهود الدينية جعلهم ينتهزون الفرص ليتحللوا من هذا الإله المنتقم الجبار الذى يفتقد ذنوب الآباء والأبناء وفى الجيل الرابع والذى يقول فى سفر التثنية ص ٣٢ : ٤١ إذا سننت سيفى البارق وأمسكت بالقضاء يدى أرد نقمة على أضدادى وأجازى مبغضى . أسكر سهامى بدم ويأكل سيفى لحما بدم القتلى والسبايا ومن رءوس قواد العدو .

وهذه صورة مزعجة مروعة تمثل فكرة الانتقام أروع تمثيل والطاعة إذا قامت على الرهبة كانت ثقيلة على النفس بغيضة إليها ممقوتة لديها لأنها تذكر بتقاطر الدماء وتطاير الأشلاء حتى النفوس الخيرة والأرواح الطاهرة تتبرم منها وتغض طرفها عنها وكذلك الطاعة إذا كانت على الرغبة وحدها فهناك نفوس جامحة فى الظلام لايلويها عن غيها التلويح لها بغصن الزيتون ولايجذبها نحو النور خيط من حرير ومراعاة واحد من النوعين قصر نظر وقلة تدبير .

أما الحكمة البالغة ففى خلط الرغبة بالرهبة بلا تبذير أو تقتير ليسير النوعان بحكمة وبصيرة وذلك شأن العليم الحكيم الذى قال : نبئ عبادى أنى أنا الغفور الرحيم وأن عذابى هو العذاب الأليم :

ونشأ عن قسوة إلههم قسوة تعاليمه فعاقبهم بالقتل على تافه الذنوب وصغائر الآثام فمثلا من أكل مختمرا فى أحد أيام العيد يقتل ومن سب أباه يقتل بل أدانت الأبرياء وعاقبت الأبناء بذنوب الآباء وأوجبت على الساهى كفارة عما جناه فى سهوه[1] .

وإذاً فالتوراة غرست عقائدها بالتلقين وفرضت تعاليمها بالألزام ولم تُقم على عقيدة دليلا ولم تبن لفريضة حكمة .

ولكن القرآن قد سلك غير هذا المسلك ففتح للعقل آذانا جديدة ومنحه حرية كاملة رشيدة ووضع أسسه على التفكير والتدبير فقال تعالى : « كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته » ومن آياته مايتعلق بالله تعالى ومنها مايتعلق برسله عليهم السلام ومنها مايتعلق بالإنسان وعلاقته مع غيره وأمر بالتفكر والتدبر فيما يحيط بالإنسان من كائنات بل أَمَره بالتبصر فى نفسه : « وفى أنفسكم أفلا تبصرون » . ونَعى على من يمر بالآيات معرضا :

« وكم من آية فى السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون » : « قل انظروا ماذا فى السموات والأرض » .

على أى ناحية من نواحى التفكير الفردى أو الجماعى : « قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا » .

ولكن شَرَط التحلل من الموروثات حيث ذم المقلدين ونعى عليهم : « وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ماألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لايعلمون شيئا ولا يهتدون » .

وشرط خلوص النية فى البحث : « أن تقوموا لله » أى مخلصين وعلى هذا يكون للقرآن مَنْطِقُهُ وحده ويكون قد رفع العقيدة من دور العاطفة إلى دور الفكرة .

ولهذا لايصح إيمان المقلد بل على كل مكلف أن ينظر بنفسه ويقدم المقدمات وينتج النتائج حتى يصل من نفسه بنفسه وحتى يكون الإيمان متغلغلا فيه لاتعبث به شبهة .

ولهذا كان للمسلمين تناول خاص فى فهم كتابهم يغاير ماعند أهل الكتب الأخرى .

---

(١) العدد ص ١٥ : ٢٨ .

(ب) وليس فى التوراة مايدلنا على أن بعض عباراتها نص فى معناه والبعض الآخر يحتمل لمعان كثيرة وفهم المعنى المراد منه متوقف على فهم الحكم أى أنها لم تشر إلى أنها اشتملت على محكم ومتشابه وأنه يجب فهم المتشابه أرجاعه إلى المحكم .

كما جاء فى القرآن الكريم . مثلا قال تعالى : « فيه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات » فتراه يحدثن اشتمال القرآن الكريم على آيات محكمات واضحات المعنى المراد وهن أم الكتاب أصله ومقصده ومرجع أحكامه ـ وعلى آيات متشابهات دلائلها خفية مبهمة لاحتمالها معان كثيرة توضح المرادَ منها الآيات المحكمات التى يؤيدها العقل أو التى لم يعارضها على أقل تقدير ـ فما يستطيع فهمه وهضمه ـ .

وبذلك وضع قانون فهمه بنفسه مع مراعاته لحكم العقل إلى أقصى حد ممكن بل احترم آراء العقلاء من أهله : ـ ولوردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ـ .

واحترم آراء الجماعة أيضا : ـ « ومن يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولى ونصله جهنم » .

بخلاف التوراة فأنها خلطت فى العقائد مثلا فساقت من صفات التنزيه ومن صفات التجسيم والتشبيه ولم تشر إلى أن أحدهما أصل يُرجَع إليه والثانى فرع يحمل عليه .

فلو أرجعنا أحد النوعين إلى الآخر لكان ترجيحا بلا مرجح فى رأى التوراة وكان تحكيما للعقل ـ لِحُكمٍ لم تُحَكِّمه التوراة ـ .

(جـ) سيطرت على أسفار التوراة ماديةٌ كثيفة جافة فلم تتحدث عن الغيبيات والروحانيات حتى نفهم من روحها أنها تريد المعانى فتكلمت عن :

١ ـ الروح كلاما ماديا بسيطا وقالت أنها هى نفس الدم ـ لاويين ص ١٣ : ١١ ، ١٤ .

٢ ـ الملائكة لم تصفهم التوراة ولم تتحدث عنهم وعما يقومون به . جاء فى كتاب دين إسرائيل ص ١٧٥ والمهم أنه فى العصور القديمة اليهودية لم تلعب الأرواح فى التفكير أو الشعور اليهودى دورا خطيرا ولذلك ظهر لهم (يَهْوه) أكثر من مرة لتبليغ الرسالة وليقودهم وليريحهم وليخلصهم ولم يكن هناك خطر فاصل بين يهوه وملاكه .

٣ ـ الآخرة والأجزية الأدبية وتقدم الكلام عليهما وأنهما لا وجود لهما فى التوراة .

٤ ـ الشعائر : تأخذ الشكليات أوسع مكان فى أسفار التوراة فأسهبت فى وصف المعبد وأقسامه ومذبح القرابين والمائدة والمنارة ومذبح البخور وقدس الأقداس والكهنة وثيابهم والقرابين وأوصافها والأعياد وأوقاتها وبعض التعاليم الصحية وتغالت فى فهمها كثيرا فاهتمت بالمظاهر الخارجية المادية ولم تهتم بالأمور المعنوية كتهذيب النفس وترقيق الحس وشملت جميع الأسفار ماديةٌ قاحلةٌ ماحلة وحسيةٌ واضحة ماثلةٌ مما يؤيد أن الفكرة الروحية التى هى غاية كل كتاب سماوى صحيح لم تكن معروفة تماما لهذه الأسفار .

ولهذا فَهِمتْ الألهة وفَهَّمَتْهُ بصورة إنسانية وجعلته يباشر مُهمته بنفسه فكلمهم بلا واسطة وأسمعهم صوته وأراهم صورته وعاينوا شبهه وسار أمامهم وتمثل لهم فى جميع المظاهر فى الرعد والبرق والنار والسحاب والملاك والإنسان .

وفى تعليل هذه الشكليات يقول صاحب كتاب دين إسرائيل ص ١٨ : أن هذا ناشئ من أن السامريين الأقدمين كانوا يعتقدون أن الطبيعة ملأى بقوى قادرة على البطش بالإنسان عند غضبها فالتزم الأدب حيالها باتخاذ

الطقوس والشكليات فى عبادته لها مما يؤيد أن الديانة اليهودية موروثة اهـ .

وهنا نقول : أن القرآن الكريم تمثلت فى جميع سوره وآياته رُوحانية سامية ومعنوية عالية فتكلم عن :

١ ـ عالم الغيب وجعل الإيمان به جزءا من العقيدة الإسلامية فقال تعالى : « ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب » وأسند علم الروح إلى الله تعالى وجعلها لغزا يقصر دونه علم الإنسان . قال تعالى : « ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » .

٢ ـ وتكلم عن الملائكة وموقفهم بالنسبة له تعالى وبالنسبة لعباده أجمالا فقال تعالى : « بل عباد مكرمون لايسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون يعلم مابين أيديهم وماخلفهم ولايشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون » وأنهم رقباء على الناس : « مايلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد » .

وجعل الإيمان بهم من العقيدة الإسلامية « ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة » « آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته » .

٣ ـ وحَدَّث عن اليوم الآخر ومافيه من أجزية مادية وأدبية حديثا مطنباً مسهبا وأنه « يوم تجد كل نفس ماعملت من خير محضرا وماعملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا » وأن « من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » ، « كل نفس بما كسبت رهينة » ، « لاتزر وازرة وزر أخرى » ، « وأن ليس للإنسان إلا ماسعى » .

٤ ـ وتكلم عن المعنويات الأدبية من خير وحق وجمال فى الدنيا والآخرة وليس فيه شكليات ولارسميات ولاتقاليد ولاتفاضل إلا بالتقوى « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » وفى الحديث « إن الله لاينظر إلى صوركم ولا إلى أجسادكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم » ، « رب أشعث أغبر ذى طمرين لايؤبه له لو أقسم على الله لأبره » « أو كما قال » .

ومادية التوراة هذه تجعلنا نفهم من نصوصها ظواهرها لا ما وراء هذه النصوص .

(د) على أننا لو أولنا تلك النصوص لكانت جميع النصوص الخاصة بالتأليه فى التوراة مؤوَّلَة ولم يكن ظاهرها مرادا وليس للحقيقة فيها ظل البتة ويكون المقصود منها المعانى الثانوية المجازية المختصة بالبلاغة لا المعانى الأولية الحقيقية .

وفهم تلك المعانى الثانوية يستلزم درجة فكرية خاصة تؤهل للانتقال من الحقيقة إلى المجاز وأدراك وجه الشبه بين المعنى المشبه به والمعنى المشبه وهذا تعقيد فى المعانى لاتسمح به حياة اليهود الواقعية التى تصفها أسفارهم فما بالنا بحياتهم التى كانت عند نزول التوراة على موسى عليه السلام هذا فضلا عما فى التأويل من تعطيل النصوص عن ظواهرها .

(هـ) وهناك نصوص قطعية الدلالة على المعنى الحقيقى لايمكن تأويلها لأنها تضع الحقيقة فى حدود زمانية ومكانية وتحيطها بأمور مادية كما جاء مثلا فى سفر الخروج ص ٢٤ : ٩ ـ ثم صعد موسى وهرون وناداب وأبيهو وسبعون من شيوخ بنى إسرائيل ورأوا إله إسرائيل وتحت رجليه شبه صنعة من العقيق الأزرق الشفاف وكذات السماء فى النقاوة ١١ ولكنه لم يمد يده إلى أشراف بنى إسرائيل فرأوا الله وأكلوا وشربوا وكان ذلك فى الصباح الباكر على جبل سيناء .

فى هذه العبارة نجد القرائن مؤيدة لإرادة المعنى الحقيقى مانعة من أرادة المعنى المجازى لأن بنى إسرائيل دُعُوا إلى هذه المقابلة واستعدوا لها ثلاثة أيام وذهبوا تلبية للدعوة الموجهة إليهم من إلههم إلى جبل سيناء فى الميعاد المحدد فرأوا إله إسرائيل وتحت رجليه شبه صنعة من العقيق الأزرق الشفاف ولكنه لم يمد يده إلى أشرافهم . فهذا تجسيم وتشبيه واضحان لايحتملان التأويل وأمثال هذه العبارة كثير .

وليس فى القرآن الكريم مالايمكن تخريجه على قوانين اللغة العربية تخريجا صحيحا فى حدود العقل المتزن والفكر الرشيد وفى حدود مارسمه لنفسه من قانون .

والنتيجة من كل ماتقدم أننا سنسير فى فهم التوراة بدون تكلف أو تعسف وسنورد حقائقها مكشوفة عن كل غطاء مجردة من كل طلاء فى الحدود التى رسمتها التوراة لنفسها .

وماتَشْتَبِكُ فيه مع القرآن سنفهم كما رسمه القرآن فى الحدود التى أسلفناها .

الفصـــل الثـــانى

اســم إلــه التــوراة

من يطلع على التوراة يجد فيها بخصوص اسم إلِهها ثلاثة أسماء وهى على الترتيب الذكرى فيها :

١ ـ لفظ الجلالة ـ الله ـ وهذا الاسم الكريم تردد فى سفر التكوين خاصة فى أوله بصفة واضحة وماعدا هذا السفر فقد ورد فيه بقلة وربما يمر السفر ولايذكر فيه هذا الاسم الكريم .

وهذا الاسم هو المقصود ـ بألُوه ـ الذى جَمْعه فى العبرية « ألوهيم » .

وتكرر هذا الاسم فى جميع الأسفار مائتين وخمسين وتسع مرات . ويلاحظ أنه لم يأت فى الأصل العبرى بصيغة المفرد بل ورد فيها بصيغة الجمع « ألوهيم » وعبر عنه المترجمون للتوراة بالمفرد « إلوه » = « الله » وقال أن الجمع مراد به المفرد وليس لهم دليل على أرادة هذا المعنى المفرد من الجمع وقالوا ذلك خوفا من القول بأن التوراة معددة لا موحِّدَةٌ .

٢ ـ أَهْيَهْ : ومعناه العربى أَكُون وتكرر فى فقرة واحدة ثلاث مرات فى سفر الخروج ص ٣ : ١٤ حينما استفهم موسىٰ من الله عز وجل عن الأجابة عما لو سئل عن اسم من أرسله فقال الله لموسى « أهيه الذى أهيه » « أكون الذى أكون » وقال : هكذا تقول لبنى إسرائيل أهيه أرسلنى إليكم » .

ولم يجر له ذكر قبل ذلك ولا بعده فلم يعرفه أحد فى أسفار التوراة الخمسة غير موسى .

ونلحظ أن هذه الأجابة عن غير المسئول عنه لأنه أنما سأله عن اسمه فأجابه « بأنه يكون الذى يكون » ولم يعرفه باسمه كما طلب لأن الأجابة بهذه الجملة غير مفيدة تعيينا أنما أفادت الأبهام والتعمية .

٣ ـ يهوه : يسترعى انتباه قارئ التوراة اسم ـ يهوه ـ وأول مايقع ذكره فى سفر التكوين ص ٤٢ : ١٤ عندما امتحن الله إبراهيم عليه السلام بذبح ولده .

أقول عندما أراد الله تعالى أن يبطل العادات الوثنية الوحشية وهى تقديم الضحايا البشرية قربانا للأصنام .

عند ذلك دعا إبراهيم اسم المكان الذى افتدى فيه الذبيح « يهوه يرأه » « أى الرب يَرَى » .

ويقولون أن يهوه اسم علم للإله الحقيق فى العبرية ـ وفى العربية معناه يكون ـ ثم بعد ذلك لايذكر بلفظه إلا فى سفر الخروج ص ٣ : ١٥ حينما ظهر لموسىٰ فى العليقة المتقدة وقال له : تقول لبنى إسرائيل يهوه إله آبائكم إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب أرسلنى إليكم هذا اسمى إلى الأبد وهذا ذكرى إلى دور فدور .

وفى غير هذين الموضعين عرف بلفظ الرب وتكرر كثيرا جدا تحت هذا اللفظ فى بقية الأسفار الخمسة حتى بلغ ألفا وسبعمائة وخمسة عشر مرة .

ويقول المؤرخون : أن المعلومات التاريخية تحتمل معرفة هذا اللفظ فى بابل حوالى سنة ٢٠٠٠ ق م أى قبل موسى بسبعمائة سنة تقريبا حيث وجد مكونا مقطعا فى بعض الأسماء البابلية .

وأيضا عرف لفظ يهوه فى شمال جزيرة العرب اسما لإله بعض القبائل وكان يعطى عابديه كل شىء خارق للعادة ويسيطر على وظائف الحياة من : إخصاب وأنتاج وأنسال شأن جميع آلهة الساميين .

وكان يهوه هذا يظهر فى السحاب والرعد والبرق أى فى القُوى الطبيعية التى كانت تنسبها القبائل السامية إلى آلهتها لأن هذه القبائل كانت تعيش فى مناطق جبلية بركانية ذات أمطار وصواعق ورياح ورعود وبروق .

ولما قويت تلك القبائل وصارت تَشُنُّ الغارة على جاراتها نسبت إلى يهوه صفة الحرب وسموه إله المعارك كما سماه العبرانيون رجل الحرب سفر الخروج ص ١٥ : ٣ : الرب (يهوه) رجل الحرب .

وكان أيضا إله الزراعة ومما يؤكد أن ديانة يهوه مبنية على أسس زراعية هو تحويل الأعياد إلى أعياد زراعية فمثلا عيد الفصح تُقَدَّمُ فيه القرابين من أبكار الفاكهة . وكذلك عيد الحصاد . وعيد البلح الذى كان فى الصحراء أصبح عيد العنب لما استقروا فى فلسطين .

وهكذا تطورت عبادة يهوه نظراً لتطور حال هذه القبائل من حياة الرحلة والتنقل إلى حياة الاستقرار الزراعى .

ويظن بعض العلماء أن يهوه دخل ديانة اليهود من كنعانى مَدْيَن بدليل :

١ ـ أن موسى لم يعرفه إلا على جبل حوريب «كما تقول التوراة الحالية » وكان قديما فى الشرق أدخال اسم جديد معناه ـ أدخال معبود جديد ـ .

٢ ـ بعد الخروج من مصر والوصول إلى سينا كان يثرون حمو موسى وكاهن مدين هو أول من قدم القُربان ليهوه وشاركه العبرانيون خروج ص ١٨ : ١٢ ثم خاطبه موسى وهرون بحضور شيوخ إسرائيل خروج ص ٢٤ : ٩ ـ ١١ .

وإذاً فيهوه كان إلها قبليا لكنعانى مدين قبل أن يتصل به الإسرائيليون الخارجون من مصر بواسطة موسى عليه السلام[1] .

---

(١) دين إسرائيل ص ٤٣ ـ ٦٢ .

وقال بعض المؤرخين أنه حجر ـ صنم ـ حمله الإسرائيليون معهم من مصر حينما خرجوا منها[1]

وألاحظ على هذه الأسماء مايأتى :

أولاً ـ أنها لم ترد على مسمى واحد لأن ألوهيم ، هم ـ أو هُوَ ـ خالقوـ أو خالق ـ السموات والأرض والحيوان والنبات .

وأهيه هو الذى ظهر لموسى عليه السلام وكلفه بأنقاذ قومه .

ويهوه أول ماظهر لموسى بعد ماتردد اسمه على لسان إبراهيم عليه السلام وموسى هو الذى أشاع ذكره .

ثانياً ـ ويلزم مما تقدم أنها تدل على التعدد ولعل هذه الأسماء تدل على آلهة قبائل مختلفة حيث كان لكل قبيلة من قبائل الإسرائيليين إله جاء فى كتاب ـ دين إسرائيل ـ ص ٤٣ وبين هذه القبائل « قبائل ليئة وقبائل راحيل فروق جوهرية وخاصة فى الدين بدليل اختلاف أسماء الآلهة فبعضهم يسميه يهوه والآخر يسميه ألوهيم » .

ثم قال فى ص ٥٢ وبما أن اليهود قوم ساميون فآلهتهم مماثلة لآلهة الساميين وهى آلهة الصحراء والواحات ومن المحتمل أن تكون كل قبيلة منفردة بإله . ويؤيدنا فى ذلك وجود أسماء آلهة تخص كل قبيلة فمثلا قبيلة أشير لها آلهتها عشتروت وقبيلة جادا آلهتها جادا اهـ .

ثالثاً ـ هذا التعدد ينافى التوحيد الذى جاء فى بعض أسفار التوراة تثنية ص ٤ : ٣٥ الرب هو الإله ليس آخر سواه .

رابعاً ـ وليس فى القرآن الكريم إلا اسم واحد لله تعالى هو لفظ الجلالة الكريم ـ الله ـ وهو الإسم الجامع لكل صفات الجلال والجمال ولايختص بصفة بعينها وليس كباقى الأسماء من الرحمن والرحيم مثلا لأنها فى الواقع صفات لأن فى كل اسم منها معنى خاص يشير إليه .

أما لفظ الجلالة فهو يشير إلى الذات التى جمعت كل تلك الصفات وأطلاق الأسماء على تلك الصفات فيه توسع .

خامساً ـ أسماء الله توقيفية ولا يجوز أطلاق اسم عليه تعالى إلا بخبر من المعصوم ومادامت التوراة لاتنسب إلى معصوم فلا يطلق عليه تعالى اسم من هذه الأسماء إلا أن دَلَّ على ثناء أو تنزيه قال تعالى : « ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون فى أسمائه » .

---

(١) تاريخ الملل والنحل للخولى ج ٢ .

الفصل الثالث

التنزيه فى التوراة

ورد فى التوراة بعض صفات يرتضيها العقل ويقرها المنطق ونحن نوردها فيما يلى :

١ ـ سفر التكوين ص ١ ، ٢ ، ٣ جاء فيها أن الله خلق السموات والأرض ومابينهما والحياة والإنسان والنبات وأنه عالم وعارف[١] الخير والشر وص ٤ أنه العلى مالك السموات والأرض وص ١٥ أنه السيد الرب القدير الذى لايستحيل عليه شيء وص ١٨ أنه ديان كل الأرض وأنه المولى وص ١٩ ، ١٦ صاحب الشفقة وص ٢٠ أنه الرب الإله السرمدى وص ٢٢ أنه إله السماء والأرض وإله إبراهيم .

٢ ـ الخروج ص ٣ أنه إله آبائكم إله إبراهيم وإله اسحق وإله يعقوب وإله العبرانيين[٢] وص ٨ : ١٠ ليس مثل الرب وص ٩ : ١٤ ليس مثلى فى كل الأرض . ٢٧ أن الرب هو البار وص ١٥ أن الرب اسمه وأنه متصف بالرأفة والقوة ويمينه معتزة بالقدرة ويحطم العدو وبكثرة عظمته يهدم معاديه وهو معتز فى القداسة ومخوف بالتسابيح وأنه صانع للعجائب وأنه يملك إلى الدهر والأبد . ص ١٨ أنه أعظم من جميع الآلهة[٣] . وص ٢٠ أنه إله غيور وص ٢٢ أنه رءوف سميع يصنع الأحسان إلى محبيه وحافظى وصاياه وص ٣٤ أنه رحيم رءوف بطىء الغضب كثير الأحسان والوفاء حافظ الأحسان إلى ألوف غافر الأثم والمعصية والخطيئة .

٣ ـ لاويين ص ١١ أن اسمه القدوس وهو مقدسهم .

٤ ـ العدد أنه إله أرواح جميع البشر وص ٢٣ : ١٩ ليس الله أنسانا فيكذب ولا ابن أنسان فيندم هو يقول ولا يفعل أو يتكلم ولايفى ؟ .

٥ ـ التثنية ص ٢٣ أن له العظمة وليس هناك أى إله فى السماء وعلى الأرض يعمل كعمله وجبروته وليس هناك شعب عظيم له آلهة قوية منه كالرب إلهنا فى كل أدعيتنا أليه[٤] وص ٤ : ٢٤ أنه قريب ممن دعاه بأخلاص أن طلبت الرب إلهك تجده إذا التمسته بكل قلبك وبكل نفسك عندما ضُيِّق عليك ٣١ وأنه الإله ليس آخر سواه ٣٩ هو الله فى السماء من فوق وعلى الأرض[٥] من أسفل ليس سواه وص ٧ : ٩ هو الإله الأمين الحافظ العهد والأحسان للذين يحبونه ويحفظون وصاياه إله ألف جيل والمجازى الذين يبغضونه بوجوههم لكى يهلكهم لايمهل من يبغضه بوجهه يجازيه ١٢ يحفظ لك الرب إلهك العهد والأحسان اللذين أَقْسَمَ لآبائك ويحبك

---

(١) أطلاق المعرفة عليه تعالى لا يجوز لأنه تستلزم سبق الجهل وهو محال عليه تعالى .

(٢) تشعر بالتعدد .

(٣) تشعر بالتعدد .

(٤) تشعر باحتواء الزمان والمكان له تعالى .

(٥) تشعر باحتواء الزمان والمكان عليه .

ويباركك ويُكثِّرك ويبارك ثمرة بطنك وثمرة أرضك ويرد [illegible] وص ٢١ هو إله عظيم مخوف ص ٢٠ : ١٤ له السموات وسماء السموات والأرض وكل ما فيها [illegible] الإله العظيم الجبار المهيب الذى لا يأخذ بالوجوه ولا يقبل رشوة ١٨ الصانع حق اليتيم والأرملة والمحب [illegible] هو فخرك وإلهك الذى صنع معك تلك العظائم وص ٢٩ : ٢٩ له السرائر وص ٣ : ٢٠ هو حياتك والذى [illegible] أيامك ، ص [illegible] : ٤ هو الكامل صنيعه وجميع سبله عدل إله أمانة لاجور فيه صِدِّيقٌ وعادل اقتاد [illegible] وليس معه إله أجنبي[1] له النقمة والجزاء فى يوم تذل فيه أقدامهم أن يوم هلاكهم ـ اليهود ـ قريب [illegible] لهم مسرعة ٣٩ هو وحده وليس معه إله هو يحي ويميت ويسحق ويَشْفِي وليس من يديه مخلص هو حيٌّ إله الأبد ويرد نقمته على أضداده ويجازى مبغضيه وص ٢٨ اسمه الجليل المرهوب وص ٣٣ : ٢٦ ليس مثل الله يايشورون يركب السماء والغمام فى عظمة وهو قديم وملجأ .

هذا كل مافى التوراة ـ الأسفار الخمسة الأولى ـ من تقديس وتمجيد لله تعالى وماعدا ذلك فأنه يتصل بهذه الصفات من قرب أو بعد .

وموقف القرآن من صفات التنزيه أنه يقرها ويؤيدها ويدعو إليها . ولعل هذه الصفات التنزيهية التى فى التوراة بقية باقية من آثار التوراة الصحيحة التى نزلت على موسى عليه السلام .

الفصل الرابع

التجسيم والتشبيه فى التوراة

بينما يجد الباحث فى التوراة بعض صفات التنزيه والجلال إذ يجد بجانب ذلك كثرة من صفات التجسيم والتشبيه بصفة قوية واضحة ومايتصل بهما من اشتمال الزمان والمكان عليه تعالى وحلوله فى السحاب وتمثله بصورة إنسان أو ملاك يجيء ويذهب ويقضى ويمشى وينتقل ويتحرك وغير ذلك .

وكأن التوراة الحالية فهمت التأليه بصفة ساذجة إنسانية بسيطة فأجرت عليه مايجرى على الإنسان من أعضاء ظاهرة وباطنة وانفعالات نفسية وجعلته يتصل بهم ـ اليهود ـ مباشرة فرأوه وسمعوا كلامه وسار أمامهم مما كان له أثره فى نفوسهم جعلهم يضعون الألوهية فى وضع شاذ لايناسب مايجب له تعالى من تقديس وأجلال ـ وأجرأ الناس على الأسد أكثرهم له رؤية ـ .

وجاء فى التوراة صورتان للتشبيه والتجسيم :

١ ـ عامة مجملة حسية ومعنوية .

٢ ـ شاملة مفصَّلة حسية ومعنوية كذلك .

ونتكلم على كل واحدة بخصوصها فنقول :

---

(١) تشعر بالتعدد .

الصورة الظاهرية المجملة

١ ـ ص ١ : ٢٦ وقال الله ـ تعالى الله ـ نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا ٢٧ فخلق الله الإنسان على صورته على صورة الله خلقه .

٢ ـ ص ٥ : ١ هذا كتاب مواليد آدم يوم خلق الله الإنسان على شبه الله عمله ذكرا وأنثى .

٣ ـ ص ٩ : ٦ سافك دم الإنسان بالإنسان يُسْفَك لأن الله على صورته عمل الإنسان .

ونحن نقول :

أولاً ـ هذه النصوص تدل صراحة دلالة حقيقية على أن الإنسان شبيه بإله التوراة .

ثانياً : لايمكن تأويلها نظرا للتأكيدات الدالة على أرادة المعنى الحقيقى من أسناد الخلق إليه تعالى ومن قوله شبهنا بعد قوله على صورتنا فلو لم يقل كشبهنا لكان للتأويل شىء من الاحتمال ويظهر التأكيد كذلك فى قوله على صورة الله خلقه وفى قوله على شبه الله أمره لأن قوله على شبه الله يُفيد أن لله شَبَهاً ـ تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ـ .

ثالثاً ـ حاول مفسرو اليهود المحدثون أن يصرفوا هذه العبارات عن معانيها الواضحة المرادة منها إلى معان بعيدة عنها فتكلفوا ولم ينالوا من أصابة نيلا فمثلا جاء فى كتاب ـ تفسير التوراة ـ تأليف مراد فرج جـ ١ ص ٨٦ : ضمير المتكلم فى قوله نعمل راجع إلى الملائكة فالخطاب على لسانهم وكذلك الضمير فى قوله كشبهنا . وجاء فى ص ٩٢ عند تفسير قوله فخلق الله الإنسان على صورته على صورة الله خلقه الأضافة هنا لله ولكن المعنى هنا للملائكة .

وألا خط على هذا التفسير :

أولاً ـ التوراة الحالية لم يرد فيها ذكر للملائكة إلى آخر هذه الأصحاحات الوارد فيها ذكر التشبيه فكيف يعود الضمير على غير المذكور ؟.

ثانياً ـ االتوراة الحالية لم تلعب فيها الأرواح وخاصة الملائكة دورا هاما ولم يوجد خط فاصل بين يهوه وملاكه .

ثالثاً ـ فيه مخالفة للقاعدة التى تقول إن الضمير يعود على أقرب مذكور وهنا لا ذكر للملائكة وأقرب مذكور لفظ الجلالة فيعود الضمير عليه .

والنتيجة من هذا هى أن إله التوراة يشبه الإنسان فى الصورة الظاهرة منذ يوم خُلق ولا دخل لآدم فى إيجاد هذه الصورة .

الصــورة المعنوية المجملة

سفر التكوين :

١ ـ ص ٣ : ٥ : الله عالم أنه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر .

٢ ـ ص ٣ : ٢٢ : وقال الرب الإله : هو ذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفا الخير والشر .

ونقول :

أولاً ـ هذان النصان يفيدان أن الله علم أنه يوم يأكل آدم وحواء من الشجرة المنهى عنها تنفتح أعينهما العقلية

والفكرية ويكونان كالله ومثله عارفين الخير والشر . ثم تحقق هذا العلم فعلا بعد الأكل من الشجرة ولذلك قال أحد آلهة التوراة : هو ذا الإنسان بعد أكله من الشجرة قد صار وتحول وأصبح كواحد من أعضاء مجمع الآلهة . يعرف الخير والشر وتحقق لآدم وحواء هذا الوصف بكسبهما وسعيهما ـ أكلهما من الشجرة ـ

٣ ـ أنهما ارتقيا إلى هذه المنزلة بمعصيتهما وكانت الرذيلة سببا فى [illegible] الفضيلة .

وبطلان هذه المزاعم واضح حيث عقدت هذه المشابهة بين الخالق والمخلوق ونوضحه فيما يلى :

١ ـ وقد أوجب العقل تفرد الخالق وتوحده فى ذاته وصفاته وأفعاله ومقتضى ذلك أن لايشبه تعالى أحد من خلقه فى شىء مّا مطلقا والا لزم مساواة الناقص للكامل وهو محال وباطل بديهة .

٢ ـ لوكان له تعالى شبيه فى ذات أو فى صفات أو فى أفعال لكان ذلك الشبيه مماثلا له تعالى وكان إلها مثله ولم يكن حادثا مخلوقا ـ مع أنه أى آدم مخلوق ـ .

٣ ـ يلزم أيضا من هذا التشبيه تركب ذات البارى من أجزاء ويكون وجود ذاته تعالى محتاجا إلى وجود أجزائه لأنها مادته التى يتركب منها ولايتحقق بدونها . وكونه تعالى محتاجا فى وجود ذاته إلى غيره سواء كان ذلك الغير مؤثرا أو مادة باطل لأنه تعالى واجب الوجود لذاته بالبرهان العقلى فثبت أنه تعالى ليس مركبا من أجزاء ويلزمه أن لايشبهه تعالى غيره وإذاً بطل ماتقوله التوراة : من وجود شبه لله تعالى فى الذات .

٤ ـ وليس لغيره تعالى صفة تشبه صفته تعالى لأن الصفة تابعة لمرتبة الموصوف . ووجوده تعالى واجب . ووجود غيره جائز فلا يمكن أن تكون صفة غيره تشبه صفته تعالى . وإذاً بطل مافى التوراة من وجود الشبه المعنوى والظاهرى بين الخالق والمخلوق .

٥ ـ هذا يناقض ماجاء فى التوراة من أنه : ليس مثل الله .

٦ ـ تحير اليهود فى هذا التناقض وتقدم تأويلهم فى الصورة الظاهرية وهنا فى الصورة المعنوية يقول مراد فرج فى كتابه تفسير التوراة جـ ١ ص ١٨٢ : ليست الكلمة ـ الله ـ هنا بمعنى اسم الجلالة كما فى الترجمة .

ويريد أن يخطىء الترجمة ليخلص إلى المعنى الذى يريده ولكن أنى له ذلك .

٧ ـ هذا فضلا عما تفيده الفقرة التى من التكوين ص ٣ : ٢٢ : هو ذا الإنسان قد صار كواحد منا . من التعدد الذى لايحتمل التأويل .

٨ ـ هذه النصوص المتقدمة هى أساس التشبيه والتجسيم فى التوراة وماعدا ذلك فهو تفصيل لهذا التشبيه الظاهرى والمعنوى .

٩ ـ هذا التشبيه والتجسيم مظهر من مظاهر التعدد ينافى التوحيد .

١٠ ـ وليس فى القرآن الكريم مايماثل ماجاء فى هذه النصوص التوراتية بل فيه مايخالفها مخالفة تامة واضحة قال تعالى : « ليس كمثله شىء » وقال تعالى : « قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفوا أحد » .

الفصل الخامس

التشبه الظاهرى المفصل

بعد هذا التشبيه المجمل نجد له تفصيلا مطولا بحيث تتم بجميع الأجزاء صورة كاملة للإنسان .

١ ـ الوجه

تكرر فى جميع أسفار التوراة إسناد الوجه إليه تعالى وسنكتفى بإيراد شواهد من كل سفر فيما يلى :

التكوين :

١ ـ ص ٣ : ٨ : فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الإله . تقول التوراة : إن آدم وحواء حينما سمعا الرب الإله ماشيا فى الجنة ـ فى شرق عدن ـ فرا من أمامه زاعمين أنهما يختبئان من وجه الرب حياء منه لأنهما أكلا من الشجرة .

وهنا يتجلى أن آدم لما أكل من الشجرة لم يعرف الخير عكس ماتقول التوراة من أنه صار عارفا الخير والشر بعد الأكل من الشجرة إذ من الخير أن يعرف مايجب لله فلا يفر منه لأن فراره لاينجيه ولأن اختفاءه لايخفيه .

والوجه هنا على حقيقته لأنهما سمعا صوت الله ماشيا فى الجنة فالصوت والمشى يدلان على التشبيه وكذلك الوجه .

٢ ـ ص ٤ : ١٤ : ومن وجهك أختفى .

لما قتل قايين هابيل كلم الله قايين ولعنه وقال قايين له تعالى : قد طردتنى اليوم عن وجه الأرض ومن وجهك أختفى وأكون تائها وهاربا فى الأرض .

فقايين فهم أن فراره مبعده عن وجه الرب ولم تخطئه التوراة فى فهمه فدل على أن الاختفاء من الوجه حقيقى .

٣ ـ ص ٣٢ : ٣٠ : فدعا يعقوب اسم المكان الذى وقعت فيه المصارعة فنيئيل ـ وجه الله ـ قائلا : لأنى نظرت الله وجها لوجه .

هذه الفقرة لا تأويل فيها مع ما جاءت به من ظهور إله التوراة فى صورة إنسان صرعه يعقوب وغلبه فكافأ يعقوب بخلع حُق فخذه وسماه إسرائيل يعقوب لأنه أَسَرَ وغلب الله القادر ـ لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت .

٤ ـ ص ٣٣ : ١٠ فقال يعقوب لأخيه ـ عيصو ـ رأيت وجهك كما يُرَى وجه الله .

قيل هذا الكلام عقب مصارعة إله التوراة ليعقوب فكأنه يقول : رأيت وجهك كما يرى وجه الله تعالى وقد سبق له أنه رآه وصارعه فالوجه حقيقى .

وهذا كلام لايصدر عن نبي يعلم مايجب لله تعالى من كل كمال وما يستحيل عليه من كل نقص .

وهل تساوى لديه على فرض التجوز اللذة الروحية المترتبة على الاتصال به تعالى والآمال والرضا باللذة المترتبة على رؤية رجل من بنى الإنسان أيا كانت منزلته وصلته ؟ كلا .

وتلك مبالغة ممقوتة رفع فيها الوضيع واتضع فيها الرفيع ينبو عنها الذوق وينفر منها الوجدان ولا يرضاه العقل السليم .

ولعل هذه خديعة ثانية من يعقوب التوراة كما وقع منه أولا فانتزع البكورية والنبوة بمكره تكوين ص ٢٧ : ٣٥ من أخيه عيصو هذا بطبق من عدس .

سفر الخروج :

١ ـ ص ٣٣ : ١١ ويكلم الرب موسى وجها لوجه كما يكلم الرجل صاحبه .

هيهات أن يكون ذلك من كلام موسى ـ عليه السلام ـ وهو كليم الله تعالى ومصطفاه يعلم مايليق بالله تعالى فلا يصدر عنه ماينافى التعظيم والأجلال فلا يقول وجها لوجه كما يكلم الرجل صاحبه فى صورة هذا التأكيد الذى لامجال لحمله على غير الحقيقة .

٢ ـ ص ٣٣ : ١٣ يقول موسى لله فعلمنى طريقك حتى أعرفك لكى أجد نعمة فى عينيك وأنظر أن هذه الأمة شعبك ١٤ فقال ـ الله ـ وجهى يسير فأريحك .

فجعل الله سير وجهه علامة رضاه عن موسى لأراحته . وهذه الفقرة تثبت حقيقة الوجه وإن لم يثبت حقيقة الوجه ويكون المراد من الوجه الذات فهى تثبت التحرك والانتقال ويكون المعنى ذاتى تسير أمامك فأريحك والتحرك والانتقال من خواص الأجسام والله تعالى ليس بجسم وتثبت التشبيه أيضاً .

وسيأتى أنه سار أمامهم فى السحاب وعمود النار ولم يستقر به النوى ... الخ الأسفار الخمسة .

٣ ـ ص ٣٣ : ١٥ فقال موسى ـ لله تعالى ـ أن لم يسر وجهك فلا تصعدنا من هاهنا .

فى هذه الفقرة يقترح موسى التوراة على إله التوراة أنه لا يصعده أن لم يسر وجهه أمامه .

سفر التثنية :

١ ـ ص ٥ : ٤ وجها لوجه تكلم الرب معنا فى الجبل من وسط النار .
٢ ـ ص ٣٤ : ١٠ موسى الذى عرفه الرب وجها لوجه[١]

وهذه تأكيدات على أرادة المعنى الحقيقى من لفظ الوجه .

وقد ورد فى القرآن الكريم أسناد الوجه إليه تعالى : كل شىء هالك إلا وجهه . ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام .

وقد سبق أننا قلنا : للقرآن تناول خاص على حسب مارسمه لنفسه فى حدود العقل واللغة العربية والنصوص المحكمة .

---

(١) فى سفر العدد ذكر الوجه فى ص ٦ : ٢٥ ، ٢٦ والتثنية ص ٣١ : ١٧ ، ١٨ ، ص ٣٢ : ٢٠ .

وعلى هذا يكون لفظ الوجه من المتشابه الذى يرجع فيه إلى المحكم الذى أيده العقل واللغة والمحكم هو أنه ليس كمثله شىء ولم يكن له كفوا أحد . الذى أيده العقل الذى يوجب تنزيهه تعالى عن صفات المحدثين وأنه ليس لغيره ذات لا [illegible] تشبه ذاته تعالى أو صفته [illegible] التراكيب العربية فيها كثير مثل هذه العبارة فإنهم يقولون فلان وجه القوم أى رئيسهم فأريد من الوجه الذات التى لها ولاية ورئاسة .

ولم ترد فى القرآن تلك التوكيدات التوراتية ـ وجها لوجه ـ كما يكلم الرجل صاحبه : وجها لوجه تكلم الرب معنا من وسط النار والذى ورد فى القرآن جاء فى لباقة لاتضيق منفذ التوجيه على رأى صحيح .

ولم يرد فى القرآن بكثرة كما ورد فى التوراة حوالى العشرين مرة فى حين أنه ورد فى القرآن مرتين .

وإذاً فهناك مفارقات بين تناول التوراة وتناول القرآن .

٢ ـ العينـان

تكرر أسناد العينين لله تعالى فى أسفار التوراة الخمسة :

التكوين :

١ ـ ص ١٩ : ١٩ عبدك قد وجد نعمة فى عينيك .

٢ ـ ص ٣٨ : ٧ ، ١٠ وكان عير بكر يهوذا شريرا فى عينى الرب ١٠ فقبح فى عينى الرب .

٣ ـ ص ٦ : ٨ وأما نوح فوجد نعمة فى عينى الرب .

سفر الخروج :

١ ـ ص ٣٣ : ١٣ أن كنتُ قد وجدتُ نعمة فى عينيك ١٦ وجدتُ نعمة فى عينيك ١٧ وجدتُ نعمة فى عينى .

وقد ورد أسناد العينين له فى بقية الأسفار[1] .

وهذا الأسناد يمكن تأويله غير أنه ورد أسناد لازم العينين له تعالى وهى الرؤيا البصرية الحسية .

التكوين :

١ ـ ص ١ : ١ ـ ٢٩ ورأى الله النور أنه حسن ثم بعد مافرغ من الخلق ٢٩ رأى الله كل ماعمله فإذا هو حسن .

٢ ـ ص ٦ : ٥ ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر فى الأرض ١٠ ورأى الله الأرض فإذا هى قد فسدت .

٣ ـ ص ٩ : ١٦ فمتى كانت القوس فى السحاب أُبْصِرُها لأذكر ميثاقا أبديا .

الخروج :

١ ـ ص ١٢ : ٢٣ فأن الرب يجتاز بضرب المصريين فحين يرى الدم على العتبة العليا والقائمتين يعبر الرب عن الباب .

فنرى أنها نسبت إليه العينين على طريقة التشبيه ليتم الشبه بالإنسان وجعلت الرؤية معلقة بأمور محسوسة مادية أقيمت علامة ليتذكر بها خوف النسيان .

وهذا كله لايليق به تعالى لاستلزام التشبيه والتجسيم والجهل عليه تعالى والنسيان ـ تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ـ .

---

(١) اللاويين ص ١٠ : ١١ والعدد ص ١١ : ١١ ، ص ٢٣ : ٢٧ ، ص ٢٤ : ١ والتثنية ص ٤ : ٢٥ ، ص ٦ : ١٨ ، ص ١١ : ١٢ ، ص ١٢ : ٢٨ ، ص ١٣ : ١٨ ، ص ١٧ : ٢ ، ص ٢١ : ٩ .

وما ورد فى القرآن من أسناد العين إليه تعالى أفرادا ـ ولتصنع على عينى ـ [illegible] لوحظ فيه مخالفة المشاهد فى الكائنات والقوانين الإنسانية وعلى كل فمعناه ـ ولتصنع على [illegible] كما يفهم من القانون الإسلامى الذى جاء به القرآن .

٣ ـ الأذنان

العدد ص ١١ : ١٠ وكان الشعب كأنهم يشتكون شرا فى أذنى الرب ١٨ قد بكيتم فى أذنى الرب ٢٨ يقول الرب لأفعلن بكم كما تكلمتم فى أذنى وقد جاء لازمها وهو الأصغاء .

التثنية :

ص : ١ : ٤٥ ولم يسمع الرب لصوتكم ولا أصغى إليكم والسمع المطلق ورد فى التوراة كثيرا[1] .

فنرى أنها نسبت إليه الأذنين والأصغاء والسمع مما يجعل التأويل بعيدا .

ولم يرد فى القرآن الكريم نسبة الأذن إليه تعالى لاحقيقة ولامجازا وكل ماورد فى هذا المعنى أنه تعالى سميع بدون تحديد حاسة للسمع ـ إن الله سميع بصير ـ وهو السميع العليم ـ أى أنه سميع بلا حاسة ولا كيفية ـ ليس كمثله شىء ـ .

٤ ـ الأنف

الخروج :

ص ١٤ : ٨ وبريح أنفك تراكمت المياه .

اللاويين :

ص ٢٦ : ٣١ ولا أشتم رائحة سروركم ـ رائحة السرور تكررت فى سفر اللاويين كثيرا ـ .

فأثبت الأنف ولازمه وهو الشم مما يؤيد الحقيقة وهذا كله يفيد التشبيه والتجسيم وينافى التوحيد .

وليس فى القرآن الكريم ولا فى السنة الصحيحة مايفيد أسناد الأنف إليه تعالى .

٥ ـ التنفس

التكوين :

ص ٨ : ٢١ فتنسم الرب رائحة الرضا ـ أى تنفس ـ .

الخروج :

ص ٣١ : ١٧ فى ستة أيام صنع الرب السماء وفى اليوم السابع استراح وتنفس ـ وعلى ذلك فالتنفس حقيقى لأنه عقب الاستراحة من العمل . وليس فى القرآن الكريم ولا فى السنة الصحيحة شىء من هذا .

---

(١) تكوين ص ٢١ : ١٧ ، ص ٢٩ : ٣٣ . ص ٣٠ : ١٧ ، ٢٢ خروج ص ٢ : ٢٣ ، ص ٣ : ٦ ، ص ١٦ : ٧ ـ ١٢ ، ص ٢٢ : ٢٣ . ٢٧ العدد ص ١١ : ١ ، ص ١٤ : ٢٧ . ٣١ : ٣ والتثنية ص ٥ : ٢٨ . ص ٢٦ : ٧ ص ٣٣ : ٧ .

٦ ـ الفم

ص [illegible] ١٢ ويحفظون الحرس [illegible] علن لهم عن فم الرب

العدد ص ١٢ : ٧ أما عبدى موسى فليس هكذا بل هو أمين فى كل بيتى فماً إلى فمٍ أتكلم معه .

التثنية :

ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل مايخرج من فم الرب يحيا الإنسان .

وهذه النصوص بعيدة التأويل وفيها تشبيه وتجسيم وليس فى القرآن ما يثبت شيئا إليه تعالى من هذا القبيل .

٧ ـ اليـدان

الخروج :

ص ٦ : ٨ وأدخلكم الأرض التى رفعتُ يدى أن أعطيها لإبراهم وإسحاق .

ص ٧ : ٥ فيعرف المصريون أنى أنا الرب حينما أمد يدى على مصر

ص ٩ : ٣ فها يَدُ الرب تكون على مواشيك ١٥ فأنه لو كنت أمد يدى وأضربك وشعبك لكنت تباد من الأرض .

ص ١٣ : ٣ بيد قوية أخرجكم الرب من هنا . ٩ . ١٦ بهذا المعنى .

ص ١٥ : ٧ المكان الذى صنعته يارب لسكنك المقدس الذى هيأته يداك .

ص ٢٤ : ٩ ثم صعد موسى وهرون وناداب وأبيهو وسبعون من شيوخ بنى إسرائيل ١٠ ورأوا إله إسرائيل وتحت رجليه شبه صنعته من العقيق الأزرق الشفاف وكذات السماء فى النقاوة ولكنه لم يمد يده إلى أشراف بنى إسرائيل رأوا الله وأكلوا وشربوا . وفى هذه الفقرة الأخيرة ظهر إله التوراة لبنى إسرائيل فرأوه وتحت رجليه شبه صنعة من العقيق الأزرق الشفاف ولكنه لم يمد يده إلى أشراف بنى إسرائيل وهذا لايليق به تعالى .

وتلك النصوص صريحة فى أرادة المعنى الحقيق .

ص ٣٣ : ٢٢ ويكون متى اجتاز مجدى أنى أصنعك فى نقرة من الصخرة وأسترك بيدى حتى أجتاز ثم أرفع يدى فتنظر ورائى . وفى هذه الفقرة الاجتياز والتحرك والانتقال وأثبات الوراء واليد له تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

التثنية :

ص ٢ : ١٥ ويد الرب كانت عليهم لأبادتهم .

ص ٣ : ٢٤ ياسيدُ الربُّ قد ابتدأت ترى عبدك عظمتك ويدك .

ص ٤ : ٢٤ وهل شرع الله أن يأتى ويأخذ لنفسه شعبا من وسط شعب بتجاريب وآيات وعجائب وحرب ويد شديدة ؟

ص ٥ : ١٥ فأخرجك الرب من هناك بيد شديدة .

ص ٧ : ٨ وأخرجكم الرب بيد شديدة ١٩ التجارب العظيم التى أبصرتها عيناك والآيات والعجائب و[illegible] الشديدة .

ص ٩ : ٢٦ لاتهلك شعبك وميراثك الذى فديته بعظمتك الذى أخرجته من مصر بيد شديدة

ص ١١ : ٢ الرب إلهكم وعظمته ويده الشديدة .

ص ٢٦ : ٧ فأخرجنا الرب من مصر بيد شديدة

ص٣٢ : ٣٩ وليس من يدى مخلص ٤٠ أرفع إلى السماء يدى ٤١ أمسكت بالقضاء يدى .

ص ٣٣ : ٣ جميع قديسيه فى يدك .

لو علقنا على كل فقرة لطال المقال ولكنا نقول : بعض هذه الفقر يمكن فهمه على معنى تنزيهى وهو القدرة مثلا وبعضها لايمكن حمله على غير المعنى الحقيق لوجود قرائن مانعة من أرادة المعنى المجازى . فمثلا الفقرة التى فيها ورأوا إله إسرائيل وتحت رجليه شبه صنعة من العقيق ولكن لم يمد يده . تأويلها بعيد وهى تثبت اليد حقيقة . هذا عدا مافى بعض الفقر من الإتيان والنفس واليد وكلها مظاهر التجسيم والتشبيه والتعدد لأن التجسيم لوثة فى التوحيد .

وما ورد فى القرآن الكريم من نسبة اليد إليه تعالى فمراد به النعمة أو القدرة كما عرف عن اللغة العربية وكما حكم العقل والنقل المحكم .

ولسنا فى حاجة إلى تكرار القول بأن للقرآن الكريم تناوله الخاص كما تقدم .

٨ ـ الذراع

الخروج :

ص ٦ : ٦ وأخلصكم بذراع ممدودة .

ص ١٥ : ١٦ بعظمة ذراعك يصمتون كالحجر .

التثنية :

ص ٤ : ٣٤ وهل شرع الله أن يأتى ويأخذ لنفسه شعبا من وسط شعب بتجاريب وآيات وعجائب وحروب ويد شديدة وذراع رفيعة .

ص ٥ : ١٥ فأخرجك الرب من هناك بيد شديدة وذراع ممدودة .

ص ٧ : ١٩ التجارب العظيمة التى أبصرتها عيناك والآيات والعجائب واليد الشديدة والذراع الرفيعة .

ص ٩ : ٢٩ أخرجته بقوتك العظيمة وبذراعك الرفيعة .

ص ١١ : ٢ الرب إلهكم عظمته ويده الشديدة وذراعه الرفيعة .

ص ٢٦ : ٧ فأخرجنا الرب من مصر بيد شديدة وذراع رفيعة .

وهذه الفقر وأن أمكن تأويلها مع مالم ـ تشر إليه التوراة ـ إلا أن بعض العلماء يرى فيها ناحية من التجسيم والتشبيه بأطلاقها عن التقييد بالأضافة إليه تعالى كما سلك القرآن فى مثل ـ يد الله فوق أيديهم ـ فلم ترد اليد مطلقة من الأضافة إليه تعالى وبذلك اختص بيد خاصة كما كانت ذاته تعالى خاصة به وتنزهت عن جميع الذوات .

[illegible] الوارد فى التوراة فأنه مطلق هنا يفيد الاشتراك بينه تعالى وبين غيره من الحوادث فيظهر فيها التشبيه

[illegible] القرآن الكريم ولا فى السنة الصحيحة نسبة الذراع إليه تعالى .

٩ ـ اليمين

الخروج :

ص ١٥ : ٦ يمينك يارب معتزة بالقدرة يمينك يارب تحطم العدو ١٢ تمد يمينك فتبتلعهم الأرض .

التثنية :

ص ٣٣ : ٢ جاء الرب من سينا : وعن يمينه نار شريعة لهم .

ولعل المراد باليمين القدرة التامة وقد ورد فى القرآن الكريم ـ والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون ـ .

وأريد بها القدرة التامة بناء على مقتضى العقل والنقل والمحكم وفوق هذا فقد اقترنت بالتنزيه والتقديس سبحانه وتعالى عما يشركون .

١٠ ـ الأصبع

الخروج :

ص ٨ : ١٩ فقال العرافون لفرعون : هذا أصبع الله .

ص ٣١ : ١٨ ثم أعطى عند الفراغ من الكلام ـ مع الله ـ فى جبل سينا لوحى الشهادة لوحى حجر مكتوبين بأصبع الله .

أن أريد بالأصبع القدرة فكذلك وإلا فهو تشبيه وتجسيم لايليقان بالله تعالى ومنافيان للتوحيد .

وليس فى القرآن الكريم نسبة الأصبع إليه تعالى وما ورد فى الحديث أريد منه القدرة التامة على فعل وترك ما يشاء ويختار .

١١ ـ الرجلان

الخروج :

ص ٥٤ : ١٠ ورأوا إله إسرائيل وتحت رجليه شبه صنعة من العقيق الأزرق الشفاف وكذات السماء فى النقاوة .

هذه الفقرة يبعد تأويلها كل البعد لما قدمنا من أنه وضع الحقيقة بين حدود مادية حيث كان ذلك فى الصباح الباكر على سيناء ورأوا رجليه وهذا هو التشبيه والتجسيم المحالين عليه تعالى وتقدم الكلام على بطلانهما .

وليس فى القرآن الكريم نسبة الرجل إليه تعالى ومافى السنة محمول على اشتداد الأمر .

١٢ ـ القدم

التثنية :

ص ٣٣ : ٢ جاء الرب من سيناء وأشرق لهم من سعير وتلألأ من جبل فاران وأتى من ربوات القدس وعن يمينه نار شريعة لهم ، فأحَبَّ الشعب جميع قديسيه فى يدك وهم جالسون عند قدمك يتقبلون من أقوالك .

هذه الفقرة بعيدة عن التأويل لارتباطها بحادثة واقعية مادية وهى التى رأى فيها إله إسرائيل وتحت رجليه شبه صنعة من العقيق وهذا هو التشبيه والتجسيم الباطلان المستحيلان عليه تعالى .

وليس فى القرآن الكريم نسبة القدم إليه تعالى .

وما فى السنة محمول على زجر جهنم .

١٣ ـ القلب

التكوين :

ص ٦ : ٦ فحزن الرب أن عمل الإنسان فى الأرض وتأسف فى قلبه . وفى هذه الفقرة نسبة الجهل إليه تعالى لأنه لم يكن عالما بمصير الإنسان وماسيكون منه يوم خلقه وباركه ويوم رأى أن كل مافعله ـ بما فيه الإنسان ـ حسن وفيها تناقض أيضاً لأنه باركه وسر به يوم خلقه ثم هنا يحزن ويتأسف على أنه خلقه وهذا الأسف وذلك الحزن حقيقيان لأنه حزن على شيء بدر منه هو .

وليس فى القرآن الكريم حزن ولا أسف منه تعالى على فعل من أفعاله بل نرى الثناء والأطراء على حسن أبداعه وجميل اختراعه ـ الذى أحسن كل شيء خلقه ـ إنا كل شيء خلقناه بقدر صنع الله الذى أتقن كل شيء ـ سبح اسم ربك الأعلى الذى خلق فسوى والذى قدر فهدى ـ .

فلم يصدر منه تعالى أسف على فعل صدر منه سبحانه وتعالى عما يقول الكافرون علوا كبيرا .

هذا فضلا عن نسبة القلب إليه تعالى ممالم يرد مثله فى القرآن الكريم ولا فى السنة الصحيحة .

ص ١٨ : ٢١ وقال الرب فى قلبه لا أعود ألعن الأرض من أجل الإنسان .

وفى هذه الفقرة أسناد القلب إليه تعالى وهو تشبيه وتجسيم محالان على الله تعالى ثم فيها البداء المستحيل عليه تعالى لاستلزام الجهل على الله تعالى والجهل على الله محال . كيف وهو خالق الكائنات ومانح المعلومات وأبده البديهيات فاقد الشيء لايعطيه فعلمنا نحن دليل على علمه تعالى لأنه أثر من آثاره وهذه النصوص التى فى التوراة لعلها أثر من آثار الوثنية الأولى أيام أن كان الناس يفهمون الإله على سنن فهم الإنسان للإنسان . وإلا فكيف يكون كتاب سماوى ينزل لتقديس الله وتمجيده فيشتمل على ذمه وتجهيله هذا لايتفق من أقل الناس تفكيرا وأقلهم تدبيرا . وكيف ينسب لنفسه الحزن على ماقدم وأبرم مع أننا نرى الرجل العاقل يقلب الأمر على احتمالاته فإذا استبان الصواب فى ناحية من نواحيه أسرع إلى تنفيذه ثم أن صادفه النجاح فيها وإلا فلايلج الحزن قلبه ولا يأكل الأسف لبه لأنه قد بذل جهده وقَدَّر حده .

عكس مانرى فى التوراة من أسف ممض على مافات ومن عدم التبصر فيما هو آت منسوبين إليه تعالى ظلما وزورا .

١٤ ـ الـروح

[illegible] ٢ وكانت الأرض خالية وخربة ، وروح الله يرف على وجه المياه .

العدد ص ١٦ : ٢٨ الرب ط[illegible] الروح ـ بضم الراء فى الفقرتين كما فى الترجمة ـ .

ويحاول مفسرو اليهود المحدثون فى التوراة ج أ ص ٢٨ أن يجعلوا الرَّوح بفتح الراء بمعنى النسيم لا بالضم وهو مابه حياة الأنفس ، وهو السر الخفى الذى أودعه الله فى كل حى .

وليس فى القرآن الكريم ولا فى السنة الصحيحة هذا المعنى .

١٥ ـ الاسـتراحـة

التكوين :

ص ٢ : ٢ وفرغ الله فى اليوم السابع من عمله الذى عمل فاستراح فى اليوم السابع . وقدس لأنه فيه استراح من جميع عمله .

الخروج :

ص ٢٠ : ١٢ واستراح فى اليوم السابع ، ص ٢٠ : ١١ فى ستة أيام صنع الرب السماء والأرض والبحر وكل مافيها واستراح فى اليوم السابع . ص ٣١ : ١٧ فى ستة أيام صنع الرب السماء والأرض . وفى اليوم السابع استراح وتنفس .

هذه الأمور تنسبها التوراة إليه تعالى : جهلا بما يجب له تعالى من تنزيه وثناء فتنسب له الإعياء والتعب والنصب من عمله الذى عمله وعقب الفراغ منه مباشرة بدليل فاء التعقيب ـ فاستراح ـ طلب الراحة واستجمام القوة وتنفس . لأن الجهد كان قد بلغ منه مبلغه .

وهذه أمور لاتستحق الوقوف عندها .

وليس فى القرآن الكريم ولا فى السنة الصحيحة مثل هذا الذى يتنزه الله تعالى عنه .

١٦ ـ الطعـام

العدد ص ٢٨ : ١ ، ٢ وكلم الرب موسى قائلا : ٢ أوصى بنى إسرائيل وقل لهم : قربانى طعامى . معه وقائدى راحة سرورى تحرصون أن تقدموه لى فى وقته (الوقود خروفان حوليان صحيحان يذبح أحدهما صباحا والثانى بين العشاءين) .

١٧ ـ الشـراب

العدد ص ٢٨ : ٧ فى القدس أسكب سكيب مسكر للرب .

أقول ورود هذه الأشياء فى التوراة منسوبة إليه تعالى ولو مجازا لا يليق لأنها فى ظاهرها تشبه ما يفهم الوثنيون . ويعرفونهم من آلهتهم حيث كانوا يقدمون القرابين لتأكلها الآلهة لأنها كالإنسان تغضب عند الجوع وتبطش بعابديها

وغير ذلك مما يتمثل فى الإنسان من صفات بشرية فكانوا يترضونها بالقرابين [illegible] فقدموا الإنسان أعز شيء عندهم . وهذا منشأ التضحية البشرية .

ولو أنها أمرت بأعطاء هذه التقدمات إلى أهلها ومستحقيها لكان خيرا لها [illegible] عن [illegible] السكيب المسكر مع أنها نهت هرون وبنيه عن شربه عند دخول خيمة الاجتماع

لاويين ص ١٠ : ٨

وكلم الرب هرون قائلا : خمرا ومسكرا لا تشرب أنت وبنوك معك عند دخولكم إلى خيمة الاجتماع . فإذا كان شرب الخمر حراما على الكهنة عند دخول الخيمة فلماذا يوضع هذا الخمر المسكر فى القدس ؟؟ لعلهم بعد أكل القرابين يتجرعون المسكر داخل الخيمة ويكون مايكون .

ولله الحمد أن طهر السنة الصحيحة والقرآن الكريم من هذه الأباطيل .

١٨ ــ الوقوف والقيام

الخروج :

ص ١٧ : ٥ فقال الرب لموسى : ٦ ها أنا أقف أمامك على الصخرة فى حوريب فتضرب الصخرة فيخرج منها ماء ليشرب الشعب .

فقوله : ها أنا أقف . لايدع مجالا للتأويل ويفيد أنه وقوف حقيقى فى مكان معين وذلك من خواص الأجسام والله تعالى منزه عن التجسيم . لأنه لو كان جسما لاحتاج إلى فراغ يشغله . والاحتياج علامة الحدوث فلا يكون قديما .

وأيضا لو احتاج إلى فراغ يشغله فكان فقيرا إلى ماعداه والمفروض أنه هو الغنى المطلق عن جميع الموجودات لأنه هو الذى أبدعها ص ٣٤ : ٥ فنزل الرب فى السحاب فوقف عنده ــ عند موسى ــ هناك على جبل سينا .

العدد ص ١٠ : ٣٥ قم يارب فلتبدد أعداءك . ص ١٢ : ٥ فنزل الرب فى عمود سحاب فوقف فى باب الخيمة .

فهذا قيام ووقوف حقيقيان . وهنا أمره موسى بالقيام أيضاً .

١٩ ــ المجىء

التثنية ص ٣٣ : ٢ جاء الرب من سينا ... وأتى من ربوات القدس

ص ٤ : ٣٤ وهل شرع الله أن يأتى ويأخذ لنفسه شعبا من وسط شعب .

الخروج : ١٩ : ٩ فقال الرب لموسى : ها أنا آت إليك فى ظلام السحاب لكى يسمع الشعب حينما أتكلم معك فيؤمنوا .

ص ٢٠ : ٢٠ لاتخافوا لأن الله أنما جاء لكى يمتحنكم ٢٤ فى كل الأماكن التى أصنع فيها لاسمى ذكرا آتى إليك وأباركك .

العدد ص ٢٢ : ٩ فأتى الله إلى بلعام ، ص ٢٣ : ٤ فوافى الله بلعام .

وهذه الفقرات بعيدة عن التأويل حيث يقول الرب لموسى :

ها أنا آت إليك فى ظلام السحاب لأقنع الشعب بالإيمان ثم يقول موسى مطمئنا للشعب : لاتخافوا لأن الله أنما جاء ليمتحنكم وأنه يأتى إلى الأماكن التى يصنع فيها لاسمه ذكرا .

وهذا إتيان بالإنتقال الذى هو من خواص الأجسام والله منزه عن ذلك .

وما فى القرآن من نسبة المجىء إليه تعالى يوم القيامة فعلى معنى مجىء أمره أو ظهور آياته أو أن هذا المجىء من أمور الآخرة التى لايعلمها إلا هو كما يقضى بذلك قانون القرآن العقلى والنقلى ولم يذكر فى القرآن الكريم إلا فى هذا الموضع بخلاف مافى التوراة مما يفيد الانتقال والتحرك واشتمال الزمان والمكان عليه وأنه وقع فعلا .

٢٠ ـ الرجـوع والذهـاب

التثنية ص ٢٣ : ٤ الرب إلهك سائر فى وسط مملكتك فلتكن مملكتك مقدسة لئلا يرى قذر شىء فيرجع عنك .

التكوين ص ١٨ : ٣٣ وذهب الرب بعد مافرغ من الكلام مع إبراهيم . وهذان النصان يفيدان أن هذا الرجوع بتحرك وانتقال اللذين هما من خواص الأجسام ـ تعالى الله عن ذلك ـ

وتخلص القرآن الكريم من هذه الترهات فكفانا مئونة البحث فى غير طائل .

٢١ ـ المسـير والمشى

الخروج ص ١٣ : ٢١ وكان الرب يسير أمامهم نهارا فى عمود سحاب ليهديهم فى الطريق وليلافى عمود نار ليضىء لهم لكى يمشوا نهارا وليلا .

ص ٣٣ : ١٦ بماذا يعلم أنى وجدت نعمة فى عينيك أنا وشعبك ؟ أليس بمسيرك معنا ؟؟ ٢٢ يكون متى أجتاز مسجدى أنى أضعك فى نقرة من الصخرة وأسترك بيدى حتى أجتاز ٢٣ ثم أرفع يدى فتنظر ورائى .

ص٣٤ : ٦ فاجتاز الرب قدامه ٩ قال موسى ـ لله ـ أن وجدت نعمة فى عينيك أيها السيد فليسر السيد فى وسطنا .

اللاويين ص ٢٦ : ٢ إذا سلكتم فى فرائض أعطى مطركم فى حينه وألتفت إليكم وأكثركم وأجعل مسكنى فى وسطكم ١٢ وأسير بينكم وأكون لكم إلها وتكونون لى شعبا .

ص ١٤ : ١٤ ويقولون لسكان الأرض الذين قد سمعوا أنك يارب فى وسط هذا الشعب الذى أنت يارب قد ظهرت لهم عينا لعين وسحابتك واقفة عليهم وأنت سائر أمامهم بعمود سحاب نهارا وبعمود نار ليلا .

التثنية ص ١ : ٣٢ لستم واثقين بالرب إلهكم ٣٣ السائر أمامكم فى الطريق .

ص ٩ : ٣ فاعلم اليوم أن الرب إلهك هو العابر أمامك .

ص ٢٠ : ٣ اسمع يا إسرائيل أنتم قربتم اليوم من الحرب على أعدائكم لاتضعف قلوبكم لاتخافوا ولاترتعدوا ولا ترهبوا وجوههم لأن الرب إلهكم سائر فى وسط محلتك لكى ينقذك ويدفع أعداءك أمامك .

ص ٣١ : ٣ الرب إلهك هو سائر معك ٨ الرب سائر أمامك هو يكون معك ولايتركك .

هذه الكثرة من النصوص تدل دلالة واضحة على انتقال إلهم ومسيرة أمامهم [illegible] وترحالهم وعودة الز[illegible] والمكان ـ تعالى الله علوا كبيرا ـ

وليس فى القرآن الكريم صفة هذه الرحالة ولا فى السنة الصحيحة

٢٢ ـ النزول

التكوين ص ١١ : ٥ فنزل الرب لينظر المدينة والبرج الذين كان بنو آدم يبنونهما ٦ وقال الرب : هو ذا شعب واحد ولسان واحد لجميعهم . وهذا ابتداؤهم بالعمل والآن لايمتنع عليهم كل ماينوون أن يعملوه هلم ننزل ونبلبل هناك لسانهم حتى لايسمع بعضهم لسان بعض فبددهم الرب من هناك .

ونأخذ على هذا النص مايأتى :

١ ـ هذا النص صادر من إله التوراة ولاتأويل فيها . فاشتمل عليه الزمان والمكان .

٢ ـ يشعر بالجهل التام حيث نزل لينظر .

٣ ـ تفيد أسناد العجز إليه عن دفع ماينوون أن يعملوه وإسناد الخوف إليه أيضا من اجتماع كلمتهم .

٤ ـ يفهم منها التعدد هلم ننزل ونبلبل هناك لسانهم هذا غير سننه تعالى من حث على الاتحاد بأرسال الرسل ليعلموا الناس أصول الاجتماع الصالح وخروج على السنة الفطرية من حب الاتحاد والتعاون لأن الإنسان اجتماعى بالطبع .

٥ ـ وكل هذه الأمور لا تليق به تعالى فلا تجرى عليه قوانين الأجسام وأيضا ثبت له العلم التام ، والقدرة التامة بدليل هذا الكون البديع المنسجم وثابت له التوحيد حتى بنصوص هذه التوراة .

ص ١٨ : ٢٠ وقال الرب : أن صراخ سدوم ، وعمورة ، وخطيتهم قد عظمت جدا أنزل وأرى هل فعلوا بالتمام حسب صراخها الآتى إلى ؟؟ وإلا فأعلم .

وفى هذه الفقرة :

١ ـ نسبة الجهل التام إلى الله ـ تعالى الله علوا كبيرا ـ حيث أنه لم يدرما فعلوه بالتمام فنزل ليعلم مالم يكن يعلم ـ أنزل وأرى هل فعلوا بالتمام حسب صراخها .

٢ ـ أسناد الأبصار الحادث إليه تعالى لأنه نزل ليرى ببصره المحدود وإلا لكان يكفيه النظر بدون نزول . فما نزل إلا لقصر نظره ، وليكشف مافعلوه تماما بحسب صراخها الصاعد إليه فأن كان بِحسبه فَبِهَا ـ وإلا فأعلم ـ وإلا فليفكر فى إيجاد حلّ لمسألتهم .

ونقول :

١ ـ العلم ثابت له تعالى لأنه لو لم يكن عالما لكان جاهلا ولوكان جاهلا لما وجد هذا الكون المحكم المتقن ولكن وجد هذا الكون البديع المتقن فالله تعالى ثابت له العلم .

٢ ـ العلم كمال ، والله متصف بكل كمال فالعلم صفة ثابتة لله تعالى .

٣ ـ الله واهب العلم فى عالم الإمكان ولايعقل أن يكون المعطى للنبى فاقدا له . فالله متصف بالعلم .

٤ ـ [illegible] يكن عالما لكان [illegible] الموجودات الممكنة من هو أعلم منه وأكمل ولو كان كذلك لفضل الناقص الكامل وهو باطل.

٥ ـ [illegible] بذات البارى [illegible] أن يكون صفة كمال فلو كانت الصفة القائمة به حادثة لكان خاليا منها فى الأزل و[illegible] عن صفة الكمال نقص والنقص عليه تعالى محال. وعلى ذلك فلا تقوم به الحوادث.

٦ ـ إذن بطل ما جاءت به التوراة ويبطل أن يكون هذا ليس من كلام الله على لسان موسى ـ عليه السلام ـ

٧ ـ هذا فضلا عما فيها من أسناد النزول والتحرك والانتقال الحقيق ـ تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ـ

ص ٤٦ : ٣ أنا الله إله أبيك لاتخف من النزول إلى مصر لأنى أجعلك أمة عظيمة هناك. أنا أنزل معك إلى مصر.

فى هذه الفقرة مايقع لهم فى اليقظة تمثل لهم مناما وتلك فى رؤية رآها يعقوب ورؤيا الأنبياء وحى صادق وفيها الأخبار بنزول الله تعالى مع يعقوب إلى مصر. وهو نزول حقيق لأن الذى خاطبه هو إله التوراة بدليل ـ أنا الله إله أبيك ـ أنا أنزل معك إلى مصر. ولقد رآه مرة أخرى عند مصارعته معه فإذن نزوله أمر عادى فى التوراة.

ونكرر القول: بأن هذا من صفات الحوادث. ومما ينافى التوحيد أيضاً ويستحيل عليه الاتصاف بذلك.

الخروج ص ٣ : ٧ فقال الرب: أنى قد رأيت مذلة شعبى فنزلت لأنقذهم من أيدى المصريين. وهذا أيضا صادر عن إلههم. لأنه نزل لأنقاذهم عقب رؤيته مذلتهم ـ وهو باطل لما تقدم ـ.

ص ١٩ : ١١ ويكونون مستعدين لليوم الثالث لأنه فى اليوم الثالث ينزل الرب أمام عيون جميع الشعب على جبل سيناء ١٨ وكان سيناء يدخن من أجل أن الرب نزل عليه بالنار وصعد دخان كدخان الأتون ونزل الرب إلى جبل سيناء إلى رأس الجبل.

وكان ذلك فى الصباح الباكر بعد الاستعداد للقائه ثلاثة أيام وفيها تعيين الزمان والمكان لنزول إلههم. وهذا هو التشبيه والتجسيم المحالان على الله تعالى والمنافيان للتوحيد.

ص ٣٤ : ٥ فنزل الرب فى السحاب فوقف عنده ـ عند موسى ـ هناك ـ على سيناء ـ وفى هذه المقابلة ألقيت إليه الألواح وتقدم الكلام على ذلك.

العدد ص ١١ : ١٦ فقال الرب لموسى: اجمع إلى سبعين رجلا من شيوخ بنى إسرائيل الذين تعلم أنهم شيوخ الشعب وعرفاؤه وأقبل بهم إلى خيمة الاجتماع فيقفوا هناك معك. وأنزل أنا وأتكلم معك هناك فخرج موسى وكلم الشعب بكلام الرب وجمع سبعين رجلا من شيوخ الشعب وأوقفهم حوالى الخيمة فنزل وتكلم معه وأخذ منهم الروح الذى عليه وجعل على السبعين رجلا الشيوخ. فلما حلت عليهم الروح تنبؤوا.

ونقول تعليقا على هذه الفقرة:

أنها قطعية الدلالة فى كون النزول على حقيقته نزول حركة وانتقال لايتصف به الله تعالى.

ص ١٥ : ٥ فنزل الرب فى عمود سحاب ووقف فى باب الخيمة ودعا هرون ومريم فخرجا كلاهما.

هذه الفقرة كسابقتها تؤيد ماجاء فى أخواتها من نزول وانتقال مما هو من صفات الحوادث ومما هو مناف للتوحيد ـ وكل ذلك محال على الله ـ

وليس فى القرآن الكريم أسناد النزول إلى الله تعالى ، وما ورد فى الحديث لحمل [illegible] نزول أمره بالرحمة والمغفرة للتائبين بمقتضى الأدلة العقلية والنقلية مع مقتضى اللغة العربية أيضا .

٢٣ ـ الصعود

التكوين ص ١٧ : ٢٢ فلما فرغ الله من الكلام معه صعد الله عن إبراهيم .

ص ٣٥ : ١٣ ثم صعد الله عنه فى المكان الذى تكلم معه .

الخروج ص ٣٣ : ١ وقال الرب لموسى : ٣٠٠٠ فأنى لا أصعد فى وسطك لأنك شعب صلب الرقبة ٥ أن صعدت لحظة واحدة أفنيتكم . فى هذه العبارة مايفيد أن الصعود بالتحرك والانتقال وهو مناف للتوحيد .

وليس فى القرآن الكريم ولا فى السنة الصحيحة أسناد هذا المعنى إليه تعالى .

٢٤ ـ الوراء

الخروج ص ٢٣ : ٢٢ يكون متى أجتاز مجدى أنى أضعك فى نقرة من الصخرة وأسترك بيدى حتى أجتاز ٢٣ ثم أرفع يدى فتنظر ورائى هذه صفة الحوادث التى لايتصف بها تعالى .

وليس فى القرآن الكريم ولا فى السنة الصحيحة مايفيد أسناد ذلك إليه تعالى .

٢٥ ـ الأمام

ورد لفظ أمام الرب مع التعيين فى مكان خاص بكثرة مدهشة حتى بلغ مائة وسبعين وواحدة من المرات وسنورد من كل سفر بعض الشواهد .

التكوين ص ١٩ : ٢٧ وبكر إبراهيم من الغد إلى المكان الذى وقف فيه أمام الرب .

الخروج ص ١٦ : ٩ وقال موسى لهرون : قل لجماعة بنى إسرائيل اقتربوا إلى أمام الرب لأنه قد سمع.تذمركم ٢٣ وقال موسى لهرون : خذ قسطا واحدا واجعل فيه ملء العُمْرِ مَناً وضعه أمام الرب ، ص ٢٥ وكلم الرب موسى قائلا : كلم بنى إسرائيل أن يأخذوا لى تقدمة فيصنعون التابوت وغطاءه وتصنع المائدة ٣٠ وتجعل على المائدة خبز الوجوه أمامى دائما .

ص٢٧ : ٢١ فى خيمة الاجتماع خارج الحجاب الذى أمام الشهادة يرتبها هرون وبنوه من الصباح إلى المساء أمام الرب .

ص ٢٩ : ١١ فتذبح الثور أمام الرب عند باب خيمة الاجتماع ٥٣ ورقاقة واحدة من سلة الفطير التى أمام الرب .

ص ٣٤ : ٣٤ وكان موسى عند دخوله أمام الرب ليتكلم معه ينزع البرقع .

ص ٤٠ : ٢٢ وجعل المائدة فى خيمة الاجتماع فى جانب المسكن نحو الشمال خارج الوجوه ٢٣ ورتب عليها ترتيب الخبز الذى أمام الرب ٢٥ وأصعد السرج أمام الرب .

اللاويين ص ٤ : ٤ تقدم الثور إلى باب خيمة الاجتماع أمام الرب ويضع ـ الكاهن ـ يده على رأس الثور ويذبح الثور أمام الرب ويغمس الكاهن أصبعه فى الدم وينضح من الدم سبع مرات أمام الرب لدى حجاب

القدس ... ويجعل الكاهن من الدم على قرون مذبح البخور العطر الذى فى خيمة الاجتماع أمام الرب .

ص ... ٢٦ ومن سل الفطير الذى أمام الرب أخذ قرصا واحدا .

ص ... ١١ فيوقف الكاهن المطهر الإنسان المتطهر وأياها أمام الرب لدى باب خيمة الاجتماع .

ص ٢٤ : ٣ فى خيمة الاجتماع يرتبه هرون من الصباح إلى المساء أمام الرب .

ص ١٧ : ٧ فوضع موسى العصا أمام الرب فى خيمة الشهادة ٩ فأخرج موسى العصا من أمام الرب .

التثنية ص ١٩ : ١٧ يقف الرجلان اللذان بينهما الخصومة أمام الرب .

ص ٢٦ : ١٠ ثم تضعه أمام الرب إلهك وتسجد أمام الرب إلهك .

ص ١٤ : ٢٣ وتأكل أمام الرب فى المكان الذى يختاره .

هذه قطرة من بحر لفظ أمام الرب وفيها من التحديد والتعيين مايمنع التأويل . وكلها صفات حدوث منافية للتوحيد . والله تعالى منزه عن ذلك . وليس فى القرآن الكريم ولافى السنة الصحيحة أمثال هذه العبارات .

٢٦ ـ الكلام

جاء فى أسفار التوراة الخمسة : أن الله تعالى كلم :

١ ـ نفسه . تك ص ٨ : ٢١ .

٢ ـ آدم وحواء والحية تك ص ٣ : ١ ، ٩ ، ١٤ .

٣ ـ قايين . تك ص ٤ .

٤ ـ نوحا . تك ص ٧ ، ٨ ، ٩ .

٥ ـ إبراهيم . تك ص ٣ : ١٣ ـ ٢٢ .

٦ ـ هاجر . تك ص ٢١ : ١٧ ـ ١٩ .

٧ ـ إسحاق . تك ص ٢٦ .

٨ ـ يعقوب . تك ص ٣٢ .

٩ ـ موسى . خروج ص ٣ إلى آخر الأسفار الخمسة .

١٠ ـ هرون خروج ص ٤ : ٤ ، ٩ . ص ١٢ : ٢٣ .

١١ ـ مريم . العدد ص ١٢ : ٤ .

١٢ ـ بلعام العدد ص ٢٢ : ١٢ .

١٣ ـ بنى إسرائيل جميعا خروج ص ١٩ : ٩ .

فقال الرب لموسى : ها أنا آت إليك فى ظلام السحاب لكى يسمع الشعب حينما أتكلم معك فيؤمنوا ، تثنية ص ٤ : ٣٣ هل سمع شعب صوت الله الحى يتكلم من وسط الغار كما سمعت أنت وعاش ؟ ٣٦ من السماء أسمعك صوته لينذرك وعلى الأرض أراك تارة وسمعت كلام من وسط الغار فنرى أن كلامه غير قاصر على مخاطبة الأنبياء بل سمعه الشعب جميعه كما تقدم ، ومع هذا الاتصال المباشر لجميع إسرائيل تلك المبالغة فى تصوير الكلام تصويرا يجعله

مثل كلام الناس فى مألوفاتهم وعاداتهم ولايخصه بصفة تليق به تعالى : أمثلة

جاء فى سفر الخروج ص ٣٣ : ١١ ويكلم الرب موسى وجها لوجه كما يكلم الرجل صاحبه

وجاء فى سفر العدد ص ١٢ : ٥ فنزل الرب فى عمود سحاب ووقف فى باب الخيمة ودعا هرون ومريم فخرجا كلاهما ٦ فقال : اسمعا كلامى أن كان منكم نبى فبالرؤيا استعلن له فى الحُلْم أكلمه ٧ وأما عبدى موسى فليس كذلكَ بل هو أمين فى كل بيتى ٨ فما إلى فم أتكلم معه لا بالألغاز وشِبْهَ الرب يعاين .

وفى هذه الفقرة الأخيرة :

١ ـ النزول المحال عليه تعالى .

٢ ـ أثبات الفم له تعالى .

٣ ـ وهى ثالثة الأثافى وداهية الدواهى أثبات شبه للرب يعاينه موسى ويراه .

٤ ـ أن أمكن فرضا التأويل فى الأولين فلن يمكن فى الثالث ولو لم يكن فى التوراة إلا هذه الفقرة لكفى فى هدمها وعدم اعتبارها .

٥ ـ أن التوراة تناقض نفسها حيث جاء فيها :

ـ ليس مثل الله ـ فواحدة تنفى وجود شبه الله والثانية تثبت وجود شبه له يعاين ويرى .

٦ ـ التحليل الدقيق فى تصوير الكلام حتى تجعله كما يكلم الرجل صاحبه وهذا كله محال فى حقه تعالى لأنه من صفات الحوادث التى تنزه الله عنها .

وفضلا عن ذلك فهناك تعيين واضح لمكان التكليم :

جاء فى الخروج ص ٢٥ : ٢١ وفى التابوت تضع الشهادة التى أعطيك وأنا اجتمع بك هنا وأتكلم معك من على الغطاء من بين الكروبيين الذين على تابوت الشهادة .

فهذا التحديد من على الغطاء من بين الكروبيين الذين على تابوت الشهادة ، يجعل الكلام أمرا عاديا ماديا حادثا صرفا لايليق به تعالى وينافى التوحيد .

والذى نأخذه عن التوراة فى هذا الموضوع ذلك الأسراف فى تعميم سماع كلام الله حتى شمل الشعب جميعه وذلك التفصيل فى كيفية الكلام وذلك التعيين لمصدر الصوت ، وكونه بصوت ، وسيأتى الكلام عليه ـ حتى ألحق صفات الخالق بالمخلوق ـ تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ـ

وما ورد فى القرآن الكريم أثبات صفة الكلام له تعالى مع التنزيه وليس فيه ذلك التحديد والتكييف والتعيين والعموم فيقول تعالى : ـ وكلم الله موسى تكليما ـ أى ليس مما يتعارفه الناس بدليل هذا الأبهام فكان من غير كيف ولا صوت ولا حرف ولا من أى الجهات ولا من أى المواضع .

ولم يرد فى القرآن الكريم أن بنى إسرائيل سمعوا كلام الله بلا واسطة وكل ما ورد فيه أن فريقا منهم كانوا يسمعون كلام الله فقال تعالى :

« أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ماعقلوه وهم يعلمون » .
وتقدم الكلام على هذه الآية .

غير أنا نقول : أن هذه الآية ليست صريحة فأنهم سمعوا كلام الله بلا واسطة بل تحتمل أنهم سمعوه بواسطة تبليغ الرسول موسى عليه السلام .

٢٧ ـ الصوت

التكوين ص ٣ : ٨ وسمعا ـ آدم وحواء ـ صوت الرب الإله ماشيا فى الجنة فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب فنادى الرب الإله آدم وقال : أين أنت ؟ ١٠ فقال : سمعت صوتك فى الجنة .

الخروج ص ٧ : ٤ فكلم الرب موسى قائلا : فقال الرب لموسى .. ٨٩ فلما دخل موسى إلى خيمة الاجتماع ليتكلم معه كان يسمع الصوت يكلم من على الغطاء الذى على تابوت الشهادة من بين الكروبين .

التثنية ص ٤ : ١٢ فكلمكم الرب من وسط النار وأنتم سامعون صوت كلام ٣٣ هل سمع شعب صوت الله الحى يتكلم من وسط النار كما سمعت أنت وعاش ؟ ٣٦ من السماء أسمعتك صوته لينذرك ، ص ٥ : ٣٤ الرب إلهنا قد أرانا مجده وعظمته وسمعنا صوته من وسط النار ٢٥ أن عدنا فسمع صوت الرب إلهنا ٢٦ من هو من جميع البشر الذى سمع صوت الله الحى يتكلم من وسط النار مثلنا وعاش[1] ؟؟

٢٨ ـ الظهور

اتخذ ظهور إله التوراة مظاهر عدة :

١ ـ الظهور المجرد من غير ارتباط بظاهرة طبيعية .
٢ ـ الظهور فى العليقة المحترقة .
٣ ـ الظهور فى هيئة ملاك .
٤ ، ٥ ـ الظهور فى عمود السحاب والنار .
٦ ـ الظهور فى صورة إنسان .

هذه أنواع مظاهر إله التوراة فى الأسفار الخمسة . ونتكلم عنها فيما يلى :

٢٩ ـ الظهور المجرد

التكوين ص ١٢ : ٧ وظهر الرب لأبرام وقال : لنسلك أعطى هذه الأرض فبنى هناك مذبحا للرب الذى ظهر له . ص ١٧ : ١ ولما كان أبرام ابن تسعة وتسعين سنة ظهر الرب لأبرام ، ص ١٨ : ١ وظهر له ـ لإبراهيم ـ الرب عند بلُوطَات ممْرا .

ص ٢٦ : ٢ وظهر له ـ لأسحق ـ الرب وقال : لاتنزل إلى مصر ٢٤ فظهر له ـ لإسحاق ـ الرب تلك الليلة وقال : أنا إله إبراهيم أبيك .

ص ٣٥ : ١ ثم قال الله ليعقوب : قم اصعد إلى بيت أيل وأقم هناك واصنع هناك مذبحا لله الذى ظهر لك حين هربت من وجه أخيك ٧ وبنى هناك مذبحا ودعا المكان أيل بيت أيل لأنه هناك ظهر له الله حين هرب من وجه أخيه ٩ وظهر الله ليعقوب أيضا حين جاء من فدان آرام وباركه وقال له الله : اسمك يعقوب لايدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل يكون اسمك إسرائيل .

---

(١) وكذلك فى ص ١٣ : ٤ ، ١٨ ، ص ١٥ : ١٥ ، ص ١٨ : ١٥ ، ص ٢٦ : ١٤ ، ١٧ ، ص ٢٧ : ١٠ ، ص ٢٨ : ١ ، ٢ ، ١٥ ، ٤٥ ، ص ٣٠ : ١ ، ٨ ، ١٠ ، ٢٠ .

ونستنتج من هذه النصوص مايأتى :

١ ـ الذى ظهر حقيقة هو إله التوراة بدليل بناء إبراهيم ـ عليه السلام ـ المذبح للرب الذى ظهر له هناك وبدليل ماظهر لأسحق وقال : أنا إله إبراهيم أبيك .

وبدليل : قم واصنع هناك مذبحا لله الذى ظهر لك وأخبار التوراة أن الذى ظهر ليعقوب فى فدان آرام هو الله فى صورة إنسان .

٢ ـ هذا النوع من الظهور مستحيل على الله تعالى لأنه لايتحول ولا يتقلب ولايليق به أن يتصف بصفات الحوادث من اشتمال الزمان والمكان والتنقل .

رأى القرآن فى هذا النوع

(أ) القرآن ينزه الله تعالى غاية التنزيه عن صفات الحوادث .

(ب) مافى القرآن والسنة الصحيحة يدل على أكثر تقدير على جواز وقوع الرؤية من غير كيف ولا انحصار ولاجهة وأنها تكون للمؤمنين فى الآخرة .

(جـ) ليس فى القرآن مايدل على وقوع الرؤية فعلا فى الدنيا وكذلك السنة الصحيحة .

٣٠ ـ الظهور فى العلّيقة

الخروج ص ٣ : ٢ وظهر له ـ لموسى ـ ملاك الرب بلهيب نار من وسط العليقة وإذا العليقة تتوقد بالنار والعليقة لم تكن تحترق فقال موسى : أميل الآن لأنظر هذا المنظر العظيم لماذا لاتحترق العليقة ؟ فلما رأى الرب أنه مال لينظر ناداه الله من وسط العليقة وقال : موسى موسى فقال : ها أنذا . فقال : لاتقترب إلى هنا اخلع حذاءك من رجليك لأن الموضع الذى أنت واقف عليه أرض مقدسة ٦ ثم قال أنا إله أبيك إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب فغطى موسى وجهه لأنه خاف أن ينظر إلى الله .

وألاحظ مايلى :

١ ـ فهذا الذى ظهر فى العليقة هو إله التوراة ولم يخالف فى ذلك أهل الكتاب وخاصة ماجاء فى هذا الأصحاح رقم ١٦ اذهب اجمع شيوخ إسرائيل وقل لهم : الرب إله آبائكم إله إبراهيم وأسحق ويعقوب ظهر لى : يؤيد ذلك .

٢ ـ هذا الظهور مستحيل عليه تعالى لأنه ظهر من وسط العليقة متلبسا بلهيب النار وهذا المظهر إما على سبيل الحلول فى العليقة وإما على سبيل الاتحاد بها وكلاهما باطل .

دليل بطلان الحلول .

الحال فى الشىء على ثلاثة أنواع :

(أ) حلول على سبيل الظرفية كحلول الماء فى الكوز مثلا . وهذا النوع باطل لأنه يستلزم احتياج الحال إلى المكان الحال فيه والاحتياج علامة الحدوث والله تعالى غير حادث . وينافى الغنى المطلق والله غنى عن غيره . وأيضا الحلول على هذا النوع من خواص الأجسام والله تعالى ليس بجسم كما تقدم .

(ب) [illegible]ل على سبيل الامتزاج كالماء فى العود مثلا وهذا كذلك ينافى الغنى المطلق ويستلزم الاحتياج .

(جـ) [illegible] الص[illegible]ف فى الموصوف وهو كذلك يستلزم الافتقار وهو مستحيل على الله تعالى .

[illegible] بطلان الاتحاد :

الاتحاد له معان ثلاثة :

١ ـ صيرورة شيء ما شيئا آخر بطريق التحول والتغير كما يقال صار الماء هواء أى حصلت حقيقة أخرى والاتحاد بهذا المعنى يؤول إلى التحول من حالة إلى حالة أخرى . وهذا النوع محال على الله تعالى لأنه يؤدى إلى طروّ التحول والتغير عليه تعالى ـ والله منزه عن ذلك ـ .

٢ ـ صيرورة شيء ما شيئا آخر بطريق التركيب بأن ينضم شيء إلى شيء فيتكون منهما ثالث كما يقال : صار التراب طينا . والاتحاد بهذا المعنى يؤول إلى أن الشيء صار جزءا لغيره وهذا النوع مستحيل عليه تعالى لأنه يؤدّى إلى أن الواجب ـ الله ـ جزء لغيره وهو مستحيل بالضرورة .

٣ ـ أن يصير شيء بعينه شيئا آخر من غير أن يزول عنه شيء من صورته أو ينضم إليه شيء كصيرورة زيد عمرا من غير أن يحصل تغيير وهو بهذا المعنى أن بقى المتحدان متمايزين فلا اتحاد كذلك إذا انعدما أو أنعدم أحدهما . وإذاً فالاتحاد باطل .

وعلى هذا بطل أن يظهر الله فى الشجرة على أى حال سواء كان على سبيل الحلول أو على سبيل الاتحاد .

وما ورد فى القرآن الكريم بخصوص هذه القصة فقد ذكر فى ثلاث مواضع فى سورة طه وفى سورة النمل وفى سورة القصص .

وكلها بمعنى واحد فى جوهرها وتختلف فى تصويرها فقط على حسب المقتضيات البيانية . ونكتفى هنا بما ورد فى سورة طه نقلا عن تفسير العلامة أبى السعود باختصار وتصرف جـ ٤ ص ٢٩٨ ، ٢٩٩ قال تعالى : « وهل أتاك حديث موسى » خوطب بذلك محمد صلى الله عليه وسلم ليتأسى بموسى عليه السلام فى تحمل أعباء النبوة .

« إذ رأى نارا » ظرف للحديث .

روى أن موسى خرج بأهله راجعا إلى أمه وأخيه هرون فلما وافى الجانب الغربى من الطور وكانت ليلة مظلمة باردة شاتية وقد ضل الطريق فرأى نارا « فقال لأهله امكثوا » أى أقيموا مكانكم « إنى آنست نارا » أى أبصرتها أبصار بيِّناً « لعلى آتيكم منها » أرجو أن أجيئكم من النار « بقبس » بشعلة مقتبسة « أو أجد على النار هدى » نهتدى بها فى هذه الظلمة الحالكة أو نهتدى إلى الحقيقة الدينية الصحيحة . وهنا تبدو لباقة القرآن وكياسته فلم يعين مكان النداء ولم يقل : أن الله ظهر لموسى فى النار . وهذه هى المرونة التى امتاز بها القرآن الكريم عند التعبير عما يتعلق بالله عز وجل ولو أمكن له أن يتخلص من لوثة اللغة المادية لفعل أكثر من ذلك سموا ورفعة « فاخلع نعليك » لأنه هو الذى يليق بجلال الموقف وعظمته ورهبته « إنك بالوادى المقدس طوى » تعليل لوجوب الخلع المأمور به « وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى » أى اصطفيتك للرسالة فاستمع للذى يوحى إليك وأده كما أمرت . « إننى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى » .

وفى هذه الآية الكريمة لم يعص موسى عن أداء الرسالة وأنه أوحى إليه ذكر الآخرة وأن كل نفس بما كسبت رهينة خلافا لما فى التوراة من ضد هذه الأشياء .

٣١ ـ الظهور فى هيئة ملاك

تقدم فى ظهور الله فى العليقة أن الذى ظهر لموسى ملاك الله الذى هو الله بعينه لأن الملاك والله شىء واحد وأنه لايوجد خط فاصل بين يهوه ـ إله التوراة ـ وملاكه.

التكوين ص ١٦ : ٧ فوجدها ـ أى هاجر ـ ملاك الرب على عين الماء وقال ياهاجر ٩ فقال ملاك الرب ارجعى إلى مولاتك ١٠ وقال لها ملاك الرب ص ٢١ : ١٧ ونادى ملاك الله هاجر ١٣ فدعت اسم الرب الذى تكلم معها أيل رؤى .

ص٢٢ : ١١ فناداه ملاك الرب من السماء وقال : إبراهيم إبراهيم فقال : ها أنذا . فقال : لاتمد يدك إلى الغلام ولاتفعل به شيئا لأنى الآن علمت أنك خائف الله فلم تمسك أبنك وحيدك عنى .

ص ٤٨ : ١٥ وبارك ـ إسرائيل عند موته ـ يوسف وقال الله الذى سار أمامه أبواى إبراهيم وإسحاق الله الذى رعانى منذ وجودى إلى هذا اليوم الملاك الذى خلصنى من كل شر يبارك الغلامين .

الخروج ص ٣ : ٢ تقدم الكلام على الظهور فى العليقة .

ص ١٤ : ١٩ فانتقل ملاك الله السائر أمام عسكر إسرائيل وسار وراءهم .

العدد : ص ٢٢ : ٢٢ ووقف ملاك الرب فى الطريق ليقاوم فأبصرت الأتان ملاك الرب واقفا فى الطريق وسيفه مسلول فى يده ٣١ فأبصر ـ بلعام ـ ملاك الرب واقفا فى الطريق وسيفه مسلول فى يده فخر ساجدا على وجهه .

والذى يهمنا هنا أن نثبت أن الملاك هو إله التوراة لاغيره :

١ ـ تقدم أن الذى ظهر لموسى فى العليقة هو ملاك يهوه ـ إله التوراة ـ .

٢ ـ ماجاء فى التوراة بخصوص الذبيح تك ص ٢٢ : ١١ فقال له الملاك : علمت أنك خائف الله ولم تمسك ابنك وحيدك عنى . فقوله عنى دليل على أن الذى ظهر له هو الإله فى صورة ملاك .

٣ ـ ماجاء عن يعقوب عند مباركة ابنى يوسف عليه السلام .

تك ص ٤٨ : ١٥ وبارك إسرائيل يوسف وقال الله الذى سار أمامه أبواى إبراهيم وإسحق الله الذى رعانى منذ وجودى إلى هذا اليوم الملاك الذى خلصنى من كل شر يبارك الغلامين . وهذا دليل على أن الملاك هو إله التوراة .

٤ ـ جاء فى العدد ص ٢٢ : ٣١ فأبصر بلعام ـ ملاك الرب واقفا فى الطريق وسيفه مسلول فى يده فخر ساجدا وتقدم أن إله التوراة يقول فى التثنية ص ٣٢ : ٤١ إذا سننت سيفى البارق . فالسيف من سمات إلههم وهنا الملاك يحمل السيف .

٥ ـ جاء فى كتاب حل مشاكل الكتاب المقدس ص ١٢ وقد يكون الرب والملاك بمعنى واحد لظهور الرب بهيئة ملاك . ثم قال : أما الذى ظهر لموسى فى العليقة الملتهبة وقيل عنه أنه ملاك يهوه أى الرب وأنه الله وأنه يهوه فلاشك أنه الأقنوم الثانى الخ .

٦ ـ جاء فى كتاب دين إسرائيل ص ١٧٥ أنه لايوجد خط فاصل بين يهوه وملاك ولذا كان يتصل بهم مباشرة ليؤدى مهمته ويبلغهم رسالته .

وإذن فالخلاصة أن ملاك الرب هو الرب فى أسفار التوراة .

ورد [illegible] الزعم لا يحتاج إلى عناء لأنه تقدم أن التقلب والتحول من صفات الحوادث التى لاتقوم به تعالى صفت [illegible] بطلانا لأنها قبل حصولها يكون الإله خاليا عنها غير متصف بها والمفروض أنه متصف بكل كمال فلو عنها [illegible] خاليا عن الكمال فيكون ناقصا والنقص على الله تعالى محال .

٣٢ـ ظهوره فى السحاب والنار

الخروج ص ١٤ : ٢٤ وكان فى هزيع الصبح أن الرب أشرف على عسكر المصريين فى عمود النار والسحاب . وهنا رآه الجيش المصرى .

ص ٢٤ : ٩ ثم صعد موسى وهرون وناداب وأبيهو وسبعون من شيوخ إسرائيل ورأوا إله إسرائيل وتحت رجليه شبه صنعة من العقيق الأزرق الشفاف وهنا رآه السبعون شيخا .

اللاويين : ص ٩ : ٤ الرب اليوم يتراءى لكم ٦ هذا ما أمر به الرب تعملونه فيتراءى لكم مجد الرب فتراءى مجد الرب لكل الشعب وهنا حظى برؤياه الشعب جميعه .

ص ١٦ : ٢ وقال الرب لموسى : كلم هرون أخاك أن لايدخل كل وقت إلى القدس داخل الحجاب إلى الغطاء الذى على الشهادة الذى على التابوت لئلايموت لأنى فى السحاب أتراءى على الغطاء .

العدد ص ١٢ : ١٧ أما عبدى موسى فليس هكذا بل هو أمين فى كل بيتى فما إلى فم أتكلم معه لا بالإلغاز وشبه الرب يعاين .

وهنا شَبَهُ الرب يُعَايَنُ ويشاهَدُ .

ص ١٤ : ١٠ ثم ظهر مجد الرب فى خيمة الاجتماع لكل بنى إسرائيل .

وهذا النوع لا نخرج فى تفنيده عما تقدم فى أن هذه صفات يتعالى الله عنها .

٣٤ـ الظهور فى صورة إنسان

التكوين : ص ٣٢ : ٢٤ فبقى يعقوب وحده وصارعه إنسان حين طلوع الفجر ٢٥ ولما رأى أنه لايقدر عليه ضرب حُقَّ فخذه فانخلع حق فخذ يعقوب فى مصارعته معه ٢٦ وقال أطلقنى لأنه قد طلع الفجر فقال لا أطلقك أن لم تباركنى ٢٧ فقال له ما اسمك ؟ فقال : يعقوب ٢٨ فقال لايدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل إسرائيل لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت ٢٩ وسأل يعقوبُ وقال أخبرنى باسمك فقال لماذا تسألنى عن اسمى وباركه هناك ٣٠ فدعا يعقوب اسم المكان فنيئيل ـ وجه الله ـ قائلا : لأنى صارعت الله وجها لوجه .

وكانت هذه المصارعة عند عودة يعقوب من فدان آرام إلى أرض كنعان والذى صارعه يعقوب هو إله التوراة فى صورة إنسان لما يأتى :

١ ـ قول يعقوب ـ نظرت الله وجها لوجه ـ .

٢ ـ جاء فى التكوين ص ٣٥ : ٩ وظهر الله ليعقوب أيضا حين جاء من فدان آرام وباركه ١٠ وقال له الله اسمك يعقوب لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل يكون اسمك إسرائيل فدعا اسمه إسرائيل . ثم بنى يعقوب بيت أيل تذكارا لهذا الحادثة .

فهذه الفقرة تنص على أن الذى ظهر ليعقوب فى المرة الأولى هو إله التوراة .

٣ ـ تقدم أنه لا يوجد فى التوراة فرق بين الملاك والرب وعلى ذلك كله فالذى ظهر ليعقوب فى صو[illegible] إله التوراة .

ورَدُّ هذا النوع أيضا عُلِمَ مما تقدم وهو أنه تعالى يستحيل عليه التحول والتقلب .

هذه هى صور وأشكال ظهور التوراة لأفراد معدودين منهم أنبياء ومنهم غيرهم كهاجر مثلا بل منهم حيوانات كأتان بلعام ومنهم الكفار كالجيش المصرى وظهر لشيوخ إسرائيل فى حفلة تتويجهم بالنبوة وظهر للجميع الشعب الإسرائيلى .

وليس شيء فى القرآن من هذه الأباطيل وكل مافيه أن بنى إسرائيل طلبوا رؤيته تعالى فقالوا : أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم : أى أرنا الله عيانا فأخذتهم الصاعقة (النار من السماء) فأهلكتهم بسبب تعنتهم [١] .

بل أن موسى لما طلب الرؤية قال : رب أرنى أنظر إليك : أرنى ذاتك ومكنى من رؤيتك . قال الله لموسى عليه السلام : لن ترانى لاتستطيع رؤيتى على الحالة التى أنت عليها الآن ولكن انظر إلى الجبل فأن استقر مكانه فسوف ترانى ـ وتعليق الرؤية على استقرار الجبل دليل جواز وقوعها فقط : فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا : فلما ظهرت عظمة الله تعالى للجبل جعله مدكوكا أرضا مستوية وخر موسى صعقا ـ مغْشيا عليه من هول مارآه ـ فلما أفاق : رجع إليه عقله وفهمه ـ قال تعظيما لله : سبحانك : تنزيها لك أن أسألك شيئا بغير أذن منك تبت إليك من الجراءة والأقدام والسؤال من غير إذن منك وأنا أول المؤمنين بعظمتك وجلالك .

فهانحن نرى أن موسى عليه السلام لم تقع له الرؤية بالفعل وكل ما يمكن أن يؤخذ من الآية هو جواز وقوع الرؤية لأن موسى وهو نبى مرسل يعلم ما يجب لله وما يستحيل وما يجوز . طلبها لنفسه فطلبه الرؤية دليل الجواز فقط .

٣٥ ـ المسكن

الخروج ص ١٥ : ١٣ : ترشد برأفتك الشعب الذى فديته تهديه بقوتك إلى مسكن قدسك ١٧ تجيء بهم وتغرسهم فى جبل ميراثك المكان الذى صنعته يارب لسكنك المقدس .

ص ٢٥ : ٨ فيصنعون لى مقدسا لأسكن فى وسطهم .

ص ٢٩ : ٤٥ وأسكن فى وسط بنى إسرائيل وأكون لهم إلها .

اللاويين ص ٢٦ : ١١ وأجعل مسكنى فى وسطكم ولاترذلكم نفسى .

العدد ص ٣٥ : ٣٤ ولاتنجسوا الأرض التى أنتم مقيمون فيها التى أنا ساكن فى وسط بنى إسرائيل .

التثنية : ص ١٧ : ١٣ كل من اقترب من مسكن الرب يموت .

هذه النصوص بعيدة التأويل خاصة الفقرة التى فيها : أنا ساكن فى وسطها أنا الرب ساكن فى وسط بنى إسرائيل وتفيد اشتمال الزمان والمكان عليه تعالى وهو باطل لأنه لايليق به تعالى .

وليس فى القرآن الكريم ولا فى السنة الصحيحة مايحوم حول هذا المعنى .

---

(١) تفسير العلامة أبى السعود ج ١ ص ٣٩٤ .

٣٦ ـ الأبـوة

[illegible] ٣٢ : الرب تكافئون بهذا ياشعبا غبيا غير حكيم أليس هو أباك .

[illegible] أثر من آثار الديانة المصرية حيث جاء فى النشيد الذى كانوا يرتلونه كل صباح فى جميع المعابد المصرية هذه الفقرة أبو الكل إله الأبدية » وهى أثر من البابلية حيث رأينا فيها القول بتناسل الآلهة . وعلى كل فهى ظل [illegible] القديمة التى سيطرت على الديانات القديمة .

٣٧ ـ البنـوة

التكوين : ص ٦ : ١ وحدث حيث ابتدأ الناس يكثرون على الأرض وولد لهم بنات أن أبناء الله رأوا بنات الناس ٣ وبعد ذلك أيضا دخل بنو الله على بنات الناس .

الخروج ص ١٤ : ٢١ وقال الرب لموسى ٢٢ تقول لفرعون هكذا : يقول الرب إسرائيل بن البكر فقلت لك : أطلق ابنى ليعبدنى .

التثنية ص ١٤ : ١ أنتم أولاد للرب إلهكم ٢ لأنكم شعب مقدس للرب إلهك وقد اختارك الرب إلهك لكى تكون له شعبا خاصا فوق جميع الشعوب الذين على وجه الأرض ص ٣٢ : ٥ أفسد له الذين ليسوا أولاده عيبهم ١٩ فرأى الرب ورذَّل من الغيظ بنيه وبناته .

الأبوة والبنوة متلازمان ونسبة الأبوة والبنوة له تعالى لاتليق لأنها من صفات الحوادث .

والقول بنسبة الولد إليه تعالى إن أريد به الانتساب التشريفى التكريمى فقط فهذا يتفق فيه جميع الناس ولافضل لأحد على أحد إلا بما يفعله من الخير العام لسعادة الإنسانية عن عقيدة قوية سليمة . « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » فلا داعى لاختصاص البعض دون البعض .

وأن أريد به معنى التوالد الناشئ عن التزاوج واندماج الخلية الذكرية بالخلية الأنثية فهذا لايليق به تعالى لأنه من صفات الحوادث وخاصة أن الله تعالى قادر تمام القدرة على خلق الولد وتحصيله دفعة واحدة .

وقد أتى القرآن الكريم بنفى الولد عنه تعالى بصفة عامة فقال تعالى : « بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شىء وهو بكل شىء عليم » .

وبيان هذه الآية الكريمة أن يقال لأصحاب هذه الفكرة « البنوة » .

أولا ـ أما أن تريدوا بقولكم أن لله ابنا أن الله أحدثه وأبدعه لاعلى مثال سبق لكونه لم يتولد من نطفة كعيسى وآدم أو اختص بمزايا لا توجد فى غيره ولافيمن سبقه فيُرد عليكم بخلق السموات والأرض فأن الله تعالى أبدعها لاعلى مثال سبق وأودع فيهما من الخواص والمزايا مالايدخل تحت حصر وإلى هذا المعنى يشير بقوله : « بديع السموات والأرض » مبدعها وخالقها على غير مثال يحتذيه .

ثانياً ـ وأما أن تريدوا ذلك المعنى المتعارف من الولادة فى الحيوان وهذا باطل لوجوه :

(أ) الولادة لاتصلح إلا ممن كانت له صاحبة وشهوة وينفصل عنه جزء يحتبس فى رحم تلك الصاحبة وهذه الأحوال إنما تصح فى الجسم الذى يصح عليه الاجتماع والافتراق وباقى عوارض الجسم وهذا محال على خالق

العالم لأنه قديم مخالف للممكنات وقد أشير إلى هذا الوجه بقوله : « أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة » لايكون له ولد لأنه ليست له صاحبة .

(ب) تحصيل الولد بطريق التزاوج إنما يصح فى حق من لايكون قادرا على الخلق والإيجاد والله [illegible] فإذا أراد الولد وعجز عن تكوينه دفعة واحدة عدل إلى تحصيله بالطريق المعتاد أما من كان [illegible] جميع الممكنات قادرا على كل المحدثات فأنه إذا أراد أحداث شيء قال له : كن فيكون .

وحيث كان الإله بهذا الوصف امتنع إحداثه للشخص بطريق الولادة . وهذا الوجه يشير إليه قوله تعالى : « وخلق كل شيء » .

(جـ) ذلك الولد أما أن يكون قديما وأما أن يكون حادثا لاجائز أن يكون قديما لأن القديم لايحتاج إلى غيره وهذا الولد محتاج إلى أبيه فى تكوينه فبطل كونه قديما فتعين كونه حادثا .

وحينئذ يقال لهؤلاء القائلين بأن لله أبناء قد ثبت بالدليل العقلى أن الله تعالى عالم بكل شيء فأما أن يعلم فى تحصيل الولد كمالا ونفعا له وأما أن يعلم أن لا كمالا ولانفع فى تحصيله .

فإن كان يعلم فى تحصيل الولد كمالا ونفعا فلا وقت يُفْرَض إلا والداعى إلى إيجاد هذا الولد متحقِّق وأن كان يعلم أن لاكمال فى إيجاده وجب أن لايحدث فى وقت من الأوقات فلا ولد له أصلا وإلى هذا الوجه أشير بقوله تعالى : « وهو بكل شيء عليم[1] » .

ثم تهكم باليهود خاصة فى دعواهم أنهم أبناء الله وأحباؤه فقال تعالى : « وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولله ملك السموات والأرض ومابينهما وإليه المصير » .

ومعنى النظم الكريم وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه ـ حكاية لما صدر عن الفريقين من الدعوى الباطلة وبيان بطلانها وكانوا يدعون أن لهم فضلا ومزية عند الله على سائر الخلق فردَّ عليهم ذلك وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : قل ألزاما لهم وتبكيتا : فلم يعذبكم بذنوبكم أن صَحَّ مازعمتم لَمَا صَدَر عنكم ماصدر من خروج على تعاليم الديانة اليهودية الصحيحة ولَمَا وَقَعَ عليكم ماوقع من اضطهاد واستعباد وأسر وذل وقتل ومسخ ولو كان الأمر كما زعمتم وصح ما ادعيتم فلأى شيء عذبكم فى الدنيا بل أنتم بشر ممن خلق أى لستم كما زعمم بل أنتم بشر ممن خلق ومن جنس ماخلقه الله تعالى من غير مزية لكم عليهم يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء يغفر لمن يشاء من المخلوقين وهم الذين آمنوا بالله ورسله ويعذب من يشاء وهم الذين كفروا بالله ورسله وغيروا وحرفوا مثلكم ولله ملك السموات والأرض ومابينهما من الموجودات لاينتمى إليه سبحانه شيء منها إلا بالمملوكية والعبودية والمقهورية تحت ملكوته يتصرف فيهم كيف يشاء إيجادا وأعداما وأحياء وأماتة وتعذيبا وأثابة فأنىَّ لهم مازعموا وإليه المصير فى الآخرة خاصة لا إلى غيره استقلال أو اشتراكا فيجازى كلا من المحسن والمسيء بما يستدعيه عمله من غير صارف يثنيه ولاعاطف يلويه[2] اهـ .

وإلى هنا انتهت الصورة الظاهرية المفصلة للتشبيه والتجسيم مما ينافى جلال الربوبية ووحدانيتها .

---

(١) القول السديد فى علم التوحيد ج ١ ص ١٥٩ ، ١٦٠ .

(٢) تفسير العلامة أبى السعود ج ٢ ص ١٥ ، ١٦ .

الفصل السادس

الصورة المعنوية المفصلة (الانفعالات النفسية)

١ ـ الحزن والأسف

التكوين ص ٦ : ٦ فحزن الرب انه عمل الإنسان وتأسف فى قلبه ٧ فقال الرب : أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذى خلقته الإنسان مع بهائم ودبابات وطيور السماء لأنى حزنت أنى عملتهم .

هاتان العبارتان تنسبان الحزن له تعالى على ماعمله وهذا لايليق به تعالى وترميانه بالجهل بنتائج أعماله وقد ثبت له العلم . فهذه الفقرة ليست من كلام المعصوم وقد تقدم الكلام عليها وأنها تنافى التوحيد أيضا والأسف أشد الحزن وهو التلهف[1] على مافاته فهو آسف على خلق الإنسان .

وليس فى القرآن الكريم نسبة الحزن إليه تعالى على مايفعل وكذلك فى السنة الصحيحة .

وما ورد فلما آسفونا انتقمنا منهم فمعناه أغضبونا .

٢ ـ الندم

الخروج ص ٣٢ : ١١ فتضرع موسى أمام الرب إلهه وقال : لماذا يحمى غضبك ١٢ لماذا يتكلم المصريون أخرجهم بخبث ليقتلهم بخبث ارجع يارب عن حُمُوِّ غضبك واندم على الشر بشعبك ١٤ فندم الرب على الشر الذى قال أنه يفعله بشعبه .

ندم على مافعل ندما وندامة فهو نادم والمرأة نادمة إذا حزن أو فعل شيئا يكرهه[2] .

فكأنه أكره على عمله وندم على فعل أراد أن يفعله هو وفى هذه الفقرة :

١ ـ أشعار باعتراض موسى على الله تعالى فى أفعاله . وهذا لايصح من موسى بهذه الصفة وخاصة فى مقام التضرع والاسترحام .

٢ ـ موسى يأمر إله التوراة بالندم على ما أراده من الشر بشعبه .

٣ ـ ندم وحزن هذا الإله بالفعل على إرادته الشر بشعبه .

٤ ـ رجع عما صمم عليه من الغضب على بنى إسرائيل .

وهذه أمور لاتليق بالله تعالى لأنها من صفات الحوادث وفيها من تجهيل الله تعالى حيث بدا له تعذيب بنى إسرائيل ثم بدا له عدم تعذيبهم .

٥ ـ فى التوراة تناقض فقد جاء فيها : ليس الله إنسانا فيكذب ولا ابن إنسان فيندم . وفى الفقرة المتقدمة أسناد الندم ، وليس فى القرآن الكريم مثل هذه المفتريات .

---

(١) مختار الصحاح ص ١٦ .

(٢) مصباح ص ٨٢١ .

٣ ـ الغيظ

التثنية ص ٩ : ١٨ أخطأتم بعملكم الشر أمام الرب لأغاظته .

ص ٢٨ : ٢٨ واستأصلهم « الرب » بغضب وسخط وغيظ عظيم ص ٣٢ : ١٦ أغاروه بالأ[illegible] ١٩ فرأى الرب ورذَّل من الغيظ بنيه وبناته وقال أحجب وجهى عنهم ٢١ أغاظونى بأباطيلهم ٢٦ قلت أبددهم إلى الزوايا وأبطل من الناس ذكرهم ٢٧ لو لم أخف من أغاظة العدو من أن يتنكر أضدادهم من أن يقولوا يدنا ارتفعت وليس الرب فعل كل هذه .

الغيظ غضب كامن للعاجز[1] وهو غضب محيط بالكبد وهو أشد الحنق ولايكون الغيظ إلا بوصول مكروه إلى المغتاظ[2] .

وفى هذه الفقرة :

١ ـ أسناد الانفعالات النفسية إليه وهو الغيظ والحنق .

٢ ـ أثبات العجز له تعالى لأن الغضب غيظ كامن للعاجز .

٣ ـ وهذه كلها أمور مستحيلة عليه تعالى .

وليس فى القرآن الكريم ولا فى السنة الصحيحة أثارة من هذا المعنى .

٤ ـ الغيرة

الخروج ص ٢٠ : ٥ أنا الرب إلهك إله غيور .

تثنية ص ٢٩ : ٢٠ يدخن حنيئذ غضب الرب وغيرته ، ص ٥ : ٩ أنا الرب ألهك إله غيور ص ٣٢ : ١٦ أغاروه بالأجانب ٢١ هم أغارونى بما ليس إلها .

والغيرة من الانفعالات التى لايليق اتصاف الله تعالى بها .

وليس فى القرآن الكريم نسبتها إليه تعالى وما ورد فى السنة فمراد به لازمها لاستحالتها فى حقه تعالى بالعقل والنقل .

٥ ـ الإساءة

الخروج ص ٥ : ٢٢ فرجع موسى إلى الرب وقال : ياسيد لماذا أسأت إلى هذا الشعب .

ونسبة الأساءة إلى الله تعالى لاتليق ويجب تنزيهه تعالى عن كل نقص ولايمكن أن يصدر عن موسى عليه السلام مثل هذا التعبير .

٦ ـ الخوف

التثنية ص ٣٢ : ٢٦ قلت أبددهم إلى الزوايا لو لم أخف من أغاظة العدو من أن يقولوا : يدنا ارتفعت وليس الرب فعل كل هذه .

---

(١) مختار ص ٤٨٧ .

(٢) مصباح ص ٦٢٩ .

ينسب إليه الخوف من أزالة الناس وأثّر هذا الخوف عند الله تعالى فأَقصَرَ عن تبديدهم إلى الزوايا وهذا يتناقض مع مافيها من أسناد العجز إليه أيضا .

وليس فى القرآن الكريم ولا فى السنة الصحيحة شيء من هذا القبيل .

٧ـ لحقته الإهانة

العدد ص ١٤ : ١١ وقال الرب لموسى : حتى متى يهيننى هذا الشعب وهنا يظهر صغار إله التوراة .
وليس فى القرآن الكريم والسنة الصحيحة شيء من ذلك .

٨ـ السخط والغضب

التثنية ص ٢٨ : ٢٨ واستأصلهم الرب بغضب وسخط عظيم .

تكوين ص ٥ : ٢٩ وفيها لَعَنَ الأرض . ثم حَمى غضبه على بنى إسرائيل وأرجعه موسى كما فى الخروج ص ٣٢ : ١٠ ومابعدها وغضب على بنى إسرائيل مرات كثيرة وغضب على هرون ومريم العدد ص ١١ : ٣٣ وفى التثنية ص ١ : ٣٧ غضب على موسى بسبب إسرائيل واشتعل غضب الرب تثنية ص ٢٩ : ٢٧ .

٩ـ الظلم والجور

الخروج ص ٢٠ : ٥ أنا الرب إلهك إله غيور أفتقد ذنوب الآباء فى الأبناء وفى الجيل الثالث والرابع .

العدد ص ١٤ : ١٨ الرب طويل الروح كثير الأحسان يغفر الذنب والسيئة لكن لايبرئ بل يجعل ذنب الآباء على الأبناء فى الجيل الثالث والرابع .

تثنية ص ٥ : ٩ أنا الرب إلهك إله غيور أفتقد ذنوب الآباء فى الأبناء وفى الجيل الثالث والرابع .

اللاويين ص ١٠ : ١٧ وقد أعطاكما أياها لتحملا أثم الجماعة تكفيرا عنهم أمام الرب .

التثنية ص ٧ : ٢٦ وغضب الرب علىّ بسببكم ولم يسمع لى .

ص ٤ : ٢١ وغضب الرب علىّ بسببكم وأقسم أنى لا أعبر الأردن ولا أدخل الأرض الجيدة التى الرب إلهك يعطيك نصيبا . من أخطأ سهوا فعليه الكفارة العدد ص ١٥ : ٢٨ فيكفر الكاهن عن النفس التى سهت عندما أخطأت بسهو أمام الرب .

وهكذا تتمثل القسوة المروعة والظلم المبين فى هذه الفقر مما ينافى العدالة الإلهية التى تقتضى أدانة كل نفس بما كسبت وأنه لاتزر وازرة وزر أخرى ووضع العقاب مكافئا للجريمة اجتماعيا وخُلقِيا ودينيا لاأن تكون بطريقة الانتقام والتشفى الممقوت وأدانة الأبرياء .

وعندنا فى القرآن الكريم والسنة الصحيحة أن كل نفس بما كسبت رهينة ـ وأن ليس للإنسان إلا ماسعى ـ وأن الله لايظلم الناس شيئا ، وأن الله لايظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيما ـ وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ماتعمدت قلوبكم ـ والسهو لاتعمد فيه فلا حرج عليه . يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر .

١٠ ـ الشفقة

التكوين ص ١٩ : ١٦ ولما توانى « لوط » أمسك الرجلان بيده ويد [illegible] ابنتيه [illegible]

وليس لها ذكر عندنا .

١١ ـ الرأفة

الخروج ص ١٤ : ١٣ ترشد برأفتك الشعب الذى فديته .

انفعال النفس محال عليه تعالى .

وقد وصف بها تعالى فى القرآن الكريم ـ إن الله بالناس لرءوف رحيم ـ وأريد بالرحمة والرأفة لازمها وهو التفضل والأحسان .

١٢ ـ الفرح

تثنية ص ٢٨ : ٢٣ وكما فرح الرب ليحسن إليكم ويكثركم كذلك يفرح الرب ليغنيكم ص ٣٠ : ٩ لأن الرب يرجع ليفرح لك بالخير كما فرح لآبائك .

ولم يرد فى القرآن الكريم أسناد الفرح إليه تعالى وما ورد فى السنة فأريد به لازمه وهو الأثابة والمجازاة الحسنة .

١٣ ـ السرور

العدد ص ١٤ : ٨ أن سُرَّ بنا الرب يدخلنا إلى هذه الأرض .

وليس فى القرآن الكريم أسناد السرور إليه تعالى .

١٤ ـ الرضا

التكوين ص ٨ : ٢١ فتنسم الرب رائحة الرضا .

التنسم التنفس[١] .

وقد أسند الرضا إليه تعالى فى القرآن الكريم « لقد رضى الله عن المؤمنين » « والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار الذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه » وأريد بالرضا لازمه وهو الثواب والتفضل بالأحسان .

والنتيجة مما تقدم فى بحث التأليه فى التوراة :

١ ـ أن التوراة خلطت فى التأليه وغلطت فى التنزيه .

٢ ـ أنه تغلب عليها التشبيه والتجسيم بصورة واضحة .

٣ ـ أنها صورت الإله بصورة إنسانية بسيطة ساذجة خالية من التنزيه والجلال .

٤ ـ أنه يلزم من هذه الأشياء لوثة فى التوحيد وشائبة فى التعديد .

---

(١) المختار ص ٦٥٨ .

الفصل السابع

نشأة التوحيد

يقول العلماء بدراسة الأديان إن فكرة التوحيد مظهر من مظاهر الرقى الفكرى والتعدد مظهر من مظاهر انحطاطه وهو سابق على التوحيد لأن الإنسان فى أول حياته أيام أن كان يسكن الأدغال والغابات كان يقدس أسلافه وآباءه ويفتخر بهم ويقتدى بسيرتهم ويستمد غذاء روحه من ذكرياتهم فاحتفظ بتراثهم وخلد آثارهم فنشأ نوع من العبادة المعددة المادية فى صور متكاثرة .

ثم لما انتقل إلى حياة الصحراء وتلمس وسائل الحياة فيها فلم يجدها إلا بجوار عين شرارة أو فى مكان مطير أو فى واد خصيب .

فاعتقد أن فيها أرواحا خيرة أو شريرة قادرة على أعطائه وحرمانه فقدم إليها القرابين اعترافا بطاعته لها رغبة فى رضاها ورهبة من غضبها وسخطها وبذلك كان لكل قبيلة إله تدين له وتعترف به .

ثم لما انتهى المطاف بتلك القبائل إلى أحواض الأنهار وعاودتها الطمأنينة على مادة حياتها ارتقى شعورها واضطرت إلى الاجتماع والتعاون فى تخفيف أعباء الحياة وتخصصت بعض طوائف فى نواح خاصة فنشأت أمان مشتركة وظهر فى تلك الجماعات أفذاذ عرفوا بسداد الرأى وحصافة التفكير حاولوا تنظيم تلك الجماعات وتسوية علاقاتها ليأمن بعضها غائلة بعض . أو على الأقل يخفف من شرتها ويقلل من ضراوتها فسنت القوانين حماية للمصالح المشابكة وأسندت إلى آلهة تلك الجماعات وصارت تلك القوانين تقاليد مرعية ومراسيم متبعة وبمرور الزمن أخذت صفة مقدسة أفاضتها عليها التبعية الإلهية وبذلك تكونت روح الجماعة الأولى واتحدت مشاعرها وأقيمت المدنيات على ضفاف تلك الأنهار فى حماية الأرواح التى تسكنها وتجريها بالرزق والخير .

وبذلك كله انتقلت العبادة من المادية إلى الروحية واقتربت وجهات النظر الدينية وفقا لحياة الجماعة فأصبح عدد الآلهة قليلا بالنسبة لما كانت عليه فى الصحراء إذ اندمج الأفراد فى الجماعات الصغرى ثم اندمجت الجماعات الصغرى فى الجماعات الكبرى .

ثم لما ارتقت تلك المدنيات ظهرت ثمرات العقول فى توجيه الأفكار إلى أن هناك قوة تدير هذه العوالم وتدبر أمرها واختلف شأنها باختلاف الأجواء المحيطة بعابديها ثم إذا تغلبت أحدى هذه المدنيات على غيرها تغلب كذلك إلهها تبعا لها على إله تلك المغلوبة حينا من الزمن بمقدار مالأهله من سيادة واقتدار فكان ينفرد أحد الآلهة فترة من الزمن وبالطبع تشعر النفوس فى هذه الفترة بارتياح من تنازع الآلهة وماتستتبعه من اهتزازات اجتماعية واضطرابات فكرية وربما كان يتبعه رجات اقتصادية فحبب إلى النفس ذلك المظهر المطمئن الآمن فكان ذلك بدء التوحيد ونشأته .

ونحن نقول : نعم أن فكرة التوحيد مظهر من مظاهر السمو العقلى والتعدد مظهر من مظاهر انحطاطه غير أن

التوحيد سابق على التعدد بمعنى أن العقلية الإنسانية إذا استنارت عرفت التوحيد [illegible] أدق وأدركته أ[illegible] وإذا تدهورت عميت عن التوحيد وأبصرت التعدد لاتباع كل ذى رأى [illegible] التوحيد لأنه أمر طبيعى فطرى فى الإنسان لبساطته وقربه من النفس [illegible] وتوالى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

ولو كان التوحيد مظهرا من مظاهر التقدم الفكرى بمعنى أنه من [illegible] وخلقه لسار التقدم الروحى إلى الأمام مع التقدم الفكرى جنبا إلى جنب .

ولكن الحياة الواقعية نشاهد فيها أنه لايسير التقدم الروحى فى رقى مُطِّرد بل كلما تقدم الرقى المادى وجد الحرص والطمع والجشع .

لهذا لانستطيع أن نقول أن الأصل فى التدين التعدد والتوحيد خطوة تالية .

ولماذا لايكون التوحيد أصلا والتعدد خطوة بعده لأننا لم ننته بعد أولية التدين توحيده ونعديده .

على أن قول الباحثين منشؤه فروض واحتمالات بنيت عليها نتائج اعتبرت صحيحة ولم يعلموا أن هذا ظن وأن الظن لايغنى من الحق شيئا ـ والعلم إلى الآن لم يقل كلمته الفاصلة والأمة المصرية القديمة كما يقول العلماء أتى عليها حين من الدهر وهى على عبادة الله تعالى وحده ثم أتى عليها بعد ذلك حين آخر أبان حكم الدولة الوسطى أيام غضارتها ونضارتها وحضارتها انغمست فى وثنية وارتكست فى جاهلية فعبدت جميع المظاهر الكونية .

ولماذا لايكون تقديس الآباء والزعماء ناشئا عن التدين بالتوحيد لأنه فيه خضوع لله تعالى واحترام وأجلال للآباء والزعماء وبتراخى الزمن عبدت هذه الشخصيات .

وها نحن فى الوقت الحاضر نرى رقيا وحضارة ومدنية ومع ذلك فهناك عقلية طبقات كبيرة وشخصياتٍ مستنيرة خاضعة لأوهام وأباطيل هى التعدد فى أوضح معانيه .

فليس التوحيد وليد التقدم الفكرى ولا التطور العقلى وكل مايمكن أن يكون هو أنه كلما كان الرقى الفكرى أمكن بسهولة ويسر فهم التوحيد وتوجيه الفكر إليه وقبوله بارتياح واطمئنان .

وكلما كان الجمود والخمود كان الرجوع إلى التعدد أمرا هينا .

والقرآن الكريم يقول : « وإن من أمة إلا خلا فيها نذير » وأنه شُرع على ألسنة الرسل التوحيد الخالص : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليك وماوصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولاتتفرقوا فيه » .

والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « كل مولود يولد على الفطرة ـ التوحيد ـ وإنما أبواه يهودانه أو ينصرانه » .

التوحيد عند الأمم القديمة

(أ) بابل : حوالى سنة ٣٠٠٠ ق م كانت بابل مقسمة إلى نظم مستقلة وممالك صغيرة وكان لكل مملكة إله أعلى يحيط به آلهة ثانويون ولم يتغير اعتقادهم بالآلهة إلا فى العدد والأسماء وكلما توسعت مملكة فى النفوذ رفعت إلهها إلى مقام الإله الأعلى فى الدولة ورتبت الآلهة الآخرين إلى جانبه وظل الأمر كذلك إلى أقصى الاتحاد السياسى إلى اتحاد الآلهة فى إله واحد باسم واحد .

[illegible] أخذ الأشوريون معظم معتقداتهم عن البابليين ولكن كان لهم إله خاص هو آشور يمتاز عندهم من بين الآلهة [illegible] لم يلد ولم يكن له زوجة وإذا عدنا إلى ترتيب الآلهة عندهم لم يصعب علينا أن نقول أنهم عرفوا [illegible] الآلهة [illegible] بين أسماء للصفات الإلهية أو لمظاهر القوة الإلهية فى الطبيعة [1] .

[illegible] نقول بأن [illegible] بالتدين قديما واختلف الباحثون فى نشأة تدينهم وعزاه بعضهم إلى ديانة نوح عليه السلام وأنهم اعتقدوا [illegible] واحد يَرى ولا يُرى ومعبود صمدى قديم فاطر السموات والأرض خالق الكائنات ولم يُخلق وأنه لاحد له سميع [illegible] يتضرع إليه مجيب الدعاء وأنهم كانوا يرتلون فى المعابد كل صباح : « لا إله إلا الله واحد لاشريك له الله مفرد وصمد صانع جميع الموجودات هو الباقى الدائم الخالد » ألخ .

ثم لما انحطت الأفكار عَبدوا بعض الكائنات على أنها مظاهر القوى للإله الواحد .

وعلى ذلك فقد عُرف التوحيد الخالص فى مصر وآشور وبابل فى بعض عصورها وظهرت شوائب التعدد فى البابلية والأشورية أكثر منها فى مصر .

التوحيد فى الديانة اليهودية

نستطيع أن نأخذ عن التوحيد فى الديانة اليهودية صورة واضحة من الأسفار الخمسة واستنتاجا مما قدمنا فى الأبحاث السالفة فيما يلى :

جاءت الأسفار الحاضرة بالتوحيد وأمرت به وحثت عليه ودعت إليه . فى سفر الخروج ص ٢٠ : ٢ ـ ٧ : أنا الرب إلهك الذى أخرجك من بيت العبودية لا يكن لك آلهة أخرى أمامى لاتصنع لك تمثالا منحوتا ولاصورة مما فى السماء من فوق وما فى الأرض من تحت ومافى الماء من تحت الأرض ولاتسجد لهن ولا تعبدهن لأنى أنا الرب إلهك إله غيور أفتقد ذنوب الآباء فى الأبناء فى الجيل الثالث والرابع من مبغضى وأصنع أحسانا إلى ألوف من محبى وحافظى وصاياى لاتنطق باسم الرب إلهك باطلا .

وورد هذا المعنى فى التثنية ص ٥ : ٦ ـ ١٢ .

ومن هذا النص نرى :

١ ـ أن الديانة اليهودية الحاضرة تقول بإله واحد .

٢ ـ أنها تنهى عن عبادة آلهة أخرى غير هذا الإله .

٣ ـ أنها تنهى عن صنع التماثيل لأى كائن وأيضا تنهى عن عبادة هذه التماثيل .

٤ ـ أنها تنهى عن الحلف باسم هذا الرب باطلا .

٥ ـ تقدم القول عن جملة صفات التنزيه لهذا الإله وجاء فيها : أنه خالق السموات والأرض ومابينهما ومالك الجميع وإله أرواح جميع البشر والإله السرمدى الذى ليس مثله شيء المتصف بالرأفة والقوة والكامل صنيعه العدل فى جميع سبله الذى يحيى ويميت الحى إلى الأبد .

٦ ـ وأمرت بحب هذا الإله : فتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قوتك [2] .

---

(١) مذكرات الفلسفة للدكتور إبراهيم بيومى مذكور مدرس بكلية الآداب بالجامعة المصرية سنة ١٩٣٦م .

(٢) تثنية ص٦ : ٥ .

٧ ـ وأمرت بالمحافظة على وصاياه وعدم الزيادة فيها والنقص منها : لاتزيدوا [illegible] الكلام الذى أ[illegible]
ولاتنقصوا منه لكى تحفظوا وصايا الرب إلهكم التى أنا أوصيكم [illegible]

٨ ـ وأن هذا الإله لم يطلعهم على صورته لئلا يفسدوا : فأنكم لم ترو[illegible] صورة يوم كلم[illegible] فى [illegible]
وسط النار لئلا تفسدوا وتعملوا لأنفسكم تمثالا منحوتا صورة مثال [illegible] ذكر أو أنثى شبه [illegible] على
الأرض شبه طور ذى جناح مما يطير فى السماء ١٨ شبه دبيب ما على الأرض شبه سمك ما مما فى الماء تحت
الأرض ولئلا ترتفع عينك إلى السماء وتنظر الشمس والقمر والنجوم كل جند السماء التى قسمها الرب إلهك
فتغتر وتسجد لها وتعبدها[٢] .

٩ ـ وأمرت بقتل من يشرك فردا[٣] كان أو جماعة[٤] ومن يغرى[٥] على الشرك .

٢٠ ـ وأمرت باجتناب المشركين وعدم الاختلاط بهم والاشتراك معهم : متى أتى بك الرب إلهك إلى الأرض التى أنت داخل إليها لتمتلكها وتطرد شعوبا كثيرة من أمامك الحثيين والجرجاشيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين سبع شعوب لاتقطع لهم عهدا ولا تشفق عليهم ولاتصاهرهم : بنتك لاتعط لابنه وبنته لاتأخذ لابنك لأنه يرد ابنك من ورائى فيعبد آلهة أخرى فيحمى غضب الرب عليكم ويهلككم سريعا ولكن هكذا تفعلون بهم تهدمون مذابحهم وتكسرون أنصابهم وتقطعون سواريهم وتحرقون تماثيلهم بالنار[٦] .

ومع أنها أمرت بالتوحيد المتشدد الذى هذه صورته فأنها لم تأت بها خالصة من شوائب التعدد سالمة من لوثة التشبيه والتجسيم لأنها كما تقدم فى الفصول السابقة :

١ ـ جاءت بأعلام يغلب على الظن أنها أسماء أصنام « أيلوه . وأهيه . ويهوه » وهو الذى سيطر على أسفار التوراة وصرح بعض الكاتبين أنه اسم صنم حمله الإسرائيليون معهم من مصر .

٢ ـ وبعض هذه الأعلام « يهوه » امتاز عن غيره بنباهة الذكر وكان له مواطن عبادية متعددة بخلاف أيلوه وأهيه .

٣ ـ (أ) التصريح بوجود شبه لإله التوراة يعاينه موسى : أما عبدى موسى فليس هكذا بل هو أمين فى كل بيتى فما إلى فم وعيانا أتكلم معه لا بالألغاز وشبه الرب يُعَاين[٧] .

(ب) التشبيه الظاهرى المادى : وقال الله ـ تعالى الله ـ لنعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا فخلق الله الإنسان على صورته على صورة الله خلقه[٨] . هذا كتاب مواليد آدم يوم خلق الله الإنسان على شبه الله عمله ذكرا

---

(١) تثنية ص ٤ : ٢ .
(٢) تثنية ص ٤ : ١٥ .
(٣) خروج ص ٢٢ : ٢٠ وتثنية ص ١٧ : ٢٠ .
(٤) تثنية ص ١٣ : ١٣ . ١٧ .
(٥) ص ١٣ : ٦ ـ ١١ .
(٦) تثنية ص ٧ : ١ ـ ٦ .
(٧) العدد ص ١٢ : ٧ . ٨ .
(٨) تك ص ١ : ٢٦ .

[illegible] سافك دم الإنسان بالإنسان يسفك لأن الله على صورته عمل الإنسان[٢] .

[illegible] الله عالم أنه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر[٣] .

[illegible] قال الرب الإله هوذا الإنسان قد صار كواحد منا[٤] .

٥ ـ [illegible] وتقدم الكلام عليه [illegible] عين وفم وأذن ويد وذراع وأصبع ورجل وقدم وقلب وذهاب ومجيء ووقوف وانفعالات نفسية من حزن و[illegible] وخوف وغير ذلك .

٦ ـ النصوص الدالة على أن هناك إلها من البشر مع الله ـ : ـ فقال الرب لموسى : انظر قد جعلتك إلها لفرعون وهرون أخوك يكون نبيك[٥] . وهو ـ هرون ـ يكلم الشعب عنك وهو يكون لك فما وأنت تكون له إلها[٦] .

٧ ـ النصوص التى تشعر بالاعتراف بآلهة أخرى :
الرب إلهكم هو إله الآلهة ورب الأرباب[٧] .

فى هذه الفقرة اعتراف ضمنى بوجود آلهة أخرى غير أن إله التوراة له السيطرة عليها وأنه يغار منها فقط ولذلك حرم عبادتها .

٨ ـ وصفه بصفات الحجر مما يرجح أنه كان من أصنام الصحراء : أنه الصخرة[٨] القوية فسمن يشورون ورفس سمنت وغلظت واكتسيت شحما فرفض الإله وغبِىَ عن صخرة خلاصه[٩] .

هذه شوائب التعدد فى الديانة اليهودية وهذا الخلط فى التأليه يرجح أن يكون أثرا من آثار الديانة البابلية ذات الاعتقادات الكثيرة المتباينة لتباين أجناسها واختلاف آرائهم فى التأليه .

وعلى ذلك لايكون توحيد الديانة اليهودية توحيدا واضحا خالصا من شوائب التعدد بل كان مزيجا من توحيد وتعدد وتنزيه وتشبيه بذرته الأولى فى الديانة البابلية والأشورية القديمتين وتطورت فى الديانة اليهودية التى تمثلها التوراة الحاضرة .

وكان لهذه العقيدة اليهودية التى وصفناها نتائج وآثار نتكلم عنها الآن .

نتائج هذه العقيدة

كان لهذه العقيدة آثار فى نفسية اليهود أنفسهم ثم فى غيرهم ونجمل الكلام عنها فيما يلى :

(أ) أثرها فى نفسية اليهود :

اتصل إله التوراة باليهود فى صورة متكاثرة فى الكلام وفى المظاهر المختلفة التى تكلمنا عنها فيما سبق وكان لهذا الاتصال أثره فى التأليه وفى النبوة وفى عملية اليهود .

---

(١) تك ص ٥ : ١ .
(٢) تك ص ٩ : ٦ .
(٣) تك ص ٣ : ٥ .
(٤) تك ص ٣ : ٢٣ .
(٥) خروج ص ٧ : ١ .
(٦) خروج ص ١٤ : ١٦ .
(٧) تثنية ص ١٠ : ١٧ .
(٨) تثنية ص ٢٣ : ٤ .
(٩) تثنية ص ٣٢ : ١٥ .

١ ـ أما من حيث التأليه فقد انحطت قداسة الألوهية وجرت عليها سنن [illegible] ساذجة إلى [illegible]
مادية جافة لم تحقق الغرض المقصود حتى مع الرهبة التى كانت [illegible]
٢ ـ وأما من حيث النبوة فجعلها سهلة ميسورة المنال لكل إنسان [illegible] كلام [illegible]
فكأن كل واحد منهم نبي برأسه إلى نفسه ونالها فيهم النساء فنالها [illegible] أخت موسى عليه السلام ثم [illegible] دبورة فى عهد القضاة .

ونلمح هوان النبوة والرسالة فى نفس :

أولاً ـ كبار اليهود فمثلا هرون التوراة ومريمها لايريان لموسى فضلا عليهما حينما اعترضا عليه لاتخاذ المرأة الكوشية[1] وقالا :

هل كلم الرب موسى وحده ؟ ألم يكلمنا نحن أيضا ؟

فأثار اعتراضهما هذا غضب الله عليهما فنزل ـ كما تقول التوراة ـ فى عمود سحاب لفض هذا النزاع وأفهمهما أن منزلة موسى فوق منزلتهما .

ثانياً ـ عامة اليهود لأن اتصالهم بالإله قلل فائدة الرسالة بل جعلها غير محتاج إليها ألبتة فانحطت منزلة الأنبياء فى توراتهم إلى حدٍّ يتنافى مع الإنسانية الدنيا فضلا عن الإنسانية العليا .

وظهرت أعراض ضعف العقيدة على اليهود ـ والعهدة على التوراة ـ على عهد موسى وهرون مع مشاهدتهم الآيات والمعجزات التى أفحمت السحرة فقالوا هذه أصبع الله بل مع مشاهدتهم ماهو أبلغ من ذلك وهو رؤية إلههم فى مظاهر كثيرة ليؤمنوا ولكن مازادهم إلا نفورا فارتدوا مرتين على عهد موسى وقعدوا عن دخول فلسطين بسبب ضعف عقيدتهم تلك واستولى عليهم الرعب والخوف والجبن وقالوا : إن فيها قوما جبارين وإنا لن ندخلها أبدا ماداموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون . فأتاههم الله فى الصحراء وأبادهم فيها وانتقم منهم جميعا حتى موسى وهرون ـ كما تقول التوراة ـ ولم ينج إلا يوشع بن نون وكالب بن يفنه القُنِّزِىْ ويشوع هو الذى أدخله كنعان .

ولقد لاحظ هذه الملاحظة (ضعف العقيدة اليهودية) العلامة ابن خلدون فى مقدمته فى الفصل التاسع عشر ص ١٤١ طبع بيروت سنة ١٩٠٠م فى أن من عوائق الملك المذلة للقبيل والانقياد إلى سواهم قال وسبب ذلك أن المذلة والانقياد كاسران لسورة العصبية وشدتها فأن انقيادهم ومذلتهم دليل على فقدانها فما للمذلة حتى عجزوا عن المدافعة فأولى أن يكون عاجزا عن المقاومة والمطالبة واعتبر ذلك فى بنى إسرائيل لما دعاهم موسى إلى ملك الشام وأخبرهم بأن الله قد كتب لهم ملكها . كيف عجزوا عن ذلك ؟ وقالوا : « إن فيها قوما جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها » أى يخرجهم الله بضرب من قدرته غير عصبيتنا وتكون من معجزاتك يا موسى ولما عزم عليهم لجوا وارتكبوا العصيان وقالوا له : « اذهب أنت وربك فقاتلا » وماذلك إلا لما أنسوا من أنفسهم من العجز عن المقاومة والمطالبة كما تقتضيه الآية وما يؤثر ذى تفسيرها وذلك لما حصل فيهم من خلق الانقياد وما رئموا من الذل للقبط أحقابا حتى ذهبت العصبية منهم جملة ـ مع أنهم لم يؤمنوا حق الإيمان ـ بما أخبرهم به موسى من أن الشام لهم وأن العمالقة الذين كانوا بأريحا فريستهم بحكم من الله قدره لهم ا هـ

---

(١) سفر العدد ص ١٢ : ٢ .

[illegible] التاريخ لبنى [illegible] ورسخت فى النفس سيطرت على الحس وكانت منبع قوة معنوية عظمى [illegible]

[illegible] العقيدة [illegible] الضعف [illegible] العدم بعد موت يشوع وخاصة فى عهد القضاة الذى كان يمثل [illegible] اليهود [illegible] كفروا وكلما كفروا ازدادوا كفرا إلى أن سلط الله عليهم من سامهم سوء العذاب [illegible]

٣ ـ وأما مانشأ فى دينية اليهود العملية [illegible] من ضعف العقيدة لأن تحلل العقيدة وفناءها أوقعهم فى دركات الارتكاس والانتكاس مما هو مسطور فى تاريخهم الدينى والاجتماعى .

(ب) وأما أثر العقيدة اليهودية فيمن جاء بعد اليهود فواضح فى الديانة المسيحية وضوحا بَيِّناً نستبينه فى تفسيرهم للتوراة . ونكتفى هنا بإيراد نصين من كتابين مختلفين :

١ ـ جاء فى كتاب الدر الثمين فى شرح سفر التكوين طبع المطبعة الخديوية بمصر سنة ١٨٩٥م ص ٣ مانصه : عند تفسير عبارة وروح الله يرف على وجه المياه :

الماء أشارة إلى العمودية وبه تصير أبناء الله بالذخيرة كما أن الابن مولود من الآب باللاهوت أما روح القدس فمن الآب منبثق فى الابن . ص ٣٦ عند قوله : نعمل إنسانا بصورتنا كشبهنا عند خلق الإنسان أوضح الكتاب سر الثالوث إيضاحا حقيقيا بقوله أن الله قال : لنخلق أنسانا بصورتنا كشبهنا أوضح الآب والابن والروح القدس وهذه هى المشورة العظمى . ص ٢٧٢ فى مسألة ظهور إله التوراة لإسرائيل ومصارعته معه وفى هذا الموضع أظهر الكتاب تأنس الإله ببيان الذى لولاه لم يقدر أحد على نظر الله لأنه قال : أن الإله فى صورة إنسان صارع يعقوب . ص ٢٧٣ وقوله أن لم يقو بيعقوب عندما صارعه أشارة إلى الضعف الذى حمله باختياره بالصلب من بنى إسرائيل وأطلاقه عند الصباح أشار به إلى قيامه من الأموات التى ظهرت سَحَر يوم الأحد وقوله أنك رَأَسْتَ عند الله وعند الناس ـ الموجود فى الأسفار الحالية ـ لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت ـ يعنى أن الإله المتجسد من زرع يعقوب كامل القوة فى لاهوته وفى ناسوته لاهوت تام وناسوت تام . وقال : أنه سَمىَّ الموضع ـ الذى كانت فيه المصارعة مع يعقوب فنيئيل أى وجه الله ـ وجه القادر حقق أن اللاهوت والناسوت وجه واحد وماهية واحدة وأن الناظر إلى ذلك الناسوت قد نظر الإله وجها لوجه وتخصلت نفسه ا هـ .

٢ ـ جاء فى كتاب حل مشاكل الكتاب المقدس طبع رعمسيس بالفجالة سنة ١٩٢٦م ص ١٢ : أن الذى ظهر لموسى فى العليقة الملتهبة وقيل عنه : أنه ملاك يهوه أى الرب وأنه ـ الله ـ . وأنه يهوه فلا شك فى أنه الاقنوم الثانى من الثالوث الأقدس ظهر لموسى فى هيئة ملاك وقيل فى عدد ٤ فلما رأى الرب أنه مال لينظر ناداه الله من وسط العليقة وفى العبرانية لما رأى ـ يهوه ـ ناداه ـ ألوهيم ـ أى الرب الذى سيظهر فى الجسد ا هـ .

ومن نصوص هذين الكتابين تعرف مقدار استغلال نصوص التوراة فى الديانة المسيحية وتعاليمها : كأن التوراة الحاضرة لم تكن إلا لخدمة المسيحية .

وعلى ذلك تكون الديانة اليهودية ذات أثر واضح فى المسيحية بدرجة تخول لنا أن نقول : أن المسيحية خطوة تالية لليهودية كما أن اليهودية خطوة تالية للبابلية والأشورية .

وما جاء فى هذه النصوص . من تجسد الإله . وصلبه . ومن التثليث . والنبوة فنرد عليه أجمالا بإيراد تفسير

سورة الإخلاص لصاحب الفضيلة الشيخ إبراهيم الجبالي نقلا عن مجلة ... عشر ، والثاني عشر ، والثالث عشر . باختصار .

بسم الله الرحمن الرحيم

« قل : هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد . ولم يولد . ولم يكن له كفوا أحد » .

سبب نزولها :

قيل أن قوما من المشركين أرسلوا للنبي صلى الله عليه وسلم من يقول له : قد شققت عصانا وسببت آلهتنا وخالفت دين آبائك فأن كنت فقيرا جمعنا لك من مالنا حتى تكون أغنانا ، وأن كنت تبغى الملك ملكناك علينا حتى لانقطع أمرا دونك . وأن كان يعتريك شيء من الجن التمسنا لك من يداويك . فقال : لست بشيء مما تقولون . وإنما أنا رسول الله أدعوكم إلى عبادته فقال : انسب لنا ربك . أو صف لنا ربك . أمن ذهب أم من فضة ؟ فنزلت هذه السورة . وقيل غير ذلك .

قوله تعالى : « قل » أمر للنبي صلى الله عليه وسلم بأن يقول . والأمر ومابعده كل من كلام الله عز وجل المتلو . ويكون الامتثال بعد ذلك فيما يدعوهم إليه وهو مقول القول بعده فهو كقوله تعالى : قل إنما أنا بشر مثلكم » وأمثال ذلك . ينزل عليه الأمر قرآنا يتلى وبمقتضاه يكون مكلفا بالأتيان بما أمر به . والسر فى أتيانها . وهو الأشارة . أن هذا أمر موجه إلى كل من تعرض لمثل هذا المقام . وابتلى بمثل ماابتلى به عليه الصلاة والسلام . أوكأن كل واحد يعرض له مثل ذلك يخاطب نفسه بقوله : « قل » .

ويؤتى به عادة فى موضع مزيد العناية بالجملة التى تليها .

ولفظ الجلالة « الله » اسم للذات الأقدس الجامع لكل صفات الجمال والجلال . فلا يخص صفة بعينها بالتنبيه فليس كباقى الأسماء من الرحمن أو العليم أو القدير مثلا . فلكل اسم من أسمائه تعالى معنى خاص يشير إليه من صفاته تعالى .

وأما لفظ الجلالة فهو يشير إلى الذات التى جمعت كل تلك الصفات ولفظ ـ أحد ـ بمعنى واحد والمراد بها وحدة الذات بمعنى عدم تركبها أو تجزئها . ووحدة الصفات أى عدم وجود مشارك له تعالى فى صفة الألوهية . ولفظ أحد يفيد المعنيين أى عدم التركيب وعدم التعدد . بخلاف لفظ واحد فأنها ظاهرة فى نفى التعدد ولاتنفى التركب فيقال : جيش واحد ـ مثلا ـ ولايقال : جيش أحد .

فلفظ الأحد كمال الوحدة بحيث يكون منزها عن التركب والتعدد . خارجا وذهنا ومايستلزمها كالجسمية والمشاركة فى حقيقة الألوهية أو خواصها كوجوب الوجود . وكمال القدرة والعلم وشمولها فالتنزيه عن هذا كله مستفاد من لفظ ـ الله أحد ـ .

ولعظم خطره أتى قبل الجملة بضمير الشان لينبه الذهن إلى تلقيه فيتمكن فى النفس أقوى تمكن .

« الله الصمد » الصمد هو الذى ينتهى إليه السؤدد وليس فوقه . ولا يسامته أحد . وهو الذى يصمد إليه الناس فى حوائجهم . وشئونهم أى يقصدونه فصمد بمعنى مصمود إليه . أى مقصود ومتوجه إليه وقصد الخلائق إليه تعالى بحوائجهم . أما بالاختيار المنبعث عن الإيمان وأما بالالتجاء الاضطرارى الذى تدعو إليه الضرورة حتما وهو المشار إليه بقوله تعالى : « وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما » مانراه يفزع إليه كل من يصاب بمالا قبل له به

[illegible] يشعر [illegible] عليه طريق فهمها على الوجه الأكمل . وأما بالاستعداد الأصلى الذى [illegible] مبيات [illegible] أمكانها .

واح[illegible] العقيدة [illegible] لكل [illegible] منها منه تعالى فهو جل شأنه مفزع المؤمنين فى آمالهم . وملجأ [illegible] كشف الآلام [illegible] الخلائق أجمعين فى نيل الحظ المقدر منها من الوجود . والكمال [illegible] حال إلى [illegible] الصمد على الإطلاق وهو الفعال لكل شىء والمدبر لكل أمر والمحيط علمه بكر سر وجهر . فترى فى كلمة ـ الله الصمد ـ على وجازتها الوصف بصفات الجمال والتأثير كلها كما كانت كلمة الله أحد وافية بصفات التنزيه عن الشريك . والنظير . وعن الجزئية والتركب . وما يستلزمها وعرف لفظ الصمد دون لفظ أحد لأن المخاطبين يعرفون من فطرهم أن هناك من يقصد فى الملمات ويتطلعون إلى معرفته فجىء باللفظ معرفا لهذا وليدل على الحصر . وأنه ليس هناك من يصمد إليه غيره . وليس معنى الوحدة ثابتا فى أذهانهم حتى يشار إليه هذه الأشارة بل كانت نفوسهم من جهة الوحدة ملوثة بالشرك متعلقة بالجسمية بدليل سؤالهم : أمن ذهب ربك أم من فضة ؟؟

وقولهم فى بعض الروايات : « أن ثلثمائة وستين إلها لايقومون بحاجتنا أفيقوم بها إله واحد ؟ هذا وفى تكرير لفظ الجلالة فى الجملة الثانية دون الاكتفاء بالضمير أوباللفظ الأول مزيد العناية ليغرس معناه فى النفس غرسا مكينا وفى ترك العطف بين الجملتين أشارة إلى أن كلامنهما مستقلة بالقصد إليها لتقريرها فى ذاتها .

لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد .

كانت الآية الأولى من السورة للتنزيه عن الشريك والتركب ومابعدها للوصف بصفات الكمال الثبوتية وهاتان الآيتان للتنزيه عما زعم بعض جهلة المتدينين من أهل الكتاب من أنه جل شأنه قد اتخذ ولدا ـ تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا

فقد نسبوا لله الولد : وقالت اليهود عزير بن الله : وقالت النصارى المسيح ابن الله : والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

أخذوا يلفقون أقوالا يتوصلون بها إلى زعمهم ألوهية المسيح وحاولوا أن يجمعوا بينها وبين دعواهم أنهم من أهل التوحيد فلما لم يأتوا بمالم تقبله العقول قالوا : هذا مما يعلو على العقل تصوره . وليس للعقل أن يبحث فى قضايا الإيمان بل عليه أن يسلم مايلقى إليه بدون بحث .

وأن العجب ليحيط بالعاقل من كل ناحية إذ يهمل العقل الذى ماثبت الدين إلا به » بحكم هذا الدين فلولا تمييز العقل القضايا الصحيحة المبرهنة من الدعاوى الكاذبة الباطلة مااستطاع أن يميز بين الرسول الهادى فيتبعه . والضال فيردعه . فكيف يكون العقل هو أساس الدين ثم يكر عليه الدين فيعطله . ويهمل أحكامه نعم ! قد يكون فى الدين مايعلو على تصور العقل لكن لاعلى معنى أن العقل يجزم ببطلانه ولايستطيع أن يسلم به . بل على معنى أن العقل لو خلى ونفسه لايستطيع الوصول إليه وأدراكه بنفسه . بل يحتاج إلى مرشد يهديه إليه . ومتى فهمه سلمه . ولم يجد محالا يتجرعه ولايكاد يسيغه كما هو فى زعمهم .

فقد زعموا أن الآب : هو الأقنوم الأول . والابن هو الأقنوم الثانى الصادر منه صدورا أزليا فهو مساو له فى الأزلية . وروح القدس الأقنوم الثالث الصادر عنهما كذلك . والطبيعة الإلهية واحدة وهى لكل واحد من الثلاثة وكل من الثلاثة متحد معها . وكل من الثلاثة مستقل فى ذاته عن الآخرين فالآب ليس هو الابن ولا روح القدس والابن

ليس هو روح القدس ، ومع هذا فهم إله واحد وطبيعة واحدة . وكل منهم [illegible] ليس الثانى [illegible]
فالله عندهم ثلاثة أقانيم متمايزة بعضها عن بعض تمايزا حقيقيا ومع ذلك هو جوهر [illegible] [illegible]
غيره . بل كل ماهو داخل فيه غير ذاته فالثلاثة متساوية فى أن [illegible] الإله و [illegible] دة .

ولما لم يكن هذا مما يستطيع أن يهضمه العقل تستروا بكلمة : « أن ذلك مما يجب الإيمان به ؛ [illegible] فوق العقل البشرى » .

ثم زعموا أن الأقنوم الثانى ـ وهو الكلمة ـ تجسد واتحد بأشراف أجزاء البتول . بقوة روح القدس فكان المسيح عليه السلام المركب من الناسوت والكلمة فهو عندهم إنسان تام وإله تام ذو طبيعتين ولذلك تحمل عليه صفات الإلهية والبشرية فيصح ـ بمقتضى كلامهم ـ أن يقولوا المسيح ابن الله وأن يقول : أن الله هو المسيح وأن يقولوا : الله ثالث ثلاثة وهذه مزاعم أعجب مافيها أن تجد من عقول أناس يفهمون عشا تأوى إليه ـ تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ـ ولما كانت الأحدية على ماسبق متضمنة رفض النظير والشريك الجزئية والتركيب . وكانت الصمدية مستلزمة الغنى المطلق عن كل شىء واحتياج كل شىء إليه كان نفى الولادة والمولودية عنه ونفى النظير المكافئ كالنتيجة لهما فإن من يلد يكون قد انفصل عنه جزء حقق الولد والولد بالضرورة من جنس والده . فلو كان له ولد لكان له جزء وكان له نظير مكافىء وكذلك لو ولد من غيره لكان محتاجا إلى ذلك الغير فلم يكن هو الصمد الذى يحتاج إليه وحده بل يكون الأحق منه بالصمدية من نشأ هو عنه واحتاج إليه فى صدوره وكينونته ثم يكون هو نظيرا لمن نشأ عنه فيكون له كفء . فتجد هذه الأحكام الثلاثة بالنسبة لما سبق كالنتيجة للمقدمات .

وقد أتى بهذه الجمل الثلاث متعاطفة بالواو لأنها تشترك فى نفى النظير والمماثل والمناسب لأى وجه من الوجوه وتجد الثلاثة المذكورة كالأقسام لهذه المماثلة فأن النظير أما والد أو مولود أو غيرهما فلما تغيرت الثلاثة فى أنفسها واشتركت فى مقسم واحد وهو المناظرة والمشاركة كانت الثلاثة بذلك متممة لمعنى واحد هو المقسم فلذلك جاءت متعاطفة بخلاف مجموع هذه الثلاثة مع الحكمين السابقين فقد عرفت أنه كالنتيجة لهما وبخلاف الحكمين الآخرين أحدهما مع الآخر فأن الأول للتنزيه بنفى مالا ينبغى والثانى للتجميد بثبوت الصفات الكمالية له تعالى .

وقد أتى فى التعبير بلفظ لم التى هى للنفى فى الماضى أما فى لم يولد فظاهر لأنه لو كان جل شأنه بصدد أن يولد لكان ذلك قد حصل فيما مضى . وأما فى لم يلد فلأن الذين يرد عليهم يزعمون أن ذلك قد حصل وانتهى لأنه أمر يتجدد كل حين . وأما فى لم يكن له كفوا أحد فأن الذى يتوهم أن يكون مكافئا له هو من يكون قد وجد من الأزل فإذا لم يكن له كفء فى الماضى فلا يتصور أن يكون له كفء بعد ذلك .

ثم تقديم « لم يلد » على « لم يولد » لأنه الأهم أذ هو الذى كثر مدعوه وأن كان يلزمهم أنه ولد أيضا إذ يقولون : أن المسيح إله على ماسبق . وتأخير « لم يكن له كفوا أحد » لأنه استغراق لنفى كل مايتصور من وجوه المماثلة .

نتيجـة العقيـدة الإسـلاميـة

كان للمسلمين بفضل عقيدتهم اليد الطولى على العالم الإسلامى لأن مانشأ عن الإسلام من فتح وعلم وفن وإدارة وغيرها أثر من آثارها . فالعربى قبل الإسلام هو العربى بعده لم يزد إلا عقيدته فهى وحدها الشىء الجديد فى حياته وبها انتقل من أفق خرافى ضيق إلى أفق فسيح يسبح فيه بعقله وشعوره وكفى بها ثورة فى العقل وفى القلب وفى

الحل[illegible] العقيدة مما [illegible] حكمة جعلت العرب فوق العلم حتى قال بعض العلماء : أن العقيدة الإسلامية [illegible] الإسلام [illegible]

وكان [illegible] المدنية الحديثة [illegible] الثقافة الإسلامية لأن القرآن رفع مستوى العقل إلى درجة يستطيع فيها التفكير [illegible] بعيدا عن خرافات والظلم و[illegible] على النظر فى الكون فأطلق العقل من أساره وأخذ بيده ليشرف على العالم [illegible] عال [illegible] كان للمسلمين الفضل الأكبر على المدنية الحديثة لحفظهم تراث غيرهم من الأمم ولابتكارهم وأنشائهم [illegible] الثقافات القديمة ولولا هذه المدنية الإسلامية فى بغداد وقرطبة والشام وصقلية لما بلغت المدنية الحديثة من الرقى مبلغها الآن[1] .

---

(١) رسالة عدد ١٤٦ ، ١٤٧ مقال الإسلام كعامل فى المدنية لأحمد أمين .



الآن وقد وضح مما أسلفناه فى هذه الرسالة مايلى :

١ ـ أن اليهود يدعون أنهم متمسكون بدينهم والتاريخ شاهد عليهم وبأنهم لم يكونوا متدينين به يوماً ما من مبدأ حياتهم إلى الوقت الحاضر كما تنطق بذلك أسفارهم المقدسة والكتب التاريخية .

٢ ـ وأنهم اختلفوا فى توراتهم اختلافا يعز معه الوثوق بها علميا وتاريخيا حتى أصبحت من الجهالة بكاتبها وزمانه ومكانه وغايته من كتابتها دولة بين المصرية والبابلية وظهرت عليها أعراض البابلية بصفة قوية رجحت القول باشتقاق عناصر التوراة من البابلية والأشورية فوق ما احتوته مما يخالف العقل الرشيد من أتهام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وغير مافيها مما يؤيد أنها ليست مما أوحى إلى موسى عليه السلام . هذا عدا ماأصابها على يد الغزاة وعلى يد اليهود أنفسهم .

٣ ـ أن التوحيد فى هذه التوراة ملتاث بالتشبيه والتجسيم والتعدد وكان من نتائج هذه العقيدة المشوشة المشوهة أن اليهود لم يدينوا الأنسانية بفضل علمى أو خلقى أو دينى بل أفادوا الإنسانية التعقيد والتعدد فى التأليه نسمع صداه عند من يقولون بالتجسد والتثليث والصلب والفداء .

٤ ـ إن الإسلام يخالف اليهودية التى تحكيها التوراة مخالفة تامة فى ظروفه ووسائله وغاياته ونتائجه فى جميع المواقف .

وبعد ـ فأننا فى عصر يشعر فيه كل أحد بوجود ذاتى وكيان معنوى أدبى فالجهاد بالقلم أهدى للإنسانية من الجهاد حول العَلَم والجهاد بالبيان أجدى على الدعوة الإسلامية من الجهاد بالسنان .

ولعلنا نكون قد وفقنا إلى ما أردنا واهتدينا إلى ماقصدنا من خدمة الدعوة الإسلامية فى هذا الميدان .

ونكرر الدعوة الإسلامية إلى أهل الكتاب بقوله تعالى : « يأهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم » « يأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لانعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولايتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا : اشهدوا بأنا مسلمون » .

[illegible]ـاً نقـول

« ربنا اننا سمعنا منادياً ينادى للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار . ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولاتخزنا يوم القيامة أنك لاتخلف الميعاد » .

« ربنا لا تؤاخذنا أن نسينا أو أخطأنا ربنا ولاتحمل علينا أصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولاتحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين » .

والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم .

انتهى

والحمد لله أولاً وآخراً

المصادر

القرآن الكريم

الكتاب المقدس

المصادر التالية مرتبة ترتيبا أبجديا

العربية

الأتقان فى علوم القرآن	للسيوطى
أدلة اليقين فى الرد على المبشرين	للأستاذ عبد الرّحمن الجزيرى
الآراء والمعتقدات	لجوستاف لوبون
أظهار الحق	للشيخ رحمة الله الهندى
الأقوال الجلية فى بطلان كتب الديانة اليهودية والنصرانية	لمحمد المهدى على
تاريخ الإسرائيليين	لشاهين مكريوس
تاريخ العالم القديم	لعبد الفتّاح السرنجاوى
التاريخ القديم	تعريب نجيب نخلة المدور
تاريخ القرن التاسع عشر	لمحمد قاسم . وحسن حسنى
تاريخ الملل والنحل	للأستاذ أمين الخوّلى
تاريخ المسألة الصهيونية	
تفسير أبى السعود «أرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم»	
تفسير التوراة	لمراد فرج
حجة الله البالغة	للدهلوى
حل مشاكل الكتاب المقدس . وحياة محمد للدكتور هيكل	
دائرة المعارف القرن العشرين للأستاذ محمد فريد وجدى	
الدر الثمين فى شرح سفر التكوين	
روح الاجتماع	تعريب أحمد فتحى زغلول باشا
سر تطور الأمم	
صحيح البخارى	
صحيح مسلم	
العقائد	لعمر عنايت
الفصل فى الملل والأهواء والنحل	لابن حزم
القول السديد فى علم التوحيد	للأستاذ الشيخ محمود أبو دقيقة
قادة الفكر	لطه حسين



... المنيفة — للأستاذ أمين الخولى

مذكر ... خطية — للدكتور محمد زيادة

مذكرات ... لدار العلوم — الأستاذ حسن مراد

مذكرات ... — للدكتور إبراهيم بيومى مدكور

مرآة الإ... ملخص ... ريخ العالم — لخليل مطران

معتقدات قدماء المص... — لمحمد عبد المنعم إبراهيم

مقدمة ابن خلدون

« قواميس »

مختار الصحاح

المصباح المنير

« المصادر الأجنبية »

The New Popular Encyc. Vols. 2, 8, & 9.
The Religion of Israel. Barton
The Early Litterature & Sacred Books of the East.
The Oxford concice Dictionary.

مجلات وجرائد

الهلال

الرسالة

مجلة هدى الإسلام

مجلة طنطا الثانوية

مجلة الصرخة

الأهرام

الجهاد

البلاغ

المقطم

مجلة العصور

الأحصاء العام للحكومة المصرية

محتويات الرسالة

الموضوع — الصفحة


Bibliotheca Alexandrina
04087717